

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٦

٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٧٥

مع حافظ ابراهيم

يوم الخميس في ١٨ آذار سنة ١٩٢٦ و ٤ رمضان سنة ١٣٤٤

كنت ضيفاً عند صديقي حسين بك الحسيني في حلوان ، فقال لي : يسكن بالقرب منا حافظ ابراهيم ، وقد أخبرته بأنك ضيف عندنا ، وسياأتي الليلة للسلام عليك . وجلستنا بعد الإفطار (والوقت رمضان) نتحدث بشعر حافظ ، وكان في المجلس معنا شيخ بعمامة بيضاء اسمه الشيخ محمد رافت . ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا من الفسحة المؤدية الى غرفة الاستقبال كلاماً بصوت عالٍ ، فقال صاحب الدار : هذا حافظ بك ، ولم يكذبتم كلامه حتى دخل حافظ ابراهيم وسلم ، ووقع نظره على الشيخ الذي لم يكن بعيداً من الباب ، فقال له وهو واقف : إانت هنا يا شيخ ؟ وتهذر ؟ أما كنت الشامي بالسجع والجناس وأرسته براعة المصترين ؟ ثم دنا مني وصافحني وجلس بجانبني . وهو طويل مستقيم القامة ضخيم الأعضاء أسمر اللون خفيف شعر الرأس والشاربين ،

يقلب عليه الشيب وتبدو على وجهه ملامح الاجهاد والتعب ، يضع على عينيه نظارة منوطة بأذنيه ، تبدو من خلفها عينان صغيرتان ظاهر، على انساينها وجفونها أثر الكلال ، ولبسه حسن من غير تنوق ، ولا يكاد السيكار يقع من بين إصبعيه .

جلس ويده عصا غليظة يقرع بها الأرض أثناء كلامه وقال لصاحب الدار : أكرم ضيفك يا حسين ، أين الشاي ، أصرعوا بالقهوة ، هاتوا الخلطة (نوع من الآفويه السائلة تضاف الى الشاي والقهوة كالعنبر أو الزعفران) ، أين السكر ؟ لماذا لم تأت بضيفك وتأكلوا عندي ؟ ثم التفت إليّ وقال : لا بد من أن تأكل عندي ، قل لي ماذا تريد أن أصنعه لك من الطعام ، قلت : الفول المدمس ، فقال : الله الله أأنت أتيت الى مصر لتأكل المدمس ، قلت أشكرك على كل حال فأنا مسافر غداً ، قال : ما يصح .

ودخل على اثر حافظ فتي بدين حسن الوجه أبيض اللون مشرب بجمرة ، سمعتهم يدعونه بالسيد علي ، فجلس غير بعيد من الباب . كان مجلس حافظ يجاني ويليهِ صاحب الدار وكان بيده ديوان حافظ ، فقال له : كنا نقرأ شعرك قبل أن تأتي . فقال حافظ : ليس في الجزء الأول من الديوان شيء ، وفي الجزء الثاني والثالث أشياء حسنة منها : (غادة اليابان) :

لا تلم كفي إذا السيف نبا صحّ مني العزم والدهر أبي
ورثاء الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الإسلام بعد محمد سلامٌ على أيامه النضراتِ
و (الأمتان تتصالحان) :

أصرأم لربوع الشام تنسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسب

و (زلزال مسينا) :

نبثاني إني كنتما تعلمان مادمي الكون أيها الفرقدان
و (رأس السنة الهجرية) :

لي فيك حين بدا منك وأشرقاً أملٌ سألت الله أن يتحققا
وأشياء هذه ، ولقد نظمت قصيدة أعددتها اليوم افتتاح الجامعة . فقال له
الحسيني : أسمعنا إياها . فأجاب : ادفع الفلوس حتى تسمع ، كل شيء له ثمن .
قلت : وإذا سألتك أنا أن تنشدنا .
قال : هنيئاً ، لا أنشد إلا بالفلوس .
قلت : ماذا عسى يعطيك رجل مهاجر منكوب .
قال : وأنا منكوب في بلدي .
قلت : فاجعل الثمن نسيئة .

قال : من لي بالوفاء ؟ ولكن أراني أضرب في حديد بارد ، كل شيء تغير
في هذه الحياة ، كان الأمير في الماضي يقول : من في الباب من الشعراء ؟
أفيعول الشاعر اليوم : من في الباب من البكوات ؟ وعلى كل حال فإن أيتم
إلا منعاً فأنا أعطي .

ثم أنشد مختارات من شعره ، منها قصيدة زلزال مسينا وكان شديد الإعجاب
بهذا البيت منها :

خسفت ثم أغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في ثوان
أنشده فخوراً وقال : بيت واحد أحاط بما منيت به مسينا ، وهو على شدة إيجازه
قد صور الفاجعة تصويراً كاملاً .

ثم أنشد أبيتاً من قصيدة في مظاهرة للسيدات كانت سنة ١٩١٩ أولها :

خرج الغواني يحتجبـن ورحت أقرب جمعته

ومنها :

وإذا يجيش مقبل والتحليل مطلقة الأعنة

وإذا الجنود سيوفها قد صُوت لتخورهنه
 وإذا المدافع والبنا دق والصوارم والأسنة
 والخيول والفرسان قد ضربت نطاقاً حولهنه
 والورد والرياحات في ذاك النهار سلاحنه
 فتطاحن الجيشان ما عاتٍ تشيب لها الأجنه
 فتضع النسوان والنسوان ليس لمن منه
 فليهنأ الجيش الفخور بنصره وبكسرهنه

وقال : لم أدفع هذه القصيدة الى صحيفة من الصحف ، ولم أقل إنها لي ،
 ولكن رواها الناس وتناشدوها وعرفوا أنها لي لأنه - كما قال لي أحد الإخوان -
 لا يقول مثل هذه القصيدة في مثل هذا المقام ويختار لها هذا الوزن وهذه القافية
 إلا من كان واسع الرواية للشعر مطلعاً على تفنن الشعراء في اختيار الأوزان
 الملائمة لمعانيها . ألم تطلع على هذه القصيدة ؟

قلت : (مثبلى)^(١) وكأنه لم يسمع الميم الساكنة في أولها .

فقال بصوت أجش : اسمع العربي الفصيح يا حسين ، قال (بلى) ولم يقل
 (نعم) في جواب هذا الاستفهام المبوق بالنفي ، ولو قال (نعم) لانعكس
 المعنى . فقلت في نفسي : رمية من غير رام .

ثم قال : وقصيدتي بتهنئة الملك فؤاد بعيد جلوسه فيها أبيات حسنة منها :
 واضرب بسوط البأس أعطاف الزمان إذا استبدا
 والملك فؤاد لو قال له قائل في أيام الخديوي عباس إنك سنبكون مكانه لظن
 أنه يسخر منه ، ولكن هكذا الدنيا تنفض وترفع .

قلت : من الرفش الى العرش .

(١) هي (بلى) ولكن الدماشقة يزيدون في أولها مياء ساكنة في كلامهم ولا يلتزمون الدقة في استعمالها .

فاستعاده وأعاده وقال : أهذا مثل ؟ يعجبني هذا المثل ، وجعله وسيلة للتندر على الملك فؤاد فقال : استدعى الملك في إحدى زياراته للاسكندرية قائد خفر السواحل وبدأ بوصيه وينبهه ، فكان مما قاله له : « خذ بالك ... إياك ... مهربين ... كوكائين ... سيف الدين ^(١) ... »

ولم يطل في إنشاد شعره بل عاد الى الحديث وكان يسرع في كلامه ، وبكاد يتكلم يديه ورأسه وعينه ، حلو الألفاظ ، يميل الى الدعابة والمزاح وإيراد النكات ، ولا يتأثم من التصريح بذكر ما يكتنى عنه .

واسع الرواية للشعر والنثر ، يعتد بنفسه ، فخور بجيد شعره ، يدعي أنه أول من نظم الشعر الاجتماعي ، ولا ينكر أن له أشياء كثيرة من مخيف الشعر وسفاسفه يدعوها (الشعر التجاري) ويدعي أنه كان يحفظ مائة ألف بيت من جيد الشعر ، ولكن لم يبق منها في حفظه الآن إلا نصفها . بقدر المولدين من فحول الشعراء كبشار بن برد ومن أتى بعده ممن هو في طبقتهم ، مفتون بيلاعة العرب ، يجاهر بعجز المعاصرين عن إدراك شأدهم في التأدية والأسلوب ويقول نحن عيال عليهم ، ولكنه لا يستسيغ الشعر الجاهلي . وبتندر على العويص منه كما يتندر على اللين والركيك من الشعر المنشور .

تكلم حافظ كثيراً ولا سبيل لتدوين كل ما قال ، وإنما أثبت خلاصة حديثه . ذكر من الشعراء بشار بن برد وأبا نواس ومسلم بن الوليد وأبا تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبا العلاء المعري ومهيار الديلمي . فقرظ بشاراً كثيراً وروى من شعره . وأطرب في مدح أبي نواس وقال انه أطبع الناس على الشعر وهو أشعر الناس صاحباً ولكن قلما يصحوا (ابن الكلب) وروى من شعره ، وكان شديد الإعجاب بقوله :

(١) سيف الدين : ابن عم الملك فؤاد كان اختاف وإياه قبل أن ينصب ملكاً فأطلق سيف الدين عليه الرصاص فأصابه رصاصة في عنقه فلم تقتله ولكن بقي يسلم من أثرها ، وقر سيف الدين من مصر .

أخذتُ بجبلٍ من جبال محمدٍ أمنتُ به من طارق الحدثابِ
تغطيتُ من دهري بظل جناحه فعيّني ترى دهري وليس يراني
وأثنى على صربع الغواني مسلم بن الوليد ورفع كثيراً من قدر أبي تمام الطائي وأشاد
بذكره وقال : « إنه شاعر العظام وقصيدته في فتح عمورية :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
كلها غرر وكلها عيون وما فيها بيت ساقط وليس للعرب مثلها » . ووقف وأنشد
طائفة منها . ثم قال إذا سما أبو تمام فلا يدانيه أحد ، ولكن لم يخل شعره من
السخيف . وروى له بيتا هو :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا
ودعاه بالشعر الأزهرى وتلاه على طريقة المشايخ في الأزهر ، فقد كان يكرر
الشطر وهو يقبل ب صدره الى الأمام وينأى بظهره الى الوراء ويقول : ظاهر ؟
فلما أتى على ذكر البحترى قال لي : من تفضل من الشعراء الثلاثة ،
أبا تمام أم البحترى أم المتنبي ؟ قلت البحترى ، قال أنت شاعر والشعراء يفضلون
البحترى ، البحترى سيد المطبوعين وأقدر الشعراء على حسن التأدية ، وشعره
من السهل المحتنع . إذا تلوت شعره ظننتني أقعد في حضنه أداعبه ويداعبني
وأفهم عنه ويفهم عني ، بل أحيط بما في نفسه كما يحيط بما في نفسي ، وهو يعطيك
من المعنى بالرفق والالطف ، ما يعطيكه سواه بالعنجهية والمعجرفة ولمحة الأمر
أو الأستاذ شأن المتنبي ، والبحترى لا يأبه للنشبهات والاستعارات ، بل يتحدث
عن ذات نفسه بلا كلنة ولا عناء ، وهذا هو الشعر ، والعجيب أنني لم أفتحه
ذلك إلا بعد أن بلغت من العمر خمسا وأربعين سنة ، أنا اليوم ابن أربع
وخمسين سنة ، وقد قضيت عمري في الشعر ، رواية وقولا ولم أحط بهذه
الحقيقة إلا منذ عشر سنين ، عجيب غريب . . . اسمع قول البحترى :

نظرتُ إلى طردان فقلت ليلي هناك ، وأين ليلي من طردان
ودوت لقاءها إيجاف شهر وسبع للمطايا أو ثمان
تصوبت البلاد بنا إليكم وغشى بالأياب الحاديان
هذا هو الشعر . واسمع هذين البيتين المنسويين لابن سينا في ولده :
ولي واحدٌ مثل فرخ القطا فيخنو عليّ وأحنو عليه
لقد تعب الشوق ما ينشأ منه إليّ ومني إليه
أنا أموت في مثل هذه الرقة ، هذا والله هو الشعر .
وأشدّ لفناء أعرابية قولها تشكو لأُمها رية لحتها في نظر محبوبها :
وراني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصرآ عني إذا نظرا
فكان يقوم ويقعد ويتواجد ويقول « ياب كـب^(١) » ، رحت في داهية ،
جالك البلى ، كنت تحبين فتى كالسي علي .
وكان يترنح طرباً ويهتز جميعه .
أما قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
فأنا لا أفهمه كما أني لا أفهم قول مي :
« نامت الشمس وأرخى الشفق مدوله ولفقت حواشي السحب بخيوط الذهب
والفضة وماجت في الأفق بجيرات الياقوت وبرك الزمرد . . . »
ثم تناول المتنبي فقال : « أنا أحترم المتنبي كثيراً وأجله ، وإذا سمعته يقول :
الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي الحل الثاني
وقفتُ بين يديه وزررت معطقي ووضعت يدي على جيبتي وقلت نعم صدقت .
أست ترى أن هذا البيت هو خطة حرية بليتها القائد الأكبر على قواده

(١) يريد (يا بنت الكلب) كما يلفظها المصريون .

ورجاله ، نعم أنا أنحنى أمام عظمة المتني ولكنى أقول إنه لم يوفق الى ما وفق
اليه المجتري من السلاسة والطلاوة والسهولة وحسن الديباجة . انظر كم يستعمل
المتني ذا وذي في شعره ، فهو أكثر الشعراء استعمالاً لها ، ولقد كان
عمود سامي البارودي رحمه الله يقول لي : كأن المتني انكليزي لكثرة ما يتوكل
على ذا وذي .

أما الشريف الرضي فتستخفني رفته وانسجامه كما تبهمني قوته وإحكامه .
أية فريدة تلك المراثية التي يقول في مطلعها :

منابت الشبح لا حام ولا راع مضي الردى بطويل الريح والباع .
وقد حاولت أن أجاربه في رثائي للشيخ محمد عبده . فنظمت المطلع من هذا
البحر وعلى هذا الروي ثم انقطعت ولم أقو على الاستمرار ، ولكن الله أعان
ونظمت الثانية :

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ سلامٌ على أيامه النصراتِ

وهي من الغرر .

على أنني لا أرتاح لقصيدة الشريف الرضي التي يرثي بها أبا اسحق الصابي ويقول :

أعلمت من حملوا على الأعوادِ رأيت كيف خبا ضياء النادي

الشريف الرضي كان يطمح الى الخلافة ، دخل عليه مرة فتى حسن الوجه
مثل السيد علي (أفاهم أنت يامي علي) وقبل يد الشريف فقال ألياًتاً دعني
أمثل لك الشريف في عظمته وزهوه وتيهه وأنشدها ، وهنا رفع حافظ رأسه
وصمغ خده ونظر شزراً وقبض أصابعه وأنشد يرفق وتأن وصوت خافت :

ومقبل كفى وددتُ بأنه أوما الى شفتي بالثقیل

جاذبه فضل العتاب ويبتنا كبر الملول ورقة الملول

جدلان ينفض من فروج قميصه أعطاف غصن البانة الملول

وتلميذ الشريف الرضي ميار الديلمي تعجبتني رفته ، دعني أنشدك شيئاً
من شعره بلهجتة الفارسية . واندفع ينشد وكأنه فارسي ينشد شعراً عربياً :
آء على الرقة في خدودها لو أنها تسري إلى فؤادها
بالبان لي دين على ماطلة عيس غصن البان في أيرادها
سلطت الوجد على جوانحي تسلط الخلف على ميعادها
وأنشد أيضاً من شعر ميار :

أيا صاحبي أين وجه الصبا ح وأين غدّ صف لعيني غدا
أسدوا مسارح ليل الرا ق أم صبغوا فجره أسودا
وأعاد البيت الثاني غير مرة ماداً كلنا يديه وعركاً أصابعه ثم قال : ولكني
لا أقدر أن أجده في شعر ميار من الرقيق البارع أكثر من مائتي بيت .
ثم قال : وأبو العلاء المعري ، حفظت في حديثي من شعره ديوان
سقط الزند . أما فلسفته فمبثوثة في اللزوميات ، ولقد كان يمجّد الخالق ويشك
في النبوات وينتقد الشرائع ويعرض بموسى ومحمد دون عيسى عليهم السلام ،
لأنه يرى أن موسى وعمداً طال عمرهما فأتيح لهما أن يعملوا ما شاءا أن يعملوا ،
أما عيسى فهو صغير السن ولم يعمل شيئاً ، وإنما انتقد أبو العلاء من جاء بعد
المسيح من الأحرار الذين ألوهوه .

* * *

وانتقل حافظ من الشعراء إلى المنشئين ، فذكر ابن المقفع وبراعة إنشائه فأطرب
في مدحه وقال : أعدت قراءة كتاب كيلة ودمنة مراب كثيرة ، أكثر من
مائة مرة .

ثم ذكر الجاحظ فقرظه كثيراً وتلا فقرأ من كلامه وروى عنه نوادر
مستملحة ، وكذلك قرظ أبا الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني . وقال : انه قرأ

الأغاني مرات واستظهر الكثير مما فيه من الشعر وقال : إن إنشاء أبي الفرج غاية في الحسن والجودة ومحال أن يستبدل الانسان من إنشاءه كلمة بكلمة . وحدث عن صاحب بن عباد وما كان من كرمه وجوده ، وقص شيئاً من ملححه وطرفه . وروى فقرة لا سمحى الموصلى لم يبق في ذهني منها إلا قوله (أجد نغماً في قلبي) قال : كنت مستلقياً على سريري ويدي كتاب أقرأ فيه ، فلما مررت بهذه الجملة حفزني حافز ألقاني عن سريري فما وجدت نفسي إلا قائماً أرقص لحسن هذه الجملة الخلابة .

ثم قال من القاضي الفاضل وعاب أسلوبه في الانشاء وتعمله فيه ، وأنحى باللوم كثيراً على مجمع البحار الاصفهاني الكاتب وتكلفه . قلت لعلي تعني سبجه في كتابه « الفتح القسي في الفتح القسمي » قال : حفظت مائة ألف بيت وأنا عاجز عن حفظ مثل هذا الاسم .

وانتقل الى التحدث عن شوقي فأطال الكلام وانتقده انتقاداً لازعاً وغمزوه ولمزه وخطل الهزل بالجد وتندر عليه وشهد له في النهاية بالشاعرية المنقطعة النظر . عاب كثيراً من شعره ونعى عليه أسلوبه وذم ألفاظه وسخر من تنطعه ، قال : مارأيت أحداً بكثير من الدعوة الى مكارم الأخلاق كشوقي وهو الذي يقضي ليله طائفاً حوالي مواطن الرية ومتنقلاً في عربات الترام .

بماذا يفسر قوله للخديوي عباس من قصيدة يمدحه بها :

أنا من ملكك فؤاده فافعل به ماأنت فاعل

أما قصيدته في بيروت فقد كشف الله بها عن حقيقة أمره في سوء مذهبه واضطراب قوافيه ، فيينا هو يقول في بيت : (عرفته)^(١) يقول في بيت آخر

(١) إشارة الى البيت :

قازور غصبات وأعرض ظاراً حال من العيد الملاح عرقته

(ملكوته) ^(١) ولا تسل عن مكارم الأخلاق حين يحدث عن أحور ^(٢) بكفية وكيف زحمه .

وقصيدته في دمشق ، ما أشد تنطعه حين يقول :

لولا دمشق لما كانت طلبطة^١ ولا زمت ببني العباس بغداد^٢
فمن أي معجم استدعى كلمة بغداد وفي أي ديوان وقع عليها وفي أي قاموس
غاص حتى استخراجها هل رأيت شاعراً استعمالها في شعره ؟ ليست البلاغة في
استعمال المهجور من الألفاظ ، فأنا أحفظ من متن اللغة ما لم يقرأه شوقي ،
ولا أستعمل في شعري إلا كل مأنوس قريب من الفهم ، فما قيمة الشعر
إذا احتاج سامعه أن يرجع الى دواوين اللغة .

وما أعجب لشيء كعجبي لأهل الشام في غلوم بالاحتفاء به ومباالنتهم في
تكريمه ؛ وفي قصائدهم التي قالوها فيه ما هو أحسن من قصيدته . قلت ما أظن
ذلك . قال : كذا كما أقول لك ؛ ولكن قل لي كيف أنشد شوقي قصيدته ؟
قلت أنشدها غيره وقعد هو بجانب المنشد . قال أف له من جبان ! لكن ،
لو كنت في دمشق بتلك الحفلة لأريكم كيف يكون إنشاد الشعر ؛
ليس في مصر من بدائني في الانقاء ، فإذا أنشدت الشعر في حفل أقيم وأقعدت
وفعلت بالألباب ما شئت ، وكم شهد لي بذلك سعد زغلول .

قلت كان الشاميون يتوقعون زيارتك لهم ، ولو فعلت لاحتفلوا بك كثيراً .
قال وهل يعرفونني ؟ قلت كيف لا يعرفونك ، وأكثر أدبائهم ومتأديهم

(١) إشارة الى البيت :

لبنان والخلد اختراع الله لم يرسم بأذن منها ملكوته

(٢) إشارة الى قوله :

وأغن أحور من ما بكفية
عقلت محاجره دمي وعلقته
دخل الكنيسة فارتقت فلم يطل
فأنت دون طريقه قرحته

يروون شعرك ، قال ويحيونني ؟ قلت نعم . فتהל وجهه وقال : كنت ناوياً
زيارة الشام في الصيف الماضي ، ولكن لما ذهب شوقي عدلت ، لم يكثف
شوقي بالذهاب الى الشام وحده حتى استصحب معه محمد عبد الوهاب ، وكان
هناك أحمد زكي باشا المسهب المكثار ، والدكتور محبوب ثابت وأمره معروف
مشهور ، فكيف أدخل الشام مادام هؤلاء فيها ، وما أدري ما قال أهل الشام
عنهم ، ولكن لا بد لي من زيارة الشام في الصيف المقبل مع حسين بك .
ثم عاد الى نقد شعر شوقي فقال : يقول شوقي :

أخوت اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيل
كيف رضي لنفسه أن تله أمه بالباب ، ولو كان هذا الأمر حقيقة لوجب
كتباته ، فكيف والحال هنا كتابة عن أنه ريب نعمة اسماعيل .
ويقول شوقي :

سلامٌ من صبا بردى أرقٌ ودمعٌ لا يكفكف يادمشقُ
والصبا الريح الشرقية وهي في دمشق لبست من الرياح الطيبة .
ويقول :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً وفاز بالحق من لم يأله طلباً
وهل الراحة الكبرى غير الموت .
ويقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا
وهو يريد أنه أخذ الكتب وترك الصحاب فاستعمل العكس لأنه لا يعرف
أن الباء تدخل على المتروك .
ولقد أغري هذا الرجل بكلمة (م) واختارها مطلقاً لكثير من قصائده
كانها (حم) ، منها قوله :

قَم سَلِيَّاتٍ بِسَاطِ الرِّيحِ قَامَا مَلِكُ الْقَوْمِ مِنَ الْجَوِ الزَّمَامَا
 قَم نَاجِ أَهْرَامِ الْجَلَالِ وَنَادَ هَلْ مِنْ بَنَانِكَ مَجْلِسُ أَوْ نَادَ
 قَم حِي هَذِي النَّيْرَاتِ حِي الْحَسَانِ الْخَيْرَاتِ
 قَم حِي أَتَقَرَّةَ وَقَلِّ يَهْنِكِ مَلِكُ بَنِيَّتِ عَلَى سَيْوَفِ بَنِيكَ
 قَم نَاجِ جَلَقِ وَانْشَدَ رَسَمِ مِنْ بَانَوَا مَشَتْ عَلَى الرَّسَمِ أَحْدَاثُ وَأَزْمَانُ
 قَم لِلْمَعْلَمِ وَقِهِ التَّبَجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
 قَم فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحِي الْأَزْهَرَا وَاثَرُ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا
 فَأَيُّ شَاعِرٍ ارْتَكَبَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ لِي مُحَمَّدُ الْمُوَيْلِحِي: أَخْبَرَنِي كَيْفَ يَقُومُ
 الْإِنْسَانُ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَيُحْيِي الْأَزْهَرَ أَهَكَذَا؟ وَوَضَعَ حَافِظُ مَسَابِقِهِ مَعْتَرِضَةً فِي فَمِهِ
 بَعْدَ أَنْ فَغَرَهُ .

لَقَدْ طَبَعَ شَوْقِي الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْ دِيْوَانِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ مِنْ (قَم) الشَّيْءُ
 الْكَثِيرَ . أَمَّا جَبْرِيلُ فَقَدْ رَدَّدَ ذِكْرَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً مِنْهَا قَوْلُهُ :
 جَبْرِيلُ هَلَالٌ فِي السَّمَاءِ وَكَبِيرٌ وَإِذَا كُنْتُ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ وَسَطِيرٌ

جَبْرِيلُ أَنْتَ هَدَى السَّمَا . وَأَنْتَ يَرْهَاتُ الْعَنَاءُ
 وَلَا تُسَلِّ عَنْ عَيْسَى ، فَمَا تَكَادُ تَخْلُو قَصِيدَةً فِي شَعْرِ شَوْقِي مِنْ ذِكْرِهِ ، نَعَمْ أَنَا
 أَوْ مِنْ بَنِيَّةِ عَيْسَى رَمُومِي وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا أَوْ مِنْ بِمُحَمَّدٍ وَلَكِنِّي أَكْتُفِي بِمُحَمَّدٍ
 وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى .

يُظَنُّ شَوْقِي أَنَّهُ أَمِنْ عَادِيَةِ النِّقْدِ فِي دِيْوَانِهِ وَإِظْهَارِ مَسَاوِيهِ وَالتَّشْهِيرِ بِسَفْسَاقِهِ
 بَعْدَ أَنْ رَشَا أَرْبَابَ الصَّحَفِ ، فَقَدْ نَظَّمَ قَصِيدَةً فِي رِثَاءِ ابْنِ حُسَيْنٍ هَيْكَلِ رَئِيسِ
 تَحْرِيرِ السِّيَاسَةِ أَوْلَمَا :

الضلوع تتقد والدموع تطرد
وأخرى في تقرّظ كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض صاحب كوكب
الشرق وهي التي غلط في مطالعها فقال :-

أنا من بدل بالكتب الصحايا لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا
أما صاحب الكشكول فهو من حزبه . ولكن ما يصنع بالعقاد الذي أخذ
أهنته وأعد عدته لنقد الديوان قدأ قاسيًا لا مراعاة فيه ، وقد أزمع على أن
يقدم بين يدي النقد فصلاً في حياة شوقي وهو إذا فعل فقد أصبح شوقي
وديوانه هباءً منثورا .

وهنا عطف حافظ على العقاد والمازني والدكتور طه حسين فقال : العقاد
كاتب مليح ألم تقرأ له شيئاً ؟ قلت : قرأت له الفصول ومطالعات ، قال
هما كتابان جيدان . وأما المازني (المازني) فذاك سيّاب وأنا لا آبه
له في كل ما انتقدني به وأخذه عليّ ، يكثر من الانتقاد ويعتبر الصواب خطأ ،
وسبب ذلك قلة بضاعته من المعرفة ، فكل ما لم يحيط به علمه يعتبره خطأ ،
وما أقل ما يعلمه وأكثر ما يجهله ، وهكذا يكون هذا النوع من الناس ،
يسرعون إلى التخطئة لأن معرفتهم قليلة هزيلة ، فإذا أضيف إلى ذلك سوء
النية مثل صاحبه أقبح تمثيل . وكل نقد يوجه إليّ على تلك الطريقة أضعه
تحت قدمي فأعلم به . وأما طه حسين فأسلوب عجيب ، اسمع إذا شئت :
« تنكرون أن القضية هي قضية ، ولكم رأيكم في أنها ليست قضية ، ولنا
رأبنا في أنها قضية ، وإنما نريد أن نتكلم من حيث أنها قضية ... » والحق
إنه جاحظ هذا العصر في قدرته وقوة طبعه ومطاوعة القول له وطول نفسه ،
والحرب التي تدور رجاها الآن بينه وبين الرافعي من أجل الشعر الجاهلي شغل
المصحف والنوادي الأدبية ، والذي يطيل عمر هذه الحرب أن طه حسين معاً .

هدر وهدد وتوعد وحشر ونادى لم يسمعه الرافي ، وأن الرافي مها أرغى وأزبد ويرق وأرعد وصال وجال ولوّح بسيفه وهز برمح لم ينظر طه حسين إليه ، والذي يعجبني من الرافي أسلوبه العربي الخالص .

ثم عاد الى شوقي فقال : « ما قلته في شوقي وشعره قليل من كثير ، ولكنه بالرغم من كل ذلك شاعر عظيم ، ولقد شاء القدر أن يقرن اسمي باسمه ، فما يذكر شوقي إلا ذكر حافظ ، وما يذكر حافظ إلا ذكر شوقي ، كالنعل ومشاكها والقباب وسيره ، ولئن أخطأ في بعض شعره فلم يخل شاعر من الخطأ ، أذكر من أغلاطي في اللغة قولي في مطلع قصيدة لي بذكرى شكسبير .
يحبك من أرض الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بقول العقبين مفرمٌ

فليس في العربية شغوف (وكنت أظنها صحيحة) بل مشغوف . ولم يظهر لي ذلك إلا بعد أن تليت القصيدة في الاحتفال الذي أقيم في بلاد الانكليز لمرور ثلاثمائة سنة على وفاة شكسبير وبعد أن نشرت في الصحف بزم من طويل .
على أن لشوقي من الإحسان ما يحو له كل سيئة ، من ذلك أن لهيتين وددت لو كانا لي بنصف ديواني ، قلت ما هما ؟ قال قوله في قصيدته (ذكرى كارنافون) :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقري حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه
ثم ذكر الشيخ محمد عبده فأثنى عليه وامتدح سيرته وحسن أخلاقه وعلمه وبلاغته وصحة ذوقه في الأدب قال : كنت والشيخ محمد عبده نجري في ليلة على قارب في النيل وكان أحد النوتية يعني (حار الفراش بهم للآن ما ناموا) فقال لي الشيخ : يا حافظ خذ هذا المعنى وانظمه فانه حسن . فنظمته في بيت من قصيدة :

حار الفراش بنا. مما نكابه
وضاق صدر الليالي عن تشكينا

ثم نظمته أيضاً في قصيدة ثانية وزدت عليه فقلت :

حار الفراش وحرت فيه فأتيت تحت الظلام معذب ومؤرق
قال وكان الشيخ رحمه الله إذا استحسن شيئاً من شعري قال (مش بطل)
لم يزدني على درجة (مش بطل) شيئاً .

وقال : سمعت ليلة مع الشيخ وبنت عنده ، فلما كان الفجر قام الشيخ
وتوضأ وصلى وطلعت الشمس وانتظر طويلاً حتى استيقظت ، فلما دخلت عليه
قال لي : يا حافظ لم أتمكن على طول صحبتك لي من إصلاحك ، ولم تقدر
على إفسادي .

ثم أتى علي ذكر خليل مطران فلم ينله بسوء وقال : انه شاعر أديب
وروى له فقرة بليغة من النثر ، ولما رأي استحسنتها معناها قال : انه أخذ هذا
المعنى من ثيكتور هوغو ، ثم روى له مقطوعة من الشعر أولها :

أنا لا أخاف ولا أرجي فرسي مهيئة وسرجي

وقرظها وقال : قلت لخليل مطران ضع (خرجي) مكان (سرجي) لأنك
متى قلت «فرسي مهيئة» علم بالضرورة أن السرج فوقها ، وإلا فما معنى تهيئة
الفرس ، وخرج كلمة صحيحة فصيحة .

وعلى ذكر خليل مطران ، اختلفنا مرة في أبنا أجمل وبعبارة أصح في أبنا
أقبح من الآخر ، فكنت أدعي أنني أجمل منه وهو أقبح مني ، وكان يزعم
عكس ذلك ، وطال الخلاف بيننا حتى اتفقا على أن نحتكم إلى اسمعيل صبري باشا
وتقبل بما يحكم به . فذهبنا إليه وشرحنا له دعوانا ، وبعد أن استقصى في
سؤال كل منا عما يدعيه لنفسه وعلى خصمه ، وبعد أن أطل النظر في وجه كل
منا ، أعلن ختام المحاكمة وأصدر حكمه بقوله : «حافظ إبراهيم أجمل فرد ،
وخليل مطران أقبح إنسان» فانصرفنا وعند كل واحد منا أنه حكم له على

صاحبه ، فانا أقول ان الحكم لي وهو يزعم أن الحكم له وما زلنا مختلفين في
تفسير الحكم الى الآن . فما تقول أنت ، هل حكم لي أم علي ؟
قلت : بل حكم لك .

فقال : أصبت ، لأنه لما قال : « أجمل قرد » وصفني بالجمال على كل
حال ، في حين وصف المطران بالقبح .

ثم سألتني عن شعراء الشام وهل فيهم من يعادل شعراء مصر ، قلت : انهم
يقدمونكم على أنفسهم وبمتهرونكم أئمة . ولكن عندنا من المنشئين من ليسوا
دور منشئكم . قال : مثل من ؟ قلت : مثل شكيب أرسلان ومحمد كرد علي
قال : صحيح .

ثم قال لي : من هو الشاعر الشامي الذي ألقى قصيدة في الحفلة التي عقدت
خليل مطران بالقاهرة وقال في مطلعها :

لمبشت الى الأهرام أرض الشام لو تستطيع جوى الى الأهرام .

قلت شبلي الملائط ، قال هو شاعر ، ولكن ما أبشع ذاك المطلع .
ثم قال والشاعر الذي كان عندنا منذ سنة ؟ قلت لملك تعني الزهاري ،
قال نعم . قلت ذاك عراقي وليس بشامي ، قال كله واحد . قلت لقد رأيت
الزهاري بدمشق بعد عودته من مصر واجداً في نفسه غائباً عليك لأنك لم تزره .
قال نعم ، الشعر الذي نشره عندنا ليس بذاك ، فضلاً عما فيه من الزندقة
والإلحاد ، وهل في شرع الذوق والأدب أن يجي الضيف مدينة إسلامية
كالقاهرة بمحاربة الإيمان ومظاهرة الإلحاد ؟ لك أن تقول : في مصر أيضاً
من يجاهر بالإلحاد ويدعو اليه ، وجريدة السيامة ميدان يتبارى فيه دعاة
الإلحاد ، وصاحبها حسين هيكل يتفخ في يوق الإلحاد ، تهاجم هذه الجريدة
الإسلام في أصوله وأركانه ، والمسلمين في سننهم وعاداتهم ، وتدعو الى نبذ

كل ما هو شرقي والأخذ بكل ما هو غربي ، حملت منذ مدة هذه الجريدة على الطربوش ودعت الى لبس البرنيطة ، ولبسها أحد محرري الجريدة . نعم ذاك أمر تافه ولا يضر الإسلام في جوهره شيئاً ، ولكن الفلاح المصري لا يفهم من لبس البرنيطة إلا ترك الإسلام ، وليس من مصلحتنا أن نجعل هذه الملايين من الفلاحين تعتقد أننا تركنا الإسلام . ونعود الى الزهاوي ، لم أزره لأنني كنت أيضاً غير مالك صحي ، قلت : هذه إضافة زائدة . قال ماذا أصنع ، قلنا تعتدل صحي ، ولقد خلصت بمثل هذه المَعذرة من رثاء سليم مركيس الذي أقيمت له حفلة تأبين منذ بضعة أيام .

وانتقل الى عبد المحسن الكاظمي فقال : شاعر قوي البديهة ولكنه منذ نزل مصر وقف حيث هو ولم يمش الزمن .

وروى يثين السيد توفيق البكري وقرظها كثيراً ولكنه قال ان معناه مأخوذ وذكر المأخذ .

وبعد أن طال السمر وانقضى أكثر الليل ودخل وقت السحور ، نهض حافظ وقال : لا بأس وإن طال السهر فان تحت التراب نوماً طويلاً .
ثم قال لي : ألا تزال مصراً على السفر ؟ قلت سأسافر الى الاسكندرية يوم غد إن شاء الله . قال سئراك هناك قريباً باذن الله ولعل ذلك يكون في العيد .

خليل مردم بك

الشعر الأندلسي

من أكبر مميزات الشعر الأندلسي التي تطالعنا عند بحثه أولاً ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبه في ذلك شعر قطر من الأقطار العربية . حتى العراق الذي بذ الأندلس في الحضارة نجد في شعره إثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الألفاظ فإنها تكاد تلبس ، وأما في المعاني فإن رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرقيق الذي قيل - ويقال حتى الآن - عند ضفاف الرافدين . ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جادة في الطباع ، وقسوة في البقاع ، فإن الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الأندلس . والمزاج بتكليف فكيف الاقليم رقة وظلّة ، وليناً وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغيرهم ، يخرجون الى البادية ، فيتنقلون في القبائل لأخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحتري وأضرابها ، فلزمتهم هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم . وأين هي هذه البادية من شعراء الأندلس الذين ولدوا في ببحوحة الحضارة ونشأوا في غصارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضرياً مترفاً .

ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاره من البداوة المظهر الذي غص الوزير أبا بكر بن زهر^(١) ، وأما المخبر ، فاته الذي انجلى عن قصيدة :
« الدهر يفجع بعد العين بالآثر »

(١) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

وأما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل أبي الخطار الكلبي والصميل بن حاتم فانهم وإن كانوا يذهبون في شعرهم مذهب أهل الجاهلية ، فإننا لا نعدم بحال من شعراء الأندلس ، لأنهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الأندلسي مصوناً من عنجية البدو ، لا جاهلية له مطلقاً .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الأدب والشعر إلى أن قدم عبد الرحمن الداخل ، أي نحواً من ٤٦ سنة . وحينئذ انتسح المجال أمام شعراء الأندلس للتخليق في جو « الصقر »^(١) الذي أتى إلى النخلة بهذه النفثة السحرية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
نقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول اكنآبي عن بني وعن أهلي
ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فمن الوجهة الاجتماعية كان الأمير المنشئ للدولة المؤئل لمجد الاسلام شاعراً يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق . فلم يستنكف من أتى بعده من الشعراء أن ينسجوا على منواله في تعاطي الشعر وحب الأدب حتى كان كل أمراء بني أمية وخلفائهم تقريباً شعراء . وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر دولة يبلاد الأندلس لم يكن لها مثلاً بالبلاد الأخرى . وبينما كان « الشعر بالعلماء يزرى » في المشرق كما أتى في بيت للشافعي رحمه الله^(٢) ، كان العلماء في الأندلس يتسابقون لنظم الشعر ويتباهون بمرفته ، ولا يعدون العالم كاملاً إلا إذا شارك في علوم الأدب بأوفر نصيب^(٣) .

(١) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قریش .

(٢) وهو قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من ليد

(٣) انظر الرافعي ، ص ٢٨٥ تاريخ آداب العرب ج ٣

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة الناس فيه ، وصار
طلبة الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة شلب ان قليلاً من أهلها من لا يقول
الشعر ، ولو مررت بالفلاح في فدانه وسألته عن الشعر قرض سيفه الحال
ما اقترحت عليه (١) .

ومن الوجهة الأدبية ، فان الشعر في الأندلس لم يكن رجلاً لصدى الشعراء
القدماء ولا طبعاً على الرواسم (الكيشيات) المعهودة ، فان عبد الرحمن لما
كان فريداً غريباً في بلاد غير بلاده ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه
شيء به ، هاجت شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم
يكن صنعة ولا زوراً من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى هذه الطبيعة
البديعة ، أو قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته ، لفتت نظرهم الى جمالها الفاتن
وسحرها العجيب فقالوا فيها ما شاءوا وتفتتوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما لمظاهر الطبيعة
من الرياض والأزهار ، والجبال والأنهار ، والسحاب والأمطار ، حتى عد
ابن خفاجة أكثر وصف الطبيعة وأحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري
من أدبائهم كتاباً كاملاً من شعرهم في نعت الرياحين والزهور سماه « البديع
في وصف الربيع » وهو ممن عاش في أول القرن الرابع ، فما بالك بما قيل بعده
في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه المرح ، هذا المحيط
الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر الأندلسي ، هو يحيى الغزال المتوفى حوالي
سنة ٢٥٠ ، وشعره مرآة صادقة لنفسه الطروب ، وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد
الروم فأعجب به الملك والمملكة أيما إعجاب لغرط أدبه وجماله ، وجرت له مع
الملكة محادثات جميلة ، وقال في ذلك أشعاراً لطيفة .

(١) ياقوت في معجم البلدان .

ثم يأتي بعده أديب الأندلس أحمد بن عبد ربه . مؤلف كتاب «العقد» المعروف ، وكان الجو الأدبي بالأندلس يزداد صفاء كل يوم فلذلك جاء شعره ينفع بعطر الحضارة ويكاد يشرب من رقتة وعذوبته ، وهو ان ألف لقومه أدب المشاركة ، فقد أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الأندلس في مقطوعاته البديعة التي ضمنها كتابه الفريد . ولئن قال صاحب ابن عباد في العقد لما وقف عليه ، « هذه بضاعتنا ردت إلينا » فلقد قال المتنبي في صاحب العقد ، « ايه يابن عبد ربه ، لقد تأتيتك العراق حبوا » وذلك عندما سمع آياته العديدة النظير :

يا لؤلؤا يسي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله درأ يعود من الحياة عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه ألفيت وجهها في سناء غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا^(١)
وقد كان هذان الأديبان هما طرفنا الأدب في القرن الثالث^(٢) وذكرهما يعني عن ذكر غيرهما .

فلما دخل القرن الرابع دخلت الأندلس معه في عصرها الذهبي ، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون ، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل .

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم سائر الطبقات ، فقلما تجد انساناً لا يعرف القراءة والكتابة ، والرجال والنساء في ذلك سواء^(٣) واذا عمّ التعليم بهذه الصفة تنهت المشاعر وتهذبت الأذواق ونشطت الحركة الأدبية من عقالمها وتقدمت

(١) المقري في فتح الطيب ج ٤ ص ٢١٨

(٢) الرافعي في تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٢٧٥

(٣) دوزي في كتابه الاسلام الاسباني .

أشواطاً بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لأن الأمة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج إلا ما كان حربياً بالقبول . وكان من أثر هذا النضج الأدبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي ، وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسفتكم عنها فيما بعد .

وقد أظلم هذا العصر كبار شعراء الأندلس من مثل أبي القاسم بن هاني وابن دراج القسطلي والرمادي ، وناهيك بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هاني فهو الذي يقال له مني المغرب ، عاش عيشة الاستهتار حتى تألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها ولحق بالمدرة فلقى الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظي عنده وكان يريد استصحابه الى مصر ، فمات مختصراً في عنفوان الشباب نتيجة امبراقه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أسف عليه وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نقاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان يذهب في شعره مذاهب شتى من التفلسف والاستخفاف بالدين ونقد المجتمع . وله أسلوب منين وعبارة جزلة ، واشتهر بحسن التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله :

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| أليتنا إذ أرسلت وارداً وحفا | وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شفا |
| وبات لنا ساق يقوم على الدجا | بشمة صبح لا تقط ولا تطفأ |
| أغن غضيض خفف الالين قد | وثقلت الصباء أجفانه الوطفأ |
| ولم يبق ارعاش المدام له بدأ | ولم يبق اعنات التثني له عطفا |

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه الشقندي : انه شاعر الأندلس . وقال الثعالي : هو بالصقع الأندلسي كالمثني بصقع الشام ، وكان شاعر الدولة العاصرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة الرائية الرائمة التي عارض بها أبا نواس فأرجم عليه ، وفيها يقول :

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور
وان خطيرات المهالك ضمن لراكبها اب الجزاء خطير
وأما الرمادي فهو يوسف بن هرون الكندي . كان معاصراً للمتني ،
وكان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم
بكندة ، يمتنون امرأ القيس في الافتتاح لأنه من كندة على ما هو معروف ،
والمتني والرمادي في الاختتام لانتسابهما معاً في كندة ^(١) . وكان شاعراً الحكم
المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر التكبنة التي أنزلها المنصور
ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من قصيدة هذه الأبيات البليغة .
في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت له المسامح موضعاً وحجبتها عن عدل كل عدول
واذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك الطوائف ، وجدنا
أن هيئة الخلافة الأموية وعزة سلطانها وان زالا معها فان مجدها الأدبي بقي
متمثلاً في عدة عوالم بعد أن كان محصوراً في قرطبة . . . فهذه اشبيلية وفيها
بنو عباد أصبحت تنافس قرطبة وتجاذبا رداء الفخار في هذا المضمار ، وهذه
طليطلة - وفيها بنو ذي النون - ومرقسطة - وفيها بنو هود - وبطليوس
- وفيها بنو الأندلس - وغرناطة - وفيها بنو زيري - والمرية - وفيها بنو صادق -
ومالقة - وفيها بنو حمود - في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وملوك
يتسابقون الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كانت أعظم
مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، وانشاعر الفلاني مخصص
بالملك الفلاني) ^(٢) .

(١) ابن خلكان

(٢) الشنندي في رسالة المفاضة بين الأندلس والمغرب .

وإذا كانت قرطبة قد احتجنت في عهد الخلافة الأموية سائر أهل الكفاءات الأدبية ، فقد أدبكت منها هذه العواصم الأخرى ، وكان ذلك في صالح العلم والأدب حيث ان ازدهار البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبل كان لا بدع مجالاً للناشئين والوافدين من غير أهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد في أيام المنصور بن أبي عامر وما قاساه من مكائد المنافسين له . وأما الآن فان الأديب أصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ على أميره ، لأنه اذا آنس اهمالاً أو تضييعاً سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة في بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد أبرز من الملكات ما كان خفياً ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسيماً منسياً ، وبذلك كانت الحياة الأدبية في هذا العصر أزهى وأزهر منها في كل عصر آخر من عصور العرب في الأندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء . وكانت الظاهرة الأدبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر . . فلا نجد عالماً ولا فقيهاً فضلاً عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا بنظام منه شيئاً ولو قليلاً . وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية أبرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى في أبي بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديباً موهوباً وشاعراً بليغاً كما عرف بكونه فيلسوفاً وطبيباً وموسيقياً ونباتياً بارعاً في الجميع . وكما له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء . وقد ترجم النتج في «القلائد» و «المطح» لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم إلا الناحية الأدبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل وتأنل من القول والعمل . وإذا ذهبنا نعرض أسماء الشعراء البارزين في هذا العصر نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زبدون الذي يطلق عليه بختري المغرب^(١) لركة ديباجته وتفنته

في ضروب الشعر . وحقيقة فانه اذا كان ابن هانيء كالمثني يعتمد في إثارة الشعور على إظهار القوة باصطناع الألفاظ الجزلة وتجسيم الأحداث الخطيرة مع تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة ، فان ابن زيدون كالبحتري انما يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة وانما هي معان جميلة وصور شعرية لمواجس النفس وأحاسيس الضمير في ألفاظ رقيقة كالثمرة الناضجة تتدفق مائية وحلاوة . فقارئه اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشعر كأنه ينطق بلسانه ويعبر عن ذات نفسه ، لأنه يمتزج به امتزاجاً ويهيم معه في أودية الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه إلا إذا انتبه الشاعر ، فرجع من رحلته وأفاق من غيبوته .

وبكفي أن يستعرض الباحث قصيدته الفريدة التي يقولها في التشوق الى حبيبته ولادة بنت المستكفي ليرى حسن الافتنان في الوصف وجمال التصوير للمواطن ورقة الشعور في الحب ، وهي القصيدة التي لم يقل - مع طولها - في التشبيب أرق منها ^(١) فبعد أن بفتحتها بوصف حاله في البعد وشكوى الزمان في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| أضحي التائي بدلاً من تدائنا | وناب عن طيب لقيانا تيجاننا |
| بنم وبنأ فما ابتلت جوانحنا | شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا |
| بكاد حين تناجيكم ضمائرنا | يقضي علينا الأسمى لولا تأسينا |
| حالت لفقدكم أيماننا ففدت | سوداً ، وكانت بكم يضاً ليالينا |
| إذ جانب العيش طلق من تألنا | ومورد اللهو صاف من تصانينا |
| وإذ مصرنا غصون الأنس دانية | فطوفها ، فجئنا منه ماشينا |
| ليسق عهدكم ، عهد السرور فما | كنتم لأرواحنا إلا رياحينا |

يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها بكفاءة المودة :

وبيت ملك كأن الله أنشأ مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه من ناصع التبر ابداعاً وتحسينا
إذا تأود آدته رفاينة تدمي العقول وأدته البرى لنا
كأنما نبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاء شرفاً وفي المودة كاف من تكافينا

ويطول بنا الحال اذا تتبعنا ما فيها من عيون الآيات وفرائد المعاني . وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب الدولة الأموية ولكنه لم ينبغ ولم يشتهر إلا بعد انقراضها . وخدم ابن جهور في قرطبة والمعتضد بن عباد في اشبيلية ثم ولده المعتمد وزين له غزوة قرطبة فملكها . وكان يلقب بذي الوزارتين ، وبلغ في علو القدر ورفعة الشأن ما لم يبلغه أديب غيره . وتعشق ولادة بنت المستكفي وكانت أديبة شاعرة إلا ان الوزير ابن عبدون كان ينافسه في حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام ٤٦٣ .

وكان ابن عبدون عند بني الأفطس في بطليوس كابن زيدون عند بني عباد باشبيلية ، وهو نظيره في الأدب والشعر . وسير في رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التي يقول فيها :

الدهر ينجع بعد العين بالآثر فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك منصحة عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالة والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عيفها سوى السهر
مالليالي - أقال الله عثرتنا من الليالي - وخانتها يد الغير

في كل حين لها في كل جراحة منا جراح وان زاعت عن النظر
تسرُّ بالتي ، لكن كي تغرَّ به كالأيم نار الى الجاني من الزهر
... وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظماء الرجال الى زمنه ، ثم بكى بني الأفطس
بما لم يكن به شاعر دولة . ومن أبحاثها الفذة هذا البيت الذي عبر فيه عن
علوية في براءة علوية :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر
ويقول بعده مشككاً في اغتيال الحسن بن علي بما هو أبلغ من اليقين :
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن أنت بمضلة الألباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر
ومنها في ذكر المتوكل وولديه العباس والفضل من بني الأفطس :
ويح السماح ووبب البأس لو سما وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامة تعزى سماحاً اليهم لا الى المطر
الى أن يقول :

على الفضائل - إلا الصبر - بعدم سلام مرتقب للأجر منتظر
وبالجملة فانه مما قيل في وصف هذه القصيدة وتقريرها فان القائلين لم يوفوها
حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه
ابن عبدون من البكاء والاستبكاء على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم
من غير أن يعرض بخصومهم المرابطين ولا أن يتناوهم بأدنى تجريح ، وتلك
لمحري براعة تشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن في الكلام . وكان
المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون وأعظم نبوغاً في العلوم والآداب مع
رسوخ قدم في الجود والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف أنضل منه ولا

من المعتمد بن عباد ، فانها كانا فرسي رهان في جميع الفضائل وخاصة العلم والأدب . وكان المعتمد أشعر والمتوكل أكتب ^(١) .

واذا ذكرنا المعتمد فلا بد أن نعطي صورة مصغرة عنه وعن أدبه ، فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء ، حتى لقد بلغ من شأنه أنه لا يمكن أن يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الأندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وانه لا يمكن أن يذكر شعراء الأندلس أو الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد . وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواء من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخياً لقلنا انه شخصية خيالية أضفى عليها الشعر والقصص حلاً وبروداً من الإجلال والتقديس . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافئاً عبقرياً لإثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهداً متفانياً في صدموجة الاكتساح الإسباني الذي أراد أن يستصفي الأندلس في أواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكن لملك غيره ^(٢) . وفي الشعر والأدب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء ، قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والآيات النادرة حتى يحسبه الانسان أنه لا شغل له إلا قول الشعر والاجتهاد في إجادته وإحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والأدب والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم شاعرين . وكان لأبيه دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيده فيه أسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك فيه غيرهم ^(٣) . واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره ، فكانت عنده ابن زيدون وابن عمار وابن اللبابة ، وكل واحد من هؤلاء فيه كفاية .

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٣

(٢) انظر النفح ج ٢ ص ٤٨٤

(٣) النفح ج ٢ ص ٤٦٨

على أن شخصية المعتمد زادت بروزاً بهذه النكبة التي حاقت به وتركت
الأكباد تنقطع حسرة على ما أصابه من أمي وفضيحة بعد سابق العز والسلطان .
وزاد شعراً المعتمد في هذه المدة إثارة اللابل في الصدور وتحريكاً للشجو
والنفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت بعظيم . ومن
شعره هذا :

| | |
|------------------------------|------------------------|
| لما تماسكت الدموع | وننهنه القلب الصديع |
| قالوا الخضوع سياسة | فليبدُ منك لهم خضوع |
| والد من طعم الخضو | ع على في السم النجيع |
| إن تستلب عني الدنا | ملكي وتسلحني الجوع |
| فالقلب بين ضلوعه | لم تسلم القلب الضلوع |
| لم استلب شرف الطب | ع ، أيسلب الشرف الرفيع |
| قد رمت يوم نزالهم | ألا تحصني الدروع |
| وبرزت ليس سوى القميــــــــص | عن الحشاشي دفعوع |
| وبذلك نفسي كي تسيل | إذا يسيل بها النجيع |
| أجلي تأخر لم يكن | بهواي ذلي والخشوع |
| ماسرت قط الى القنا | ل وكان من أملي الرجوع |
| شيم الألى أنا منهم | والأصل تتبعه الفروع |

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| فيما مضى كنت بالآعياد مسرورا | فساءك العيد في أغمات مسرورا |
| تري بناتك في الأطمار جائمة | بغزان للناس ما يملكن قطميرا |
| يطأن في الطين ، والأقدام حافية | كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا |
| أنطرت في العيد لا عادت إساءته | فكان فطرك في الأعياد تظفيرا |

قد كان دهرك إن تأمره ممثلاً فردك الدهر منهياً ومأموراً
 من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالأحلام مفروراً
 وإذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره ورفيقه ونظيره في الشعر .
 وهو ممن كان يذهب مذهب المنفي ويأخذ أخذه في طلب المعالي والتهمم
 بالسلطان . وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح . على أنه كسائر شعراء
 الأندلس رقيق الغزل لطيف المحاولات لفنون الشعر المختلفة ، وكان قد لحق بخدمة
 المعتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يرى
 إلا معه . ولما ولي المعتمد على مدينة شلب من قبل والده استوزره وسلم إليه
 جميع أموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وساءت السمعة عنهما ففرق بينهما
 المعتضد وأبعد ابن عمار عن أياكته فلم يزل مبعداً حتى توفي المعتضد فاستندعاه
 المعتمد وقربه أشد تقرب . ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله . وقد تشفع له
 ابن عمار واستعطفه بيلغ الأشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئاً ، والملاك كما يقولون ،
 عقيم ، لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستعطفه :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| سجايك إن عافيت أندى وأسمح | وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح |
| وان كان بين الخطتين مزية | فأنت إلى الأدنى من الله تبحر |
| وماذا عسى الأعداء أن يتزبدوا | سوى أن ذنبي ثابت ومصحح |
| وإن رجائي أن عندك غير ما | يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح |
| أقلني لما بيني وبينك من رضى | له نحو روح الله باب مفتوح |
| ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم | فكل إناء بالذي فيه يرشح |
| وقالوا سيجزيه فلات بذبه | فقلت وقد يعفو فلان ويصفح |
| ألا إن بطشاً للمؤيد يرتقي | ولكن حملاً للمؤيد يرجح |

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل ^(١) في مدح المعتضد، وكانت سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العتبرا
ومن أبياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب « المعجب » أنه لم يسمع لمقدم ولا
لتأخر مثله ^(٢) وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت يمينك منبرا
وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتد ، وهو مما تظهر عليه نزعة المتنبي :
عليّ ، والا ما بكاء الغائم وفيّ ، والا ما نياح الحائم
وعني أثار الرغد صرخة طالب لثأر وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها لنيري ولا قامت له في مآتم

وإذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء ، فإنه قد امتد
مع غيرهم كابن الأمانة وابن خفاجة وسواهما إلى عصر المرابطين . . فأما ابن الأمانة
فهو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي من أهل مدينة دانية . وقد اشتهر بوفائه
للمعتد ورثائه له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الإجازة والإحسان . وقد
على المعتد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق بجزيرة ميورقة وبها
ببشر العامري فخطي عنده ، وله فيه أمداح . . ومنها قصيدة غريبة المتزح
جعلها من أولها إلى آخرها ، صدر البيت غزل وعجزه مدح ، وهي :

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحفت ببشر ببشر
وتيسمت عن جوهر فحشته ما قلده محامدي من جوهر
ونكلمت فكان طيب حديثها متعت منه بطيب مسك أذفر

(١) الشنقي

(٢) المعجب ص ١١٧

هزئت بنفحة لفظها نفسي كما هزئت بذكراه أعالي المنبر
 أذنت واستغفرتها فجرت على عاداته في المذنب المستغفر
 وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها ، من
 الرياض والرياحين والماء والغمام والشمس والظل والجبال والأشجار وما إلى ذلك .
 لم يلتفت إلى منصب ولا إلى جاه . ملاً جمال الدنيا عينه فقال بكليته إليه ،
 يعني ويشرب ، ويشعر وبطرب ، إلى أن توفي بمسقط رأسه من جزيرة شقر .
 ومن شعره يصف نهراً :

لله نهر سال في بطحاء أشهى وروداً من لى الحسناء
 متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكتفه ، بحر مماء
 قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في يردة خضراء
 وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء
 والماء أسرع جوبه متهدراً متلوياً كالخيمة الرقطاء
 والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء
 وله في بلاد الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
 ماجنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت أختار
 لا تخشوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظل الأندلس ملك الموحدين ، وقد بلغت
 إلى أقصى غايات المجد العلمي والرفي الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام
 مثل أبناء زهر وابن طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الأدبية انشاعاً حتى أصبح
 الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جلس لهم المنصور الموحدي يوماً وجاءوا يهنئون
 بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من كثرتهم إنما يلقون البيت الأول من قصائدهم

ويضعون الورقة التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت الأوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها ^(١) . ولا نستطيع أن نعد جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وإنما تقتصر على ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل . وهؤلاء هم الرصافي وابن مجهر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلنسي ، نسب الى رصافة بلنسية ، وكان شاعراً مجيداً نزيهاً عفيفاً ، وله في عبد المؤمن بن علي القصيدة المشهورة التي أولها :

لو جئت نار المهدي من جانب الطور قبست ماشئت من علم ومن نور

وفيهما يصف جبل طارق . وكان عبد المؤمن يسميه جبل الفتح . وصفاً بليغاً ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين الحربي ويمدح المهدي ابن تومرت وعبد المؤمن مشبهاً لها بموسى ويوشع عليهما السلام . وهاك قوله في وصف الجبل :

لله ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الأجيال مذكور

من شامخ الأنف في سمائه طلس له من الغيم جيب غير منرور

معبراً بذراه عن ذرى ملك مستطراً الكف والأكناف بمطور

تسمي النجوم على إكليل مفرقه في الجو حائمة مثل الدنانير

وربما مسحته من ذوائبها بكل فضل على قوديه مجرور

وأزدر من ثناياه بما أخذت منه مفاحم أعواد الدهارير

عنك حلب الأيام أشطرها وساقها سوق حادي العير للعير

وابن مجهر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجهر الفهري من أهل بليش ، قرية قرب مالقة ، كان من أشعر أهل زمانه وكان مختصاً بالمتصور الموحدى ملازماً له ، وكان المتصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء وقته وله

فيه أمداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة « الأوتوماتيكية » التي أنشأها المنصور بجامعه بمدينة مراکش بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بين حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة فكأنها سر من الأسرار
وكأنها غلت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالأمير يزورها في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كتكوت المالات للأقمار

وأما صفوان بن ادريس فهو أبو بحر التيجي من أهل مرسية ، كان شاعراً وكاتباً وله كتاب « زاد المسافر » الذي هو أحد المجموعات التي تؤلف خزانة الأدب الأندلسي ، ومن شعره المحزية المشهورة بين أدباء المغرب وأولها :

جاد الربى من بانة الجراء نوآن من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبي وإنما ذخر الصديق لا كد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل - إذا أنا ناديت - من أن تصفيا لندائي
عوجا نجار الغيث في سقي الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة نمضي بها حكماً على الظرفاء

ويأتي بعد هذا العهد عهد غرناطة وملوك بني الأحمر ، وحسبنا أن نذكر غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والحياة الأدبية الراقية التي قضتها هذه المدينة في عهد ملوكها الرافلين في حال النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال جنت العريف الوارفة . ولا حاجة بنا الى ذكر شعراء هذا العهد ، فان واحداً منهم يكفي للتنويه بنهضة الشعر فيه وهو لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا شعراً وأدباً ، وعفى ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الأندلس ، فما من مجال

إلا وله فيه ذيل محب ، وما من موضوع إلا وقد تناوله بذراع رحب ، وبقدر ماله في الشعر من الآيات البينات ، فان له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار الخالدات . وبالجمله فقد كان معجزة قطره ومفخرة عصره ، ولم يبالغ من قال فيه انه شاعر الدنيا وأديب الأندلس ؛ اذا كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولا نستطيع أن تقدم نماذج من شعره تمثل نفسيته وطابعه الأدبي ، فان شعره كثير ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه « وعن البحر اجتزاء بالوشل » قال بنشوق :

سقى الله نجداً ما نصحت بذكرها على كبدي إلا وجدت لها يردا
وأنس قلبي فهو للعهد حافظ وقل على الأيام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق لي إلا ذبالة اذا استقبلت مسرى الصبا اشعلت وقدأ
وقد كنت جلدأقبل أن يذهب النوى ذمائي وأن يستأصل العظم والجلدا
وقال مخاطباً السلطان أبا عنان المريني وكان وفد عليه من قبل سلطانه الفني بالله
في جملة من أعيان مملكة غرناطة مستنجداً به ، فحين مثل بين يديه أنشده
وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن بها مذ وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الأمر أنه وطن في غير طيبك ماله وطر
وقد أهتمهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا .

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الآيات وأذن له في الجلوس وقال له ما ترجع اليهم إلا بجميع طلباتهم . قال القاضي أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم

وهو من مشائخ لسان الدين وكان معه في هذه الرفادة : « ما سمعنا بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا » . ولا شك أن ذلك من براعة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة .

* * *

وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم إذا لم تتعرض لنوابغ النساء الأندلسيات في الشعر ، وما كان لمشاركتهن من بليغ الأثر في الحياة الشعرية بالأندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكراً في أول عهد الدولة الأموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الأندلسي نشأ حضرباً من أول يوم . ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من الأدبيات الشاعرات المتفوقات ، وكانت تناصرها حسانة التيممية بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الفسائية ، وحفصة بنت حمدون . واشتهرت بعد هؤلاء عائشة القرطبية التي لم يكن في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علماً ونهاً وأدباً وشعراً وفصاحة ، تمدح الملوك وتخطبهم بما يعرض لها من حاجة ، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء سنة ٤٠٠^(١) . ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الشاعرة الأدبية التي كانت تعلم النساء الأدب ، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية ومولاة أبي المطرف بن غلبون العروضية ، ولادة بنت المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، ونزهوت الفرناطية ، وحمدونة بنت زياد المؤدب ، والعبادية والدة المعتمد ، واعتماد محظيته وبُدينة بنته وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح وغاية المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الأدبية الشلبية ، وأسماء العاصرية وحفصة الركونية وغيرهن عن استوعب المقري ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن ولطائفهن .

ونحن نكتفي بذكر اثنين من هذا العدد الكثير وهما ولادة وحمدونة :
 فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله ، كانت واحدة زمانها في الأدب
 والشعر ، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون
 يتمشقها وله فيها القصائد الطنانة والمقطعات البديعة ، وكانت أولاً تطارحه
 شعراً بشعر وتبادلها حياً بحب ، ثم قلبت له ظهر المحن وصارت تهجوه ، وكان لها
 مجلس يفشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير .
 ومن بديع شعرها ما كتبت به الى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكرم للسرى
 ولي منك ما لو كان بالشمس لم تلع وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر
 وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء المغرب لقوة شعرها
 وسمو إبداعها . ولها المقطوعتان العجيبتان المشهورتان بالشرق والمغرب والثتان
 ما زال أهل البلاغة يعملونهما مثلاً أعلى للنسخ على منواله والحذو حذوه وهما : هذه :
 ولما أبى الواشون إلا فراقنا وما لم عندي وعندك من نار
 وشنوا على أسماعتنا كل غارة وقل حماقي عند ذاك وأنصاري
 غنيتهم من مقتلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار
 وهذه :

وقانا لفحة الرضاء واد سقاء مضاعف الغيث العميم
 حملنا دوحه فحننا علينا حنو المرضعات على الفطيم
 وأرشفنا على ظلاً زلالاً الد من المدامة للنديم
 يصد الشمس أنى واجهتنا فيجيبها ويأذن للنسيم
 يروع حصاه حالية العذارى فتلحس جانب العقد التنظيم

ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض ، قد ظهرنا منه بالرغم من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها ، وهي أن هذا الشعر الأندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بدارة ، وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي والفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الأقطار الأخرى غير الأندلس ، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم . . . على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج إلى التجوز من القيود اللفظية لم يخرج عن مواضع القوم إلا بمقدار ما تسمح به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الأجداد ، فاخترع هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر العربي تحسباً في الصناعة كما جعله ألين مراساً وأصلس قياداً ، مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه المراكب الصعبة للبلوغ إلى مقصده ، ويضطر بذلك إلى استعمال الألفاظ المألوفة وغيرها ، دع عنك سآمة النفس ونبو الطبع عن سماع نغمة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير منذ بدء القعيدة إلى نهايتها . وربما تكون طويلة جداً ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الأسماط والأغصان ؛ فإنه أرقع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الأندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد ؛ جددوا في أسلوب الشعر ونظمه ، وحافظوا على أوزان العروض والقافية فلم يعموا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة إلى نبذ القافية جانباً والتحال من الأوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عملهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنشور ؟ . . .

وأشار ابن خلدون إلى قريب مما ذكرناه ؛ من أن اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التفنن فيه يقال : « أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التعميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً وأسماطاً وأغصاناً وأغصاناً ، يكثررون منها

ومن أغانيها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة» (١) .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معافى شاعر الأمير عبد الله بن محمد المرؤاني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب «العقد» ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المربة . . قال أبو بكر بن زهر : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحى غصن نقي مسك شم
ما أتم ما أضحى ما أرقا ما أنم
لا جرم من لحا قد عشقا قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ثم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي وأبو بكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور ، ثم محمد بن أبي الفضل بن شرف وأبو بكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن مالك وغيرهم كثير . واشتهر على الخصوص بين أدباء المغرب موشح ابن سهل الاسرائيلي شاعر اشبيلية وأوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس
فم في حر وخفق مثلاً لعبت ريح العبا بالقبس
وتد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً في الكرى أو خلصة المختلس
وكان ابن الخطيب من المبرزين في صنعة التوشيح شأنه في كل فن من فنون الأدب .

ولا يمتاز الشعر الأندلسي من ناحية الصناعة اللفظية فحسب ، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تختفي على أحد ممن تعمق في دراسة الأدب العربي على العموم وقارن بين الشعر الأندلسي وغيره من شعر الأقطار العربية الأخرى . . . وقد تقدمت الإشارة إلى هذه البراعة في الوصف التي تميز بها الأندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وأثارها البديعة من الرياض والأزهار والرياح والأمطار والمياه والأنهار وما إلى ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو أبو اسحق بن خفاجة فذاً في شعراء العربية كلهم لم يناسبه أحد منهم في استحقاق لقب شاعر الطبيعة . . . ومع ذلك فإن موضوعاً آخر لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه إليه الشعراء العرب إلا في هذا العصر الحديث حين وجدت بواعثه وأسبابه ، فصار عندهم من الموضوعات الشعرية الرئيسية ، ألا وهو الشعر الوطني . فالأندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الأسبانية التي تنقص بلادهم من أطرافها يوماً فيوماً وتحاول أن ترمي بهم خارج حدود الجزيرة الأيبيرية في كل وقت وحين ، ولم يزالوا كلما خرجوا من بلدة أو قرية وفقدوا السلطة على مدينة أو ناحية ، يكون سالف مجدهم وعزيم ويحتنون إلى معاهد أنسهم ولهم ويبتفجعون لما نزل بها من الذل والهوان ويستثيرون الهمة لإيقادها واسترجاعها من يد الكفر والطغيان . . . وهكذا تكون موضوع جديد في الشعر العربي وهو الشعر الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحماسة الدينية للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الأندلسيين شعوراً عابراً ولا فكرة عارضة ، وإنما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في نفوسهم . بذلك على ذلك كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر الذي نحن بصدده . . . فمثلاً نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل إلى المشرق وأن نبوغه فاق من رحل إليه^(١) : ونجد إسماعيل بن حبيب في مقدمة كتابه « البديع في وصف الربيع »

يباهي بأنه لم يورد فيه شعراً إلا لأهل بلده الأندلس ، ويزري بأشعار المشاركة التي ابتذلت فلم تعد النفوس تميل إلى سماعها ، ثم يشير إلى سبق الأندلسيين للمشاركة في أحسن المعاني مجتلي ، وأطيبها مجتني ، وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب (يعني وصف الريع) فلم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ، ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه . و نرجع إلى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الأندلسي فنورد منه بعض الأمثلة . يقول أبوالمطرف بن عميرة في قطعة بليغة :

زدنا على النائين عن أوطانهم وإن ائتر كنا في الصباية والجوى
أنا وجدناهم قد استسقوا لها من بعد ما شطت بهم عنها النوى
وإصدنا عن ذاك في أوطاننا مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا لعدونا ، أفستقيم لها الهوى ؟

ويقول أبو عبد الله الفازاري في قطعة أخرى :

الروم تضرب في البلاد وتنم والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشالة والجند يسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم واحد إلا معين في الفساد مسلم
أسنى على تلك البلاد وأهلها الله يلفظ بالجميع ويرحم
فها تان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا تقصران عما ينظم منه الآن في البلاد العربية التي يتلاعب بها الاستعمار^(١) .

* * *

ودون هذا وذاك فإن هناك فنوناً أخرى من النظم يرع فيها الأندلسيون وتفوقوا على غيرهم وإن كانت لا تعد من الشعر في حقيقة الأمر ، وهذه مثل الأنظمة العلمية التي تضم أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها ،
(١) انظر فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في كتابنا « التماشيب » .

ومن أول الموضوعات التي ضبطها بالنظم وقيدها بالوزن التاريخ ، فلا بن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر ^(١) . بل قيل ان ليحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخاً للأندلس منظوماً . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف « بركة الخلل في تاريخ الدول » . وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضاً في علم العروض وهي في غاية السلاسة ^(٢) . كما نرى لابن مالك الجياني « ألفية » النحو المشهورة ولابن عاصم الغرناطي « تحفة الحكماء في علم القضاء والأحكام » ، وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الأندلسيون في هذا الصدد هي النظام العلمية الملهوذة . وتختلف طرق الألفاظ فيها عديم ، فبعضها لا تكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما تقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين انه يتضمن اشارات ورموزاً الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحاً لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة بحيث تشتمل القصيدة ذات الأبيات الممدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه ، فالأول كما في قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الاشبيلي التي ضمنها أصول علم الحديث ولم يصرح بشيء من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم منها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا أولها :

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ودمني ووجدني مرسل ومسلسل

والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات ، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من أمهات الكتب فيه . وقد بناها على إشارات الحروف الأييجدية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم معها كثر فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه ^(٣) .

(١) انظرها في ج ٢ من المقدم .

(٢) انظرها في الجزء ٣ من المقدم .

(٣) توسمنا في الكلام عن هذا الموضوع في فصل ضمناه كتاب « واحة الفكر » .

... وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الإلمامة العجلى أن الشعر الأندلسي لم يتأثر بشيء خارجي عنه ، حتى الأدب المشرقي كان تأثره به في دائرة عامة ، أما السمات الخاصة به فانما كانت من وحي البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التي وجدت فيه مع الأيام سواء في اللفظ أو المعنى إنما كانت ذاتية وتلقائية ، فلا صحة لما يقال من أن الأدب الأندلسي تأثر بالأدب الإسباني وأخذ عنه ، كما أثر هو عن حق في هذا الأدب وكما أخذ هذا الأدب من غير شك عنه . فليت شعري أين هو هذا الأثر ؟ وما هذا الذي أخذه الأدباء الأندلسيون عن الأدباء الإسبان ؟ وأي فن جديد هذا الذي أضافه الأدب الأندلسي الى فنون الأدب العربي باستثناء الموضوع الذي لحنا اليه وهو الشعر الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد ؟ وما باله لم 'يطل' على دنيا القصص والتشثيل ، إن كان حقاً تأثر بالأدب الإسباني ، وليس في هذا الأخير ما يؤخذ أفضل من هذين الفنين ، لو كانا موجودين فيه إذ ذاك ؟

أما القول بأن مراثية ابن عبدون للملك بني الأفطس هي من قبيل الشعر القصصي ، وانها تدل على اقتباس هذا الفن من الإسبان ، فانما هو قول من بلقي الكلام على عواهنه ولا يعنى بتحقيق ما بقول . ولهذا المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة ، الى أن هناك قصيدة أخرى شبيهة بمراثية ابن عبدون ، ولكن قل من يثبته لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها وتضمنت من عبر الدهر ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون . وهذه هي قصيدة الأعمى التطيلي في رثاء أحد فتيان اشبيلية الأجواد وكان يتعهد ويحسن اليه ، فأصبح فتيلاً ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن قل وفلان لي أرى باق على الحدثان^(١)

عبر الله كنون

~~~~~



# الاصطلاحات الفلسفية

- ٣ -

## الإشارة

في اللاتينية Signum

في الفرنسية Signe

في الانكليزية Sign

أشار إليه أوما ، يكون ذلك باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب الخ . .  
وأشار به عرقه ، وأشار عليه بالرأي إذا ما أمره ونصحه ودله على وجه الصواب ،  
ومبلغ الإشارة كما يقول الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت ، وحسن الإشارة باليد  
والرأس من تمام حسن البيان باللسان ( البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٠  
مصر ١٩٢٦ ) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها . إشارة مذعور ولم تتكلم  
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم  
والإشارة قسمان : إشارة حسية وإشارة ذهنية ، أما الإشارة الحسية فتطلق  
على معنيين أحدهما أن يقبل الإشارة بأنه هنا أو هناك ، وثانيهما أن يكون  
منتحى الإشارة الحسية أعني الامتداد الموهوم الآخذ من المثير منتحباً إلى المشار  
إليه . وأما الإشارة الذهنية فهي كالإشارة ضمير الغائب وأمثالها مما يحتاج في  
إثباته إلى استدلال العقل ، أو كالإشارة المتكلم إلى معان كثيرة لو عبر عنها  
لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة . مثال ذلك قوله تعالى : وغيض الماء ، فانه أشار  
بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة المطر وبلغ الأرض وذهاب ما كان حاصلًا  
من الماء على وجهها .

والاستدلال بإشارة النص إثبات الحكم بالنظم غير المسوق له ، كما ان الاستدلال بدلالة النص إثبات الحكم بالنظم المسوق له .  
وابن سينا يسمي الفصل المشتمل على حكم يحتاج في إثباته الى دليل وبرهان ، بالإشارة ؛ كما يسمي الفصل المشتمل على حكم يكفي في إثباته بتجريد الموضوع والمحمول من اللواحق أو النظر فيما سبقه من البراهين ، بالتنبيه . ( راجع شرح الاشارات للطوسي ، الجزء الأول ص : ٤ ، من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ ) . فالإشارة في اصطلاحه هي الحكم الذي يحتاج إثباته الى دليل ، ويقابله التنبيه ، وهو الحكم الذي لا يحتاج إثباته الى دليل .  
والإشارة في اصطلاحنا ثلاثة معان :

( ١ ) الإشارة شيء مدرك بالحواس يجوز التصديق بشيء آخر غير مدرك أو غير ممكن الإدراك . كازدياد النبض ، فهو إشارة الى وجود الحمى ، وكإضاءة المصباح الأحمر على الخط الحديدى ، فهي إشارة الى مرور القطار ، وكزمر سيارة الاطفائية فهو إشارة الى اندلاع الحريق ، وكذلك الدخان ؛ فهو إشارة الى النار ، كما أن البكاء إشارة الى الحزن .

( ٢ ) الإشارة فعل خارجي مدرك الغرض منه التعبير عن إرادة . والمثال من ذلك أنك تشير بيدك الى الرجل فتستوقفه ، أو تطلب منه المجيء اليك ، أو تضع السبابة على فك طالبك منه السكوت . فأنت تعبر بهذه الاشارات كلها عن ارادتك ، فتأمر وتنهى ، أو تبلغ بإشاراتك ما تريد من الأفكار والعواطف .

( ٣ ) الإشارة شيء متحقق في الخارج من شكل أو صوت ينوب عن شيء غائب أو غير ممكن الإدراك ، وهو يساعد على اخطار هذا الشيء الغائب الى الذهن ، كالاشارات الدالة على المعادن في علم الكيمياء ، أو ينضم الى غيره من الاشارات المجانسة له لاجراء عمليات متعلقة بالأشياء المشار اليها ، كاشارات اللغة واشارات الحساب والجبر وغيرها .

لا جرم ان هذه المعاني الثلاثة تشترك في معنى عام واحد ، وهو أن الإشارة شيء ينجز بشيء آخر أو يعرف به ويحل محله . وهذا يفرض وجود سبب يمنع الوصول الى الشيء المشار اليه ، أو يجعل الوصول اليه صعباً . لذلك كانت الإشارة في غالب الأمر إدراكاً حسيّاً حاضراً ، أو شيئاً مادياً ، أو شيئاً بسيطاً ، وكانت الأشياء المشار اليها حقائق بعيدة ، أو حقائق غير مادية ، أو عمليات ذهنية ، أو مجموعات معقدة . ولكن هذا المعنى العام لا يخلو من الالتباس ، لأن الإشارة لا تحل دائماً محل الشيء المشار اليه . ان الدخان مثلاً لا يحل محل النار وهبوط ( البارومتر ) لا يحل محل العاصفة .

وتنقسم الاشارات بنوع آخر من القسمة الى اشارات طبيعية ( Signes naturels ) واشارات اصطناعية ( Signes artificiels ) .

فالاشارات الطبيعية لا تدل على الشيء المشار اليه إلا لعلاقة طبيعية بينها وبينه ، كالدخان الذي يشير الى وجود النار ، أو كالسحب التي تشير الى قرب هطول المطر . ويطلق اصطلاح اشارات التعبير ( Signes expressifs ) على الاشارات التي تعبر عن حالات النفس وحركاتها ، كاصفرار الوجه المعبر عن الخوف ، واحمرار الوجه الدال على الخجل ، ( راجع ظواهر الهيجان في مادة هيجان ) . وهذه الاشارات الطبيعية إما بصرية وإما سمعية ، فالحرركات الدالة على الهيجان اشارات بصرية ، والصراخ الدال على الألم اشارة سمعية .

والاشارات الاصطناعية هي الاشارات التي تكون علاقتها بالشيء المشار اليه مبنية على حكم إرادي جماعي . وهي ثلاثة أنواع بصرية وسمعية ولمسية . فمن الاشارات البصرية اشارات الجبر ، واشارات الموسيقى ، والاشارات البحرية ، واشارات الصم والبكم ، واشارات السير ، وحروف الكتابة ، ومن السمعية ألفاظ اللغة ، ومن اللمسية حروف الكتابه المستعملة في تعليم العميان على طريقة ( برايل - Braille ) .



وبين الاشارات الطبيعية والاشارات الاصطلاحية درجات متوسطة . فأبسط اشارات اللغة الصراخ ، وأصوات التعجب والنداء ، وتقليد أصوات الطبيعة ، وأعلامها الألفاظ الواضحة التعبير ، والاصطلاحات العلمية المستعملة في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها .

والناس لا يتفاهمون بالاشارة الا اذا عرفوا تأويلها وأدركوا علاقتها بالشيء المشار اليه . ان الاشارات لا تدل على علاقات مادية فحسب ، بل تدل على علاقات مادية ممزوجة بصورائنا وعواطفنا ، وعلاقة الاشارة بالمشار اليه إنما هي علاقة متصورة لا علاقة وجودية .

ان البحث في علاقة الاشارات بالعقل موضوع فلسفي بالغ الخطورة ، لأن اللغة كما قلنا جملة من الاشارات ( راجع لفظ اللغة ) .

ومن الاشارات ما يستعمل للدلالة على بعض الاعتقادات والمذاهب كاشارة الصليب عند النصارى ، أو اشارات السر عند الماسونيين ، ومنها اشارات بروج السماء ، واشارات الجيوش ، واشارات البواخر الحربية .

واذا دلت الاشارة على جملة من التصورات المتشابهة واقتصر عملها على اخطار هذه التصورات في الذهن اصبحت رمزاً ( راجع هذا اللفظ ) . ويشترط في ذلك (١) أن تكون الاشارة دالة على معنى خاص (٢) وان تكون علاقتها بالتصورات المتشابهة واحدة .

### الاشتراكية

في الفرنسية Socialisme

في الانكليزية Socialism

الاشتراكية مأخوذة من الاشتراك ، تقول اشترك القوم في كذا أي تشاركوا ، وهي اصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل ان مجرد الاعتماد على حرية الأفراد في الحياة الاقتصادية لا يكفي لانيجاد نظام اجتماعي صالح ، وانه من الممكن ،

لا يل من المرغوب فيه أن يستبدل الناس بالنظام الحاضر نظاماً موافقاً يحقق العدل الاجتماعي ويساعد على نمو الشخص الانساني نمواً تاماً . ( لفظ سوسيالزم مشتق من سوسيال « Social » ومعناه الاجتماعي ، استعمله لأول مرة وفي وقت واحد تقريباً السن سيمونيون في فرنسا ، وروبرادون في انكلترا . ويظهر ان يار لورو « Pierre Leroux » أول من أوضح معناه فدل به على مذهب اجتماعي مضاد للمذهب الفردي ، وهو المذهب الذي يعلق حياة الفرد بحياة المجتمع راجع : ( Revue Encyclopédique, Novembre 1833, tome LX, )

( p p. 114 - 116 ) .

والمذاهب الاشتراكية كثيرة منها <sup>(١)</sup> :

( ١ ) اشتراكية الذين أنكروا المزاحمة الحرة ، وأنكروا في الوقت نفسه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، ولكنهم زعموا مع ذلك ان المسألة الاجتماعية يمكن أن تحل بتأسيس جمعيات حرة يدخلها المتعاقدون ويخرجون منها بمحض إرادتهم . من هذه المذاهب اشتراكية ( روبر أدن - Robert Owen ) واشتراكية التكافل ( Mutuellisme ) ، والاشتراكية التعاونية ( Coopératisme ) ، والاشتراكية الجماعية ( Collectivisme ) ، والشيوعية الفوضوية ( Communisme anarchique ) .

( ٢ ) اشتراكية الذين اعتمدوا على تدخل السلطات العامة ، ولا سيما الدولة ، في تحقيق النظام الاقتصادي الجديد وثبتيته كاشتراكية البلديات ( Socialisme Municipal ) التي تعد اشتراكية متوسطة بين اشتراكية الجمعيات ( Socialisme d'association ) واشتراكية الدولة ( Socialisme d'Etat ) لأنها تقرر إمكان الاشتراك على أساس التعاقد بين بلديات كثيرة .

(١) راجع : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, art: Socialisme .

وكاشتراكية الدولة التي ذهب اليها (ماركس) و (الانجليس) في بيانها الشيوعي

• (Marx et Engels, le Manifeste Communiste 1848)

تنقسم اشتراكية الدولة الى نوعين الأول ديمقراطي والثاني ارستقراطي .  
أما النوع الديمقراطي فيهدف الى غاية سياسية ، وهي إقامة الحكم على أساس ديمقراطي يجعل الدولة خادمة لجميع المصالح الشعبية ، لأن الدولة في مذهبهم هي الفيض المباشر لارادة الشعب ، ولأن خدمة الشعب من لوازم ماهيتها .  
المثال من ذلك اشتراكية (لوي بلان - Louis Blanc - ١٩٤٨ ، واشتراكية الماركسيين في أيامنا هذه) . وأما النوع الارستقراطي فيثبت أن انفكاك الفرد عن الدولة وهم باطل ، لأن الفرد إنما وجد لتحقيق الغايات المثالية للمجتمعة في الدولة ، ولأن انضمام الفرد الى الدولة هو الوسيلة الوحيدة لتثبيت حقوقه .  
(المثال من ذلك مذهب هيغل ، وكارليل ، ورودموتوس ، وآدولف فغتر) .  
ان هذه الاشتراكية مضادة للفردية الفرنسية والانكليزية التي انتشرت في القرن الثامن عشر .

٣) اشتراكية الذين زعموا أن تأسيس النظام الجديد لا يتم بالقهر والقسر ، بل يتم بالطرق الشرعية . وتسمى اشتراكيتهم هذه باشتراكية الاصلاح ، أو اشتراكية التطور (Socialisme réformiste ou évolutionniste) .

٤) الاشتراكية الثورية (Socialisme révolutionnaire) وهي القول ان النظام الجديد لا يتحقق إلا بثورة العمال أي بتبديل السلطات العامة والقوانين الحاضرة بطريق الانقلاب والقهر والقوة .

٥) الاشتراكية الخيالية أو الطوبوية (Socialisme utopiste) وهي التي تتجمل مجتمعاً فاضلاً يحقق لأفراده في المستقبل جميع أسباب السعادة كالمدينة الخيالية التي تصورها (توماس موروس - Thomas Morus) أو كالنظام الاجتماعي الذي تخيله كل من (سن سيمون - Saint - Simon) و(فورييه - Fourier) .



٦ ( الاشتراكية التجريبية ( Socialisme expérimental ) ، وهي القول ان تعريف النظام الاقتصادي الذي ينشأ عن الغاء النظام الرأسمالي والتنبؤ به قبل بلوغه محال . المثال من ذلك النقابية ( Syndicalisme ) التي ذهب اليها ( جورج سوريل - Georges Sorel ) ، والماركسية المعاصرة ، والاشتراكية الفوضوية ( Socialisme anarchiste ) وغيرها .

وجميع هذه المذاهب على اختلاف طبقاتها وأنواعها تشترك في الأصول الآتية :  
أ - الايمان بالتحتمية الاجتماعية . فاشتراكية ( سن سيمون ) و ( فوربه ) و ( برودون ) مبنية على فلسفة التاريخ وحتمة وقائمه ، كما ان اشتراكية ( كارل ماركس ) العلمية مبنية على المادية التاريخية ( matérialisme historique ) .

ب - تنظيم قوى الانتاج وربط الوظائف الاقتصادية بالدولة أو بمراكز موجهة . ويعبرون عن ذلك بقولهم ان الاشتراكية هي تصنيع الدولة أو تخليق الصناعة . حتى لقد قال دوركهيم : « نطلق الاشتراكية على كل مذهب يريد أن يربط جميع الوظائف الاقتصادية المشتتة أو بعضها بالمراكز الاجتماعية الواعية والموجهة . ( Rev. Meta, Juillet 921, p 494 ) . لا يدرك الأفراد حريتهم الحقيقية إلا إذا نظمت الحياة الاقتصادية تنظيمًا عادلاً . فليست الاشتراكية ، ضادة للحربة ولا للفردية بل الفردية الكاملة والمنطقية تستلزم الأخذ بالنظام الاشتراكي .

ج - الاعتقاد ان العمل هو الأساس الشرعي لكل تملك ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتقد الاشتراكيون نظام التملك الفردي ، لأن هذا النظام في نظرم يجلب لبعض الأفراد دخلاً من دون عمل ويحرم العمال نتائج سعيهم وتعبهم . فالاشتراكية لا تلغي إذن حق الملك الفردي ، بل تقيم هذا الحق على أساس شرعي ، وتريد أن تحسن حال الطبقة الفقيرة الكادحة . فلا ملك إلا لمن يكسبه في العمل ، ولا حق في الحياة إلا لمن يستحق الحياة . ( راجع : تعاونية ، وتكافل ، وجماعية ، وحربة ، وشيوعية ، ونقابية ) .

## الاشتقاق

Derivatio في اللاتينية

Dérivation في الفرنسية

Derivation في الانكليزية

الاشتقاق في اللغة هو أخذ شق الشيء ، تقول اشتق الكلمة من الكلمة أي أخرجها منها ، وهو عند أهل العربية أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى والتركيب فتدرد أحدهما الى الآخر ، أو هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه . فالأخوذ مشتق ، والأخوذ منه مشتق منه . والاشتقاق ثلاثة أقسام : (١) الاشتقاق الصغير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب نحو ضرب من الضرب . (٢) الاشتقاق الكبير ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جند من الجند . (٣) الاشتقاق الأكبر ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نطق من النطق . (راجع تعريفات الجرجاني ، الاشتقاق) .

والاشتقاق في العلم الرياضي هو البحث عن مشتق تابع (Dérivée d'une fonction) . ويعرفون مشتق التابع بقولهم هو نهاية نسبة تزايد التابع الى تزايد المتحول عندما ينتهي تزايد المتحول الى الصفر . وينتج عن ذلك : أن التابع يكون متزايداً أو متناقصاً في مجال ما عندما يكون مشتقه موجباً أو سالباً في ذلك المجال ، وأنه يكفي لإيجاد قيم المتحول ، التي تجعل التابع أعلى أو أدنى ، وأن تبحث عن القيم التي تجعل مشتق هذا التابع مساوياً للصفر . وإن المثل الزاوي للمماس في نقطة من منحنى تابع ما يساوي قيمة المشتق العددية الموافقة لفاصلة هذه النقطة .

والاشتقاق في علم الري هو أن تشتق من النهر قناة موازية له ، كما ان  
الاشتقاق في علم الطب هو أن تحول السبب المرضي الى ناحية أخرى من البدن .  
والاشتقاق في علم النفس هو أن تستبدل بالفعل الموافق للظروف ، المحتاج  
الى توتر نفسي عال لا يستطيع المرء تحقيقه ، افعالاً أو ارتكاسات سهلة غير نافعة  
أو غير موافقة . فاذا خف التوتر أو الاشتداد النفسي حلت محل الأفعال العالية  
حوادث وطبئة كالفعل والادراك الخاليين من الغرض ، والتخيل الوهمي ، وارتجاج  
الدماغ والقلب والأحشاء ، واضطراب الحركات . ويسمى احلال هذه الحوادث  
الوطيئة محل الأفعال النفسية العالية بالاشتقاق النفسي . ولكن الاشتقاق لا يقتصر  
على استبدال الوطيء بالعالي ، لأن هناك اشتقاقاً يحول النزعات والغرائز والميول  
الضارة الى ميول نافعة . والدليل على ذلك ان وراء الحياة النفسية الظاهرة حياة  
مظلمة مؤلفة من النزعات الخفية والأحلام المكبوتة ، فاذا استبدل الانسان  
بالميول المكبوتة ميولاً مباحة لها في الظاهر ومطابقة لها في الباطن سمي فعله هذا  
باشتقاق الميول أو تحويلها ، فيتحول الطمع الى قناعة والطموح الى كرم ،  
واذا غير الانسان أهداف ميوله فرفعها من طور أدنى الى طور أعلى سمي فعله هذا  
بالتصعيد ( Sublimation ) ، فتقلب الغريزة الجنسية الى نزعات أسمى منها  
كالعشق ومحبة الجمال والشعر والموسيقا . ( راجع Pierre Janet, les névroses  
2<sup>e</sup> partie ch. IV. 4 ، راجع أيضاً اصطلاحات اللاشعور ، والتصعيد ،  
والكبت ، والتحليل النفسي ) .

### الاشتهاء

في اللاتينية Appetitio

في الفرنسية Appétition

في الانكليزية Appetence

اشتهى الشيء وتشبهه أحبه ورغب فيه رغبة شديدة ، والاشتهاء أو التشهي  
اصطلاح يستعمله الفيلسوف ( ليبنتز ) للدلالة على الفاعلية التي يتصف بها المناد



« Monade » (راجع هذا اللفظ) . قال : « الاشتهااء هو فعل المبدأ الداخلي الذي يحدث التغير أو الانتقال من إدراك الى آخر . نعم ان الشهوة لا تستطيع دائماً أن تصل الى كل الادراك الذي تنزع اليه ، ولكنها تدرك منه دائماً بعض الشيء وتنتهي إلى إدراكات جديدة » ، (راجع Leibnitz, La monadologie, 15) .

والمناد في نظر ( ليبنتيز ) جوهر روحي متوسط بين الصور العقلية والجواهر الفردة الجسمية ، وهو جوهر بسيط لا يولد ولادة طبيعية ، ولا يموت موتاً طبيعياً ، وله طبيعة داخلية شبيهة بطبيعة النفس البشرية . وهو متصف بالإدراك الذي يهب له ذاتية شخصية تجمع بين الكثرة والوحدة . ومن صفاته أنه دائم التغير ، دائم الانتقال من حال الى آخر ، وأنه ذو شعور وحياة وفاعلية عفوية ، وان حالاته المختلفة تؤلف وحدة لا مادية ، فهو إذن قوة وتزوع وفعل ، والاشتهااء هو تلك الفاعلية الروحية التي يتصف بها المناد ، وله وجهات أحدهما خارجي والآخر داخلي ، فاذا نظرت الى الاشتهااء من الناحية الخارجية كان قوة طبيعية ، واذا نظرت اليه من الناحية الداخلية كان تزوعاً ورغبة وشوقاً وإرادة . وجميع تغيرات المناد انما هي نتيجة لهذا الاشتهااء ، وهي تغيرات متصلة ، فكل حالة حاضرة ناشئة عن حالة سابقة ، وكل تغير فهو بمنقل بالماضي ويمتلي من المستقبل .

### الاشراق

في اللاتينية Illuminatio

في الفرنسية Illumination

في الانكليزية Illumination

الاشراق في اللغة الاضاءة والانارة ، يقال أشرقت الشمس طلعت وأضاءت وأشرق وجهه أي أضاء وتلألاً حسناً ، وأشرق المكان أنار بأشراق الشمس ، وأشرقت الشمس المكان أنارته .

وفي اصطلاح الحكماء هو « ظهور الأنوار العقلية ولعانها وفيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية » ( السهروردي ، حكمة الاشراق ، طبعة كُربين طهران ١٩٥٢ ، ص ٢٩٨ ) .

وحكمة الاشراق ( Philosophie illuminative ) هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف ( راجع هذا اللفظ ) ، وهي عين حكمة المشاركة الذين هم أهل فارس ، وهذا المعنى يرجع في الحقيقة الى المعنى الأول لأن حكمة المشاركة أيضاً ذوقية وكشفية ، ولا فرق بهذا الاعتبار بين حكمة الاشراق والحكمة المشرقية ( Philosophie orientale ) التي تكلم عنها ابن سينا ، لأن الشرق هو المنبع الرمزي لاشراق النور . وتختلف حكمة الاشراق عن الفلسفة الارسطية بأنها مبنية على الذوق والكشف والحدس ، في حين ان الفلسفة الارسطية مبنية على الاستدلال والعقل . وأكتساب النفس للمعرفة في فلسفة ابن سينا لا يتم بالاحساس ولا بالخيال ولا بالوهم بل يتم بالعقل ، وأعلى درجات العقل الإنساني العقل المستفاد الذي يلقى الاشراق من العقل الفعال . قال ابن سينا : « فان الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس في قبول الفيض كما ان الحدود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيداً لقبول النتيجة وان كان الأول على سبيل ، والثاني على سبيل أخرى ، كما ستقف عليه ، فيكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما الى هذه الصور بتوسط اشراق العقل الفعال ، حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه ولبس من جنسها من وجه » ( ابن سينا ، كتاب الشفاء ، الفصل الخامس ، من المقالة الخامسة ، من الفن السادس من الطبيعيات ص ٣٥٦ من طبعة طهران ) .

وقد بين السهروردي صاحب حكمة الاشراق انه لا شيء أظهر من النور ولا شيء أغنى منه عن التعريف ، فالشيء في نظره ينقسم الى نور وضوء في حقيقة نفسه أي في ذاته ، والى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه وهو الظلمة ، فان الظلمة هي عدم للنور .

أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد والنور المحض . وهذا النور المجرد إما أن يكون محتاجاً وفقيراً كالعقول والنفوس ، وإما أن يكون غنياً مطلقاً لا افتقار فيه بوجه من الوجوه ، إذ ليس وراءه نور ، وهو الحق سبحانه ، ويسمى نور الأنوار ، والنور المحيط ، والنور القيوم ، والنور المقدس ، والنور الأعظم الأعلى ، ونور النهار ، والنور الاسفهد ، لأن الاسفهد في اللغة الفهلوية زعيم الجيش ورأسه .

وأما ما ليس بنور في حقيقة نفسه فيقسم الى مستغن عن المحل كالجوهري الفاسق فإنه مظلم لا نور فيه ، والى ما هو هيئة لغيره كالنور العارض أو العرضي ، وهو لا يقوم بذاته ، بل يفتقر الى محل يقوم به سواء كان محله الأجسام النيرة كالشمس أو الأجسام المجردة .

وكل جسم فهو في وجوده مفتقر الى النور المجرد ، والنور هو الظهور ، ونسبة النور الى الظلمة كنسبة الظهور الى الخفاء . وخروج الموجودات من العدم الى الوجود إنما هو خروج من الظلمة الى النور ، فيكون الوجود كله نوراً ، بهذا الاعتبار ، ويكون أقرب الموجودات الى نور الأنوار أكثرها كمالاً ، ويكون أبعدا عنه أقلها نوراً وبهاءً ، والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث . وإذا كانت السياسة بيد حكيم مثاله كان الزمان نورياً . وإذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبية ( راجع كتاب حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردي ، نشره المستشرق هنري كربين في مجموعة دوم مصنفات شيخ اشراق ، بطهران سنة ١٩٥٢ ، وكتاب « Avicenne et le récit visionnaire » لهنري كربين Henry Corbin أيضاً طبع في طهران سنة ١٩٥٤ ) .

صميل صليبا

( يتبع )





# أفكار أبي حنيفة الدينوري

## في العلوم الطبيعية

إنّ أبا حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري من كبار علمائنا في القرن الثالث للهجرة . ومن أشهر تآليفه كتاب النبات الذي كان في ست مجلدات كبار ، وكان شرحه محمد بن معمر ابن اخت غانم في ستين مجلدة كما ذكره المقرئ في فقه الطبيب ، وكفى من فضله ما يقول عنه الفاضل الألماني زيلبرج<sup>(١)</sup> ( وكان نباتياً ومستشرقاً معاً ) : ان اليونانيين بلغوا الى ما بلغوا في علم النبات في مدة ألف سنة ( ومنتهى علمهم كتاب ديسقوريدس ) ؛ ولكن ما بلغ إليه المسلمون في قرنين أو ثلاثة فاق اليونانيين بكثير . وما يجدر بالذكر هنا أن كتب النبات اليونانية لم تكن تترجم الى اللغة العربية قبل وفاة الدينوري . فعلمه علم المسلمين وعلم الشرق .

إنّ نسخة كتاب النبات كانت موجودة زمن الأتراك في إحدى مكاتب حاب ، كما تذكر فهرستها ، ولكن لا توجد هناك منذ عدة سنين . ويوجد المجلد الخامس منه في مكتبة جامعة استانبول ( وقد نشر النصف الثاني من هذه المخطوطة المستشرق برنارد ليون من أهل أيسالا بأسوج . ويشتمل على قاموس أيجدي للنباتات من حرف الألف الى الزاي ) . والمجلد الثالث منه أيضاً يوجد في مكتبة جامعة ييل ( Yale ) في أميركا ، ولكن قواعد تلك المكتبة التي

---

(1) Bruno Silberberg, Die Pflanzenbuch des Abū Hanīfa ad-Dīnawarī, ein Beitrag zur Geschichte der Botanik bei den Arabern ( Zeitschrift der Assyriologie, Strassburg, 1910. pp. 225 - 60; 1911, pp. 39 - 68.

كتب بها إليّ مدير تلك المكتبة تيمّله صعب الاستفادة لي . وكنت قد ظفرت بقطعة من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بك في المدينة المنورة لما كنت هناك في السنة ١٩٤٦ م ، فنقلتها يدي .

انّ كثيرين من العلماء اعتنوا في السنين الحالية بالأفكار النباتية عند أبي حنيفة الدينوري ، خاصة زيلبربرج الألماني ، وأحمد عيسى بك المصري ، والأخير مصطفى الشهابي السوري . ولكن لم يعتن أحد الى الآن ، فيما أرى ، بأفكاره وآرائه في العلوم الطبيعية .

لما تصفّحنا قطعة المدينة المنورة ، والمجلد الخامس من كتابه ( أي مخطوطة امثابول ) وكذلك اقتباساته التي توجد في كتب اللغة - مثل المحكم لابن سيده ، والصيدنة للبيروني ، والمفردات للغافقي ، وغير ذلك من المخطوط والمطبوع الذي وصل إلينا من حسن حفظنا ؛ وقد جمعت تلك الاقتباسات في ١٥٠٠ صفحة تنتظر الطبع ، وفيها أيضاً القاموس الأبيدي للنباتات من حرف السين الى الباء - وجدنا أن أبا حنيفة الدينوري يذكر في أثناء توصيف النباتات المختلفة أشياء كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية . لست من المتخصصين ولا من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، وليس غرضي من هذه الأسطر القليلة إلا لفت أنظار زملائي المتخصصين بالعلوم الطبيعية أن يعتنوا أيضاً بهذه الناحية ليكملوا تاريخ العلوم الطبيعية عند المسلمين وعند العرب .

أنا ألتقط بعض ما كتب الدينوري عن المسائل الطبيعية ، على سبيل المثال ، من قطعة كتابه التي توجد في المدينة المنورة ، وسيتسكّن القاري منها أن يعرف آراء الدينوري خاصة في مسألة النار :

( ١ ) باب في وصف الزناد : وهذا باب جمعت فيه أحسن ما حضرني من وصف الزناد ، ومن أيّ الشجر يختار ، وكيف يقتدَح بها .

أفضل ما اتُّخذت منه الزناد شجرتنا المرّخ والعفّار . فبكون الاثني ، وهي الزندة السفلى ، مرخا ، وبكون الذكر ، وهو الزند الأعلى ، عفّارا .

واختلف في العفار . فزعم بعض أهل الرواة وبعض الأعراب أيضاً أنه ضرب من المرخ . ولا أحسب كذلك ، وإن كان الزندان جميعاً كثيراً ما يكونان من الشجرة الواحدة . وأخبرني بعض علماء الأعراب أن العفار شجر يشبه شجر الغبراء ، منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ ، فقد رأيت ، وليست صفته هذه الصفة . المرخ ينبت قضباناً سمحة طوالاً سلباً ، لا ورق لها . . . . ومن فضيلة المرخ في كثرة النار ومسرعة الورى ما ذكر أبو زياد السكلابي فإنه قال : ليس في الشجر كله أورى زناداً من المرخ . قال : وربما كانت المرخ مجتمعاً ملتفاً ، فهبّ الريح ، فحك بعضه بعضاً ، فأورى ، فاحترق الوادي كله . قال : ولم نر ذلك في شيء من الشجر . وهذا شيء من أمر المرخ معروف . وقد ذكر غير أبي زياد أيضاً . ( ورقة ٢٤٨ / ب - ٢٤٩ / ألف ) .

(٢) [ صفة الزناد والافتداح بها ] . وصفة الزنده : أنها عود مربّع في طول شبر أو أكثر ، وفي عرض اصبع أو أشفت . وفي صفحاتها ، وهي خدودها ، فُرْض ، وهي تقر . الواحدة منها فُرْضة ، وتجمع أيضاً فراضاً . والزند الأعلى فحوها غير أنه مستدير ، وطرفه أدق من سائر . فأما وصف الافتداح بها ، فإن المقتدح إذا أراد أن يقتدح الزناد ، وضع الزنده ذات الفرض بالأرض ووضع رجله على طرفها ، ثم وضع الزنده الأعلى في فُرْضة من فراض الزنده . وقد تقدم - فبدأ في الفُرْضة مجرى للنار إلى جهة الأرض بجزء ، وقد حزه بالسكين في جانب الفُرْضة . ثم قتل الزند بكفه كما يقتل الخشب . وقد ألقى في الفُرْضة شيئاً من التراب يسيراً ، يمتطي بذلك الخشونة ، ليكون الزند أعمل في الزنده . وقد جعل إلى جانب الفُرْضة عند مفصل الحزّ رية تأخذ فيها النار . فإذا قتل الزند ، لم يلبث الدخان أن يظهر . ثم يتبعه النار ، فتتحدّر في الحزّ ، وتأخذ في الرية . وتلك النار هي السقط . . . وقال أبو زياد : يقال ارتجل فلان الزنده إذا وضعها تحت أيها رجله ، أو



جرّ في رجليه • ثم يجعل الزند في فريضة الزندة ، ثم يدير الزند في الفريضة ، وتحت الزندة خرقه ، ويعكس الدخان • والتعكسية تصعيد الدخان في السماء • فاذا خرجت النار - وانما تخرج في تلك الحكاكة التي خرجت بين الزنديين - فصارت في الخرقه ، ضمّ الخرقه عليها وطرح الزنديين ٠٠٠ فالريّة كل ما أدربت به النار من خرقه أو عطية أو قشرة ٠٠٠ فان كان بعرة ففتها ليأخذ فيها النار ، فهي نثّة ٠٠٠ وقال أبو زياد : خرّغم العشر من أجود الحراق ، يعني للزناد • وضروب الحراق كثير ، فمنها قشر شجر السبداق الذي يغسل برمادها الكثنان • ( ورقة ٢٥٠ / ألف - ٢٥٥ / ألف ) -

(٣) كشّ يكشّ كشّا : صوت ؛ وصمعت كشّة الزند ، وذلك إذا همّ الدخان أن يتحوّل ناراً من قبل أن يقوى حرارته ، فيحدث من ذلك كما يحدث من الحطب إذا اندفع من جوفه دخان شديد الاتزاع كأنه النفخ ، وأرادت النار العلوق به فلم تقدر لقوة اندفاع الدخان ، فحدث بينهما الصوت الذي يقال له « النّجيج » • ( ورقة ٢٥٤ / ألف ) •

(٤) وإذا كان الصوت من الحطب ، فذلك « تقيض » و « كصيص » • وإذا اشتدّ ، كان قرقة كفرقة الملح • وأكثر ما يكون ذلك إذا ركب ملح ، أو ييس من ذاته ، أو كان تقدا فيه القشع - وهو الأكل - أو كان رطباً ، أو مستكناً فيه ماء • ( ورقة ٢٥٨ / ألف ) •

(٥) باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة • • • فأما الجمر ، فلون جميع الحطب لون واحد أو قريب • ولكن في ألوان اللهب اختلاف ، وكذلك في ألوان الأدخنة والأرمدة • فاختلاف ألوان الأدخنة علّة اختلاف ألوان اللهب • واختلاف أجناس الحطب ، مع اختلاف أحواله في الرطوبة واليبس ، علّة اختلاف ألوان الأدخنة والأرمدة • على أن الأرمدة يلحقها اختلاف الألوان من جهة أخرى ، وهو التحوّل الذي ينطفيء عليه الجمر • وقد يعرض مثل

هذه العلة للدخان أيضاً . فأما العلة التي تعرض في اختلاف ألوان الدخان من قبل اختلاف جنس الحطب فكالذي يعرض لدخان التنضب فإنه أبيض في مثل لون الغبار . ولذلك شبه الشعراء الغبار به . . . . ودخان الرمث أشد سواداً من دخان التنضب ، ولم يبلغ أن يكون أسود ، ولكن أورق كلون الذئب . ولذلك شبهت العرب لوث الذئب بلون دخان الرمث ، والذئب أورق . (ورقة ٢٥٩ / الف - ٢٥٩ / ب) .

(٦) [ ماهية النار والدخان ] : قالوا : إن لب النار على قدر ألوان الدخان . فكما مال الدخان الى البياض مال لون اللهب الى الشقرة . وكما كان الدخان أشد سواداً كان اللهب أشد حمرة . حتى اذا اشتد سواد الدخان اكثرت اللهب . وبين دخان الحطب الواحد في أول ما تشتعل فيه النار ، وبينه إذا توسعت الحال ، واذا تنامي حمي الحطب وقهرته النار ، اختلاف كثير . فان النار في أول ما تأخذ من الحطب يكون لها أقرب الى السواد . ولا سيما ان كان الحطب رطباً . ثم ترى اللهب يصفو ويميل الى الشقرة على قدر احتدام الحطب ورقته دخانه . حتى اذا كان أخيراً وذكت النار ورق الدخان ، اشقاز اللهب . حتى اذا انقطع الدخان الغليظ البتة وعاد الحطب جمرًا ذا كيا متوهجًا ، رأيت له لها لطيفًا قليل الشقرة قريبًا من البياض . وذلك هو الأوار . وما بقي له من لون حينئذ فهو من قبل جنس الجمر . ألا ترى أن أوار الحُمم أخضر . وذلك لغلبة السواد على الفحم . وإنما اللهب دخان حمي فأض نارا . وكل شيء يحمر حتى ينشأ في الحرارة ويحوّل نارا . وإنما النار دخان انتهى في الحرارة ، أو جمر . ألا ترى أن كل شيء لا دخان له ، فانك إذا أحميت آص جمرًا من غير أن يكون له لب ، كالحجارة والجسم والحديد وما أشبه ذلك . وان كان في اللحم بقية من الصنف الذي يصير من الحطب دخانًا ، صارت تلك البقية أوارا ، وهو أرق من الدخان والطف . ولذلك يكون لوث الأوار أيضًا أضعف

الألوان وأرق من لون الذهب . قال الأموي : الأوار مقلوب : أصله كان الوءار ، كما قالوا « يئس » ثم قالوا « أينس » . وإذا عريت النار من دخان أو أوار أو جمر ، كانت بيضاء خالصة من البياض . تكون نار المهاء التي تقوم مقام القداحة ، وتكون نار المرأة المحرقة . فان هاتين النارين يصادان من أنه لا دخان هناك ، ولا جمر . وإذا ألبنا الرية المدخنة ، كان الذهب الساطع من الرية أحمر من أجل الدخان . وإنما ألبتها نار بيضاء كالبردة . وليس هذا الكتاب موضع هذا الكلام لولا أن قوماً ممن ينظر في اللغة التبس عليهم أمر النار فيما وصفنا منه ، حتى ذهبوا مذاهب بعيدة فأكبة عن القصد . ( ورقة ٢٦٠ / ألف - ٢٦٠ / ب ) .

(٧) ومن النبات ما يستوقد رطباً ، كما يستوقد اليابس . وأكثر ذلك من أجناس الحمض . وأفضل الحمض القيسب ، فإنه ليس بين رطبه ويابسه فرق . ( ورقة ٢٦١ / ألف ) [ وفي لسان العرب وتاج العروس في مادة قسب ما يأتي : « والقيسب ضرب من الشجر . قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض . وقال مرة : القيسبة ، بالماء شجرة تنبت خيولاً من أصل واحد ، وترتفع قدر الذراع . وتورثها كثورة البنفسج . ويستوقد برطوبتها كما يستوقد اليبس » .

(٨) ونيران الأدهان والصبوغ والكباريت والزرائخ شديدة اختلاف الألوان . منها الأسود ، ومنها الأخضر ، ومنها الأصفر ، ومنها الأحمر ، ومنها الأورق ، ومنها الأشهب ، في ألوان كثيرة غير محدودة .

وكذلك أرمدها ، وأرمدة الأحطاب وحرافات الأشياء . فان منها الأسود والأصفر والأخضر والأحمر . وترى رماد النار العظيمة أصنافاً . وهو رماد ساعته ، فتري ظاهره بخلاف وسطه ، ووسطه بخلاف أسفله . وفيه الأبيض والأسود والخصيف . ولذلك قيل للرماد أخرج ، والخرجة لونان مختلفان . وقيل له أيضاً أدرق وخصيف . ورماد الحجارة ، وهو الكلس ، أشد بياضاً . وكل ذلك على قدر الشيء المحترق ، وعلى قدر حاله في النفس والاختناق ،



وبلوغ الغاية وقصوره عنها ، وعلى بين ذلك يدل مذكورها على ما لم يُذكر ...  
والطائفة المشعلة من النار : « شهاب » ، والجمع : شُيَّب . قال الشاعر ، ووصف  
الشعري العبورَ فشَبَّها لعظم نورها بشهاب نار :

وقد غارت الشعري العبور كأنها شهابُ غَضاً يرمى به الرجوانُ  
واختار الغضا لكاء ناره ، وليس في الشجر أذكي ناراً ولا أبقى جراً منه ، يقال  
انه ربما أوقدت منه النارُ العظيمة ، ثم يرتحلون فتهمد أولاً أولاً ويبقى الجمر  
في عُقرها تحت الرماد الحين الطويل وقد هبت عليه الأرواحُ وضربت الأقطار  
فدافع عنه ما فوقه من الرماد . أخبرني بذلك غير واحد . ولا أعلم ، بعد  
الغضا ، أكثر ناراً وأقل رماداً من حطب القرظ . أخبرني غير إنسان أنهم  
كانوا يوقدون ، وهم بمصر ، يحطب السنت ( وهو قرظ ينبت بنواحي سوان ) ،  
قالوا : فكنا ربما أوقدنا به النهار كله والليل كله فلا نجد من الرماد إلا اليسير  
مع ذكاء وقوده ... والعَصَل في ذلك مثل الغضا . والعصل يشبه الدِقْل .  
وكذلك حطب المظا ، ويتخذ منه داذين يستوقد احتيقاد الشمع . ويتخذ  
من أطراف العصل قُلِي . والضُّبار أيضاً كذلك في جودة الحطب . وليس في  
الشجر اذا اشتعلت فيه النار وهو رطب أشد فرقة منه ؛ إنما هو بمنزلة الخاربيق .  
( ورقة ٢٦١ / ألف - ٢٦٢ / ألف ) .

محمد حميد الله

# ما سمعت وما رأيت

## في بلاد السوفيت

- ١ -

وجه مجمع العلوم السوفيتي دعوة الى المجمع العلمي العربي بدمشق لتكليف أربعة من أعضائه بالسفر الى بلاد الاتحاد السوفيتي ، وكانت الغاية كما جاء في نص الدعوة الاطلاع على النشاط العلمي واطلاع العلماء السوريين على نشاط المؤسسات العلمية والثقافية وحياة الشعب السوفيتي .

وقد كلف رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق كلاً من الأعضاء : الأمير جعفر الحسيني والشيخ محمد بهجة السيطار والدكتور سامي الدهان وكاتب هذه الكلمة ، وكان مني أني لم أتردد لحظة في قبول هذا التكليف الذي صادف هوى في نفسي وقد جبلت على حب السفر والسياحة في أرض الله الواسعة ، فسرعان ما تهيأت للأمر واتخذت له عدته ، ولم تمض أيام حتى أنهيت ترتيب شؤوني الخاصة في جانب المعاملات الرسمية التي انتهت في غابة من السرعة ، وغادرت دمشق صحبة الزملاء المذكورين مساء الأحد الواقع في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٩٥٤ على متن إحدى طائرات شركة SAS التي انطلقت بنا في الجو الرحب مع ركبائها الذين يربون على الخمسين ، وكانت تطوي الفضاء تملو السحب تارة حاجبة عنا رؤية اليابسة والبحر ، وتخترقها تارة أخرى دون أي ارتعاج ، ناهيك بمضيفاتها الحسناوات اللواتي تم بهن تلطيف وعشاء السفر وتخفيف وحشة الانطلاق في هذا الفضاء ، ونحن في ارتفاع عن الأرض يعدو في بعض الأحيان ألفي متر . وما هي إلا زهاء خمس ساعات من الطيران حتى حطت في مطار روما فتوقفت

فيها ساعة واحدة وكذلك فعلت في كل من جنيف وفرانكفورت و كوبنهاغن ،  
 كنا نمضي هذه الفترات من الزمن على وجه البسيطة آكلين شاربين وفاحصين  
 عن أوجه جديدة تراها وعن معروضات صناعية متنوعة تنم على ما تنتجه تلك  
 العواصم من طرائف ، الى أن انتهى بنا الطيران الى استوكهولم عاصمة بلاد  
 السويد بعد ١٤ ساعة من الطيران قطعنا بها أو قطعتم بنا مسافة ٢٦٥٠ كيلومتراً ،  
 وانتقلنا بعد إتمام الاجراءات النظامية المتعلقة بالأمن والمكوس ، الى فندق وسط  
 في صميم تلك العاصمة الجميلة ضيوفاً على شركة الطيران الاسكندنافية لنبيت ليلة  
 واحدة ثم نتابع الرحلة . وما أن أخذنا قسطاً قليلاً من الراحة حتى مرنا  
 طائفين في شوارع تلك العاصمة ، مستبضعين بعض الحوائج ، وكذلك كانت  
 دأبنا في ضحى اليوم الثاني . وغادرنا على متن الطائرة ذاتها ظهر ذاك اليوم  
 ووجهتنا الشمال الشرقي من تلك الأصقاع الشمالية إلى أن حطت الطائرة في هلسنكي  
 عاصمة فنلندا بعد ساعتين كان يملأ نظرننا خلالها مناظر الجزر المدينة التي تنص  
 بالأحراج . وفي هلسنكي ودعنا طائرتنا وودعنا ملاحوها ، وكان في لقائنا في  
 المطار بعض موظفي السفارة السوفيتية في تلك العاصمة . وانتقلنا بعد توقف ساعتين  
 من الزمن الى طائرة سوفيتية ذات محركين ، وهي دون طائرنا السابقة ذات  
 المحركات الأربعة مظهرأ وحسناً ، خلو من الزخرفة إلا أنها والحق يقال بالغة  
 حد الاتقان في حسن الطيران والمهارة البالغة في الانطلاق عن سطح الأرض  
 ومنتهى الهدوء في الهبوط ، والغريب في الطيران السوفيتي عامة أنه لا يطلب فيه  
 الى الركاب أن يؤثفوا بوثاق المقعد كما هو الشأن في سائر الطيارات ، كما أنه  
 ليس ثمة أي تحذير من التدخين إبان صعود الطائرة وهبوطها ، في جانب الراحة  
 التامة التي يشعر بها الراكب مع النقص الظاهر في كل ما يدعى كإلياً . وبعد  
 طيران ساعة ونصف الساعة كنا نتمتع البصر في منظر الأحراج الكثيفة والجزر  
 الصغيرة المبعثرة في الخضم ، هبطت الطائرة في مطار لينتغراد ، ومرعان ما صعد



اليها أحد موظفي الأمن السوفيتي محيياً وفاحصاً جوازات سفر الركاب الذين لم يكن عددهم ليزيد عن العشرين بينهم بعض الضباط برتب كبيرة . ولم تستغرق هذه المعاملات الشكائية سوى دقائق ، أذن لنا بعدها بالنزول من الطائرة ، وصرفنا مع ركاب الطائرة تتقدمنا سيده من موظفات المطار الى قصر قديم قبل إنه من بقايا عهد القيصرية ، فيه مطعم فسح جلوسنا والرفاق على إحدى موائده حيث تناولنا العشاء وعدنا بالترتيب نفسه الى الطائرة التي حلقت بنا في سماء ليننغراد باتجاه موسكو ، فلاحنا لنا أنوارها عن بُعد بعد ما يقرب من ساعة واحدة ، ولم تمض سوى ٤٥ دقيقة إلا وحطت الطائرة عصى الترحال في المطار . وما ان نزلنا من الطائرة حتى لقينا في استقبالنا لفيغا من أعضاء مجمع العلوم السوفيتي يرافقهم بعض التراجمة وفيهم من يتكلم العربية الفصحى ، وهو شاب أسمر اللون طويل القامة عرفنا أنه آشوري الأصل بقيم في تلك البلاد منذ سنين ، ورجعنا أن تكون اللغة الفرنسية لغة التفاهم مع التراجمة الذين خصصوا لمرافقتنا باعتبار أن زملاءنا يتقن أكثرهم هذه اللغة . وألقى أحد المستقبلين كلمة بالروسية مرحباً بنا باسم مجمع العلوم السوفيتية ، ترجمت الى العربية من قبل الترجمان الذي تقدم ذكره ، فرد عليه رئيس الوفد الأمير جعفر الحسيني بكلمة مناسبة شكر للمستقبلين حسن الاستقبال ، نقلها الى الروسية الترجمان الآشوري ، ولكننا فضلنا بعد ذلك كما هم فضلوا أيضاً أن تكون لغة التفاهم معهم الفرنسية ، لا سيما وان ترجمة روسية اسمها ناديا ( وتلفظ في الروسية نادين ) كانت الترجمانة المفضلة لحسن ترجمتها وصرعتها فيها بما يثير الإعجاب .

لم تفتح حقائبنا ولم يجر أي بحث عما معنا أعطينا سيارتين أفلتانا بعد سير نصف الساعة من المطار الى المدينة في طريق عريضة وحسنة الإضاءة ، استدعى انتباهنا في طريقنا بناء جامعة موسكو الذي يقرب طراز بنائه من طراز ناطحات السحاب ، والشوارع التي اجتزناها كلها فسيحة ونظيفة ، الى أن توقفت سيارتانا أمام الفندق الذي خصص لقمنا في موسكو ويعرف بفندق سافوي .

والذي علمناه فيما بعد أن هذا الفندق هو أحد الفنادق الكبيرة المعدة لاستقبال الأجانب تتبع مصلحة عامة من مصالح الدولة اسمها اينتوريست ومعناها السياح الأجانب وعددها في موسكو ثلاثة وسيضاف إليها فندق رابع جديد لعله من أعظم الفنادق في أوروبا . يقف على باب كل من هذه الفنادق شرطي يتناوب واحد زملائه ليلاً ونهاراً لا يفارقه أبداً .

وقد خصص لكل منا غرفة فسيحة تكاد تكون جناحاً خاصاً تشتمل على بهو للاستقبال حسن التأثيث مع يمانو ، في جانب غرفة المنام والحمام وتوابعه . والمطعم في الطابق الأرضي وكانت غرفتنا موزعة بين الطابقين الأول والثاني . لقد كان وصولنا الى موسكو مساء الثاني من تشرين الثاني ١٩٥٤ ونظم برنامج زيارتنا في اليوم التالي بأن زارنا الموفد من قبل مجمع العلوم وقدمت الى كل منا الخطوط الرئيسية للبرنامج المعد تاركين الينا الخيار فيما تقدمه في جانب ذلك . والبكم برنامج تلك الزيارة مترجمة عن الفرنسية :

الثلاثاء ٢ / ١١ الساعة ٢١٦٢٠ قدوم الوفد الى موسكو

الأربعاء ٣ / ١١ الساعة ١١٦٠٠ النقاش مع الوفد في برنامج الإقامة في الاتحاد السوفيتي

الساعة ١٥٠٠ زيارة العاصمة

الساعة ١٩٦٣٠ اوبرا (غالكا)

الخميس ٤ / ١١ الساعة ١٠٠٣٠ المعرض الزراعي

الساعة ١٥٠٢٠ متحف الثورة

الساعة ٢٠٦٠٠ السيرك

الجمعة ٥ / ١١ الساعة ١٠٠٣٠ معهد العلوم الشرقية

الساعة ١٠٠٣٠ المعهد الطبي

الساعة ١٦٦٠٠ الاستقبال في مجلس مجمع العلوم للاتحاد

السوفيتي

|                                    |         |                          |                               |
|------------------------------------|---------|--------------------------|-------------------------------|
| الجمعة                             | ٥ / ١١  | الساعة ٢١ و ٣٠           | بأله « بحيرة اليجع »          |
|                                    |         | الساعة ١٠ و ١٥           | معهد الآداب الدولي            |
| السبت                              | ٦ / ١١  | الساعة ١١ و ١٥           | مكتبة لينين                   |
|                                    |         | الساعة ١٦ و ٠٠           | السينما                       |
|                                    |         | الساعة ٩ و ١٥            | الساحة الحمراء                |
| الأحد                              | ٧ / ١١  | الساعة ١٩ و ٣٠           | أوبرا                         |
| الاثنين                            | ٨ / ١١  | الساعة ١٠ و ٠٠           | قاعة الصور لثربنا كوف         |
|                                    |         | الساعة ١٦ و ٠٠           | حفلة موسيقية                  |
|                                    |         | الساعة ٢٠ و ٠٠           | حفلة موسيقية في الكونسرواتوار |
| وقد ترك هذا اليوم في الأصل فارغاً  |         |                          |                               |
| ثم جرى ملؤه بعد موافقة أعضاء الوفد |         |                          |                               |
| الثلاثاء                           | ٩ / ١١  | الساعة ١١ و ٠٠           | معهد طبي                      |
|                                    |         | الساعة ١٢ و ٠٠           | فرع العلوم التاريخية          |
|                                    |         | الساعة ١٥ و ٣٠           | معهد اللغات                   |
| الأربعاء                           | ١٠ / ١١ | الساعة ١٠ و ٣٠           | جامعة موسكو                   |
|                                    |         | الساعة ١٢ و ٠٠           | معهد طبي                      |
|                                    |         | الساعة ١٩ و ٠٠ — ٢٠ و ٠٠ | الاستقبال في المفوضية السورية |
| ( وقد ترك في الأصل مكانه فارغاً )  |         |                          |                               |
| الخميس                             | ١١ / ١١ | متوديو                   |                               |
| الجمعة                             | ١٢ / ١١ | الساعة ١٠ و ٣٠           | معمل السيارات                 |
|                                    |         | الساعة ١٠ و ٣٠           | معهد طبي                      |

ونظم برنامج مماثل في زيارة كل من لينغراد وستالينغراد وطاشكند ، وهو يبدأ من التاسعة والنصف أو العاشرة صباحاً حتى الرابعة عشرة ، ومن الساعة الخامسة عشرة والنصف حتى التاسعة عشرة والنصف مساءً ، ولم يتخل ليلة من



الليالي من السهر في أحد الملاهي من نوادي موسيقية الى أوبرا ودور التمثيل أو السيرك ، ولم يترك لنا من الفراغ سوى ساعات الطعام والنام ، وانقردت عن رفاقي الثلاثة ببرنامج خاص تتضارب أوقاته وأدقات الزيارات الأخرى في معظم الأحيان ، كان يشمل على زيارة بعض المؤسسات الطبية والمشافي ، كما أنه قد جرى بعض التعديل الطفيف في البرنامج بإضافة زيارة بعض الأماكن لم تلاحظ في البرنامج المرسوم .

غادرنا موسكو مساء السبت ١٣ من تشرين الثاني بالقطار الى ليننغراد وحلنا في نزل استوريا وبعد قضاء خمسة أيام فيها عدنا في ١٨ من الشهر بالقطار أيضاً الى موسكو حيث زرنا أماكن أخرى لم تكن في البرنامج السابق وفي صباح ٢٢ من تشرين الثاني غادرناها بالطائرة الى ستالينغراد ومكثنا فيها ٣ أيام عدنا بعدها بالطائرة الى موسكو ، وتركناها بعد استراحة ليلة واحدة وبالطائرة الى طاشكند في ٢٥ تشرين الثاني قضينا يوماً واحداً في سمرقند وعدنا في ٢٩ منه الى موسكو وزرنا في هذه المرة إحدى التعاونيات الزراعية وأقيمت لنا حفلة وداع رسمية في مجمع العلوم السوفيتي مساء ٣٠ من تشرين الثاني وغادرنا موسكو نهائياً على متن إحدى الطائرات الروسية الى هلسنكي بعد أن ودعنا في مطار موسكو لفييف من أعضاء مجمع العلوم وبعض المستشرقين الذين تعرفنا عليهم إبان مقامنا في العاصمة المذكورة ، وبعد أن هبطت الطائرة في مطار ليننغراد مكثنا فيه ساعة واحدة تناولنا خلالها طعام الغداء . وفي هلسنكي انتقلنا الى إحدى طائرات الشركة السكندبنافية ذات المحركات الأربعة متجهين الى ستوكهولم التي لم نمكث فيها سوى ثلاث أيام زرنا خلالها بعض معالمها وانقردت بزيارة أحد المستشفيات فيها وفي ٤ من كانون الأول غادرنا ستوكهولم الى كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك حيث قضينا فيها ٥ أيام وزرنا خلالها بعض المتاحف والمستشفيات وغادرناها على متن إحدى طائرات الشركة السكندبنافية في ٨ من كانون الأول

عائدين الى دمشق بعد توقف ساعة واحدة في كل من فرانكفورت ومونيخ  
واستانبول وبيروت .

### بلاد الاتحاد السوفيتي

سوفيت ( Soviet ) بالروسية معناها المجلس ، وأطلق في الأصل على مجلس  
مندوبي العمال والجنود الذي عقد في بتروغراد ( لينتغراد ) خلال الثورة الروسية  
عام ١٩١٧ ، ثم على الدولة الروسية في النظام البولشيفيكي . كما انه أطلق اتحاد  
الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية U. R. S. S. على الاتحاد الفيدرالي الذي يجمع  
بلاد روسيا القيصرية وما انضم اليها من بلاد مجاورة ، بلغ عددها ١٦ دولة .  
وهي تعد بحق ( على حد قول لينين ) عالمًا قائمًا بذاته لا من حيث اتساع  
مساحة البلاد فحسب ، بل بعدد السكان ناهيك بالموارد الطبيعية والامكانيات  
الصناعية ، فبالسعة تبلغ مساحة هذه البلاد ضعف مساحة الصين وأضعاف الولايات  
المتحدة و ٣٠ ضعفًا من مساحة فرنسا . وتبلغ من الطول زهاء ١٠٠٠٠ كيلومتر  
( ما يقرب من ربع محيط الأرض ) ومن العرض ٦٠٠٠ كيلومتر . وتوازي  
جنوبًا الخط ٣٥ وشمالًا الخط ٨٠ مما يجعلها أوسع من أمريكا الشمالية بكاملها .  
وقد رت مساحة البلاد السطحية بـ ٢١٩٢٣٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع بما يقارب  
من سدس اليابسة بأجمعها . ويجعل هذا الامتداد الهائل لبلاد الاتحاد السوفيتي  
ان فرق الساعة يبلغ بين أقصى طرفيها ١١ ساعة ، إذ عندما ينتصف النهار  
في موسكو تكون الساعة في الحدود الروسية البولونية ١١ بينما هي ٢٢ في  
مضيق بيرينغ ، وليس الفرق في الساعة بين باريز وتوكيو بأكثر من ٥ ساعات .  
ومع هذا الامتداد الوحيد في نوعه في العالم كله ، فان لبلاد الاتحاد السوفيتي  
من المناخ ما يكاد يكون متجانسًا ، وهي خلافا لما هو باد في معظم بلاد القارة  
الأوروبية من سهولة الانتقال القريب من بلد يختلف عن سواه اختلافا يينا في  
درجة الحرارة وحالة الجو وما الى ذلك من الفوارق التي تبدو بجلاء في بعض

البلاد ( كفرنسا مثلاً ) فان بلاد الاتحاد السوفيتي الشاسعة ليوجد بين أطرافها المترامية تشابه في الاقليم والمناخ . والثلج يستر أرضها كلها في الشتاء بشكل بسيط واسع يمتد من الشمال بالقرب من أصقاع القطب الشمالي حتى الجنوب في سواحل البحر الأسود ، ولا ينبجو من يرده القامي سوى بعض السواحل من شبه جزيرة القوقاز المحمية بسلسلة من الجبال يجعلها تنعم ببعض الدفء في الشتاء <sup>(١)</sup> . ويصعب تحليل السبب في هذا المناخ القامي والمتشابه عندما يكتفى بالقاء نظرة عابرة على مواقع تلك البلاد بالنسبة الى ما يحاورها من بلاد القارة الأوروبية ، والخرائط التي بين أيدينا لا تتيح لنا معرفة موقع موسكو بالضبط ، فبينما تشير هذه الخرائط الى أن العاصمة المذكورة في مستوى باريز أو في الجنوب منها قليلاً ، نراها في الحقيقة تقع شمال باريز بـ ٨٠٠ كيلومتر ، ولينغراد شمال باريز بـ ١٤٠٠ كيلومتر ، ولا يوازي باريز في خط الطول سوى ستالينغراد وان يالطة الواقعة في أدنى جنوب البلاد توازي الخط المار من بوردو ، مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي بمجموعها ذات مناخ شمالي بالنسبة الى سائر بلاد القارة الأوروبية .

وتمتاز بلاد الاتحاد السوفيتي في جانب هذا المناخ الموحد والسعة المنقطعة النظير بكثرة عدد السكان أيضاً . ففي أطلس او كسفورد ( the Oxford atlas ) طبعة ١٩٥٤ ان عدد سكان هذه البلاد هو ١٩٣٠٠٠٠٠٠٠ استناداً الى إحصاء سنة ١٩٤٦ ، وبغلب اللغز ( كما يؤكد ذلك المطلعون ) ان هذا الرقم قد ارتفع الى ٢٢٠ مليوناً في الوقت الحاضر . ولم يبلغ هذا العدد سوى ١٢٠٠٠٠٠٠٠٠ في إحصاء سنة ١٩٣٩ ، واذا كان مرد بعض هذا الفرق الى اندماج بعض دول البaltic وبولندا وفنلندا واحدى مقاطعات رومانيا <sup>(٢)</sup> ، فإنه مما لا شك فيه

(١) تبلغ درجة الحرارة الوسطى في يالطة + ٣,٥ في كانون الثاني و - ١٥,٤ شمالي سلسلة الجبال التي تحمي هذه البقعة ( استراخان ) .

(٢) يروي تقويم ( Wheataker ) ان الاندماج الذي تم سنة ١٩٤٠ قد زاد في مساحة الأرض الى ٩,١٣٨,٠١٢ ميلاً مربعاً وعدد السكان الى ١٨٢,٥٦٥,٠٠٠ مما يجعل نصيب كل ميل مربع ٢٠ شخصاً .



ان عدد السكان في بلاد الاتحاد السوفيتي آخذ بالزيادة المطردة بعد أن تحسنت الحالة الصحية في البلاد تحسناً ملحوظاً وقفي نهائياً على الأوبئة المستوطنة في بعض المقاطعات وما تعني به الحكومة من تطبيق أساليب الوقاية من العلال والأمراض المختلفة بما تكاد تكون الوحيدة من نوعها في العالم أجمع ( وسأشرح ذلك في بحث خاص ) .

واذا قيس عدد السكان بمقتضى إحصاء سنة ١٩٣٩ مع عدد السكان في الأقطار لوجدنا ان الرقم المذكور يساوي نصف عدد سكان الصين وهودون عدد سكان الهند ( سنة ١٩٣٩ ) بكثير ، إلا انه يزيد على عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٤٠ مليوناً ، ويبلغ أكثر من ضعف عدد سكان اليابان ، وثلاثة أضعاف والنصف من عدد سكان بريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية . مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد أكبر البلاد الآهلة بالسكان في العالم ، نجد مواطناً سوفيتياً بين كل عشرة من سكان العالم . ومع ذلك فانه ما يصيب الميل المربع من السكان لم يكن سوى ( ٢١ ) سنة ١٩٣٩ وأصبح ( ٢٤ ) سنة ١٩٤٦ وهو أعظم بكثير مما هو عليه في كندا ( ٣ ) في كل ميل مربع ) أو استراليا ( ٢ ) ولكن أين منه في عدد المملكة المتحدة ( ٥٠٩ ) ومن اليابان ( ٤٠٠ ) وإيطاليا ( ٣٤٣ ) والمانيا ( ٣٤٧ ) سنة ١٩٣٩ والصين ( ٢٣١ ) وبولندا ( ٢٣٣ ) وفرنسا ( ١٩٧ ) والولايات المتحدة ( ٤٤ ) . ولا يغرب عن البال من ان في بلاد الاتحاد السوفيتي مساحات كبيرة متجمدة لا يمكن الاستفادة منها في جانب الأبحاث الكبيرة البكر ، تخلو هذه وتلك من السكان مما ينبغي معه إسقاطها من مجموع المساحة السالفة . وعلى ذلك فاذا نظر الى البقاع الصالحة للزراعة وحدها بلغت كثافة السكان بنسبة ١١٢ لكل ميل مربع ، مقابل ٩١ في الولايات المتحدة . ومع ذلك لا تجد بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد البلاد الكثيفة السكان بل على العكس قليلتها .

وليس توزع السكان واحداً في جميع الأنحاء ، فناحية موسكو التي تكثر فيها المراكز الصناعية يصيب الميل المربع من مساحة أرضها ٢٥٩ شخصاً ، وفي أوكرانيا ذات التربة السوداء ( Chernozion ) التي لا تماثلها في الخصب أي تربة أخرى يختلف نصيب الميل المربع فيها بين ١٥٠ و ١٨٠ شخصاً ، ويبلغ هذا العدد ١٣٠ في المقاطعات المتاخمة لنهر الفولغا . أما في سيبيريا فاذا تركنا جانباً بعض النواحي الصناعية فإن كثافة السكان فيها لا تخطي ٢٥ أو ٤٠ حتى في الجنوب الغربي ، وهي أقل بكثير في البقاع المركزية وفي الجنوبية الشرقية .  
وتختلف نسبة كثافة السكان في تركستان وفي القوقاز بين ٩٥ و ١٥٠ شخصاً في الميل المربع ، كما أن من الأماكن النائية ما تكاد تخلو من السكان تماماً ( صحاري الأورال ) وعلى الجملة إن كثافة السكان تتدنى من الغرب إلى الشرق ولو تشابهت البلاد في المناخ .

وتتشابه مرامي السياسة في البلاد وسياسة العهد القيصري ، في صهر الأقوام المختلفة باللغات والعادات والدين في بوتقة الاتحاد السوفيتي ، واللغة الروسية هي هي السائدة في جميع جمهوريات الاتحاد ولو تمتع بعض هذه بما يسمى بالاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي . وعدد هذه الجمهوريات الآن ١٦ موزعة نفوسها كما يلي :

| اسم الجمهورية | عاصمتها | عدد النفوس  |
|---------------|---------|-------------|
| روسيا         | موسكو   | ١٠٩٦٢٨٠٦٠٠٠ |
| أوكرانيا      | كييف    | ٤٠٦٠٠٠٦٠٠٠  |
| روسيا البيضاء | ميفسك   | ١٠٦٣٨٦٦٠٠٠  |
| جورجيا        | تفليس   | ٣٦٥٤٠٦٠٠٠   |
| أرمينيا       | اريفان  | ١٦٢٨٢٦٠٠٠   |
| آذربايجان     | باكو    | ٣٦٢١٠٦٠٠٠   |

| عدد النفوس | عاصمتها     | اسم الجمهورية |
|------------|-------------|---------------|
| ٦٦١٤٦٠٠٠   | آلا آتا     | قازاقستان     |
| ١٦٥٠٠٦٠٠٠  | فرونز       | قيرخيزستان    |
| ١٦٢٥٤٦٠٠٠  | عشق آباد    | تركمستان      |
| ٦٦٣٠٠٦٠٠٠  | طاشكند      | اوزبكستان     |
| ١٦٤٨٥٦٠٠٠  | متالينا باد | طاغستان       |
| ٤٧٠٦٠٠٠    | فليوري      | كاريلوفنلاند  |
| ٢٦٢٠٠٦٠٠٠  | كيشنف       | مولدافيا      |
| ٢٦٨٨٠٦٠٠٠  | فيلنا       | ليتوانيا      |
| ١٦٩٧١٠٠٠٠  | ريغا        | لاتافيا       |
| ١٦١٣١٠٠٠٠  | تالين       | استونيا       |

( للبحث صلة )

الدكتور حسني سبيح



# ايوانية البحري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

- ٣ -

(فهو يُبدي تجلداً عليه كَأَكَلٍ من كَلالِ الدهرِ مُرمي)  
(الكلكل) الصدر ، والبعير إذا يرك وألقى ثقله على الأرض فانما يكون  
مركز الثقل تحت كلكله ، فاتخذ البلفاء الكلكل مثلاً لشدة الوطأة وقوة الضغط  
(مالي ولله يرميني بكلكله)  
و (مرمي) اسم فاعل من أرمى الشيء ورماً : ثبت ورَسَخَ ومنه رست السفينة .  
والمعنى أن إيوان كسرى كالرجل العاقل يبدي الصبر والتجلد على شدائد الدهر  
أمام الناس ، حالة كونه رازحاً تحت كلكل عظيم من كلال الدهر أطبق عليه .  
(لم يعبه أن يُزَّ من بَسَطِ الديباج واستل من سنور الدِمَقْسِ)  
(يَزَّ) سلبه ومنه المثل (من عزَّ يَزَّ) وربما كان أصل معنى فعل (يَزَّ)  
سلبه يَزَّ أو يَزَّته أي ثيابه . ثم عم استعماله في كل سلب . ومن التوارد  
في ذلك كلمة (dérober) الفرنسية فانها بمعنى سلبه وبديهي أن أصل معناها  
سلبه ثوبه . وُزَّ واستل في بيت البحري مجهولان . والدِمَقْسِ الحرير أو الأيض  
منه . يقول : إن الإيوان لم يعبه أن سلب وجرد من بسط الديباج ولا أن استل  
وعرّي من سنور الحرير . أي إذا كان في زمن سكاته الأكامرة مفروشا  
بالبسط ومجللاً بالسائر وأصبح بعدم معرفتي منها فليس ذلك بمزٍ به ، ولا  
حاطاً من قدره . إذ أن له الآن من جلالته وروعته ما يكسوه مهابة في النفوس  
فوق مهابته مذ كان مغطى بالحرير والديباج .  
(بشمتخيره تعلو له شرفات رُفِعَتْ في رؤوس رَضوى وقُدس)

المشمخر من الجبال : المرتفع العالي ، ومنه قول البديع في قصيدة بشر بن عوانة :  
 نحر مضر جاً بدم كائي هدمت به بناء مشمخراً  
 و ( رضى ) بفتح الراء جبل بين مكة والمدينة على مسيرة يوم من ينبع .  
 و ( قدس ) بضم القاف جبل عظيم بأرض نجد : أي إن ذلك الإيوان عال  
 مرتفع كأنما شرفاته مرفوعة على رؤوس ذينك الجبلين . وهذا كقول عنتره  
 في البطل الذي قتله :

( بطل كأن ثيابه في مروح )

أي إنه طويل القامة كأن ثيابه ملقاة على شجرة من شجر السرح .  
 ( لابسات من البياض فما تبصر منها إلا غلائل برس )  
 قوله ( لابسات ) صفة للشرفات . وشرفات القصر أعاليه المحيطة بأجاره .  
 والإجار السطح وجمعه أجاجير . والمراد من ( البياض ) الثياب البيض ، يقال  
 فلان ( بلبس السواد والبياض ) . والغلائل جمع غلالة : الثوب . والبرس بكسر  
 الباء وتضم : القطن يقال ( طار له لغام كالبرس المندوف ) واللغام الزبد الذي  
 يظهر على قم البعير . وهو كالرؤال للفرس وكاللغاب للإنسان . وفي بعض النسخ  
 أيضاً ( لفائف برس ) جمع لفيفة ما الثف واجتمع من الشيء . ورواية الغلائل  
 أحسن الروايتين ، وقد جاءت فائبة ( البرس ) في معارضة شوقي مضافة الى  
 العصائب مذ قال :

( جلّ الناج دونها رأس ( شيرى ) فبدا منه في عصائب برس )

والعصائب جمع عصاية : مندبل يعصب به الرأس والعمامة نفسها تسمى عصاية أيضاً .  
 أما ( شيرى ) فهو اسم جبل ويظن ان اسمه أعني شيرى محرف من كلمة ( منشار )  
 العربية وكانوا يطلقونها أي كلمة منشار على سلسلة الجبال . وجاءت ( برس )  
 أيضاً في لزوميات المعري قال :

لباسي البرس فلا أخضر ولا خلقي ولا أدكن

يقول : إنه يلبسُ من الثياب البسيطة : فلا يلبس ثياب الشهرة ولا ثياب أهل الترف ولا الصوقية .

ومعنى بيت البحتري أن شرفات الايوان تجليت من الكلس ثياباً بيضاً ، فلا يقع نظرك منها إلا على غلائل قطن أبيض ، أو على ( كُتَب ) غزل من قطن أبيض أو على سبائب أي لفائف من قطن أبيض مندوف . أما شوقي في شعره فجعل الثلج على رأس جبل ( شيرى ) عمامة متخذة من نسيج قطن وهو ما يسمى الشاش أو الشمق بالتركية .

( ليسُ بدرى أصنعُ إنسُ لجنِّه سكونه أم صنعُ جنِّ لا إنس )  
أي ان الناظر الى الايوان يحار فيمن بناء ولا في غرض بني هل هو مما بَنَتْهُ الإنس للجن أو الجن للإنس . أما إنه من بناء الجن للإنس فظاهر لأن البشر اعتادوا أن ينسبوا كل بناء نفخ عظيم الى صنع الجن ، من ذلك قول النابغة في تدمر :

إلا سليمان إذ قال الإله له      قم في البرية واحدهما عن القند  
وختيس الجن إني قد أذنت لهم      يبنون تدمر بالصفاح والعمد

فلا عجب اذا توهم البحتري أن الايوان من صنع الجن بنوه للأكامرة . أما توهمه في كونه من بناء الإنس للجن فمغزاه أن البشر إنما يسكنون في قصور وأبنية معهودة لنا ، وضخامة الايوان وارتفاع طاقه وعلو قصوره وجدرانه كل ذلك لم نعهد مثله لسكنى البشر ، فلم يبق إلا أن الإنس بنوه لمخلوقات غريبة من غير جنسنا وهم الجن ، فهو يرتاب في أن الأكامرة كانوا يسكنونه ويقول في نفسه ربما كان الجن هم الذين سكنوه وعمرووه .

( غير أني أراه يشهد أن لم يكُ بانيه في الملوك ينكس )  
( النكس ) الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . وضمير أراه يرجع الى الايوان فالبحتري يقول إني معها ترددت في أمر صانع الايوان وفي غرضه



من تشييد هذا البناء العظيم فلن أتردد في حقيقة يشهد لي بها الإيوان نفسه وهي أن بانيه لم يكن زكسًا دينيًا ضعيفًا في الملوك . فنحن إذا لم نعرف الباني عرفنا عظمته من أثره الذي تركه لنا وهو هذا البناء .

إت البناء إذا تعظم قدره أضحي بدلًا على مقام الباني

( فكأنني أرى المراتب والقو م إذا ما بلغت آخر حسي )  
قوله ( فكأنني انخ ٠٠٠ ) شروع في وصف مشهد آخر من مشاهد الإيوان لم يره بعيني رأسه وإنما رآه بعيني خياله وتوهمه ، ذلك أنه تخيل كسرى في مجلس له عام اتخذ في فضاء الإيوان حيث لا تظلمهم سقوف ولا كنان . وقد شهدت هذا الاجتماع طبقات مختلفة من رعيته : عظماء المملكة ووفود الأقاليم والندماء والحظايا والقيان وغيرهم ممن لفهم هذا الزحام الذي تمثلته الشاعر في نفسه ، كأنه مشاهد ملوس . ويحتمل أن يكون رأي صورة في جدران الإيوان تمثل هذا المجلس تمثيلًا رآه بعيني رأسه . لكنه بالطبع ليس حقيقيًا ومن ثم جاز له أن يقول فكأنني وكأنني أي كأنني أرى كسرى وقومه بأنفسهم لا برسومهم وصورهم . فتكون أرى بصرية وقد حذف كلمة ( حقيقة ) التي هي حال من المفعول . ويؤيد هذا المعنى البيت الآتي ( وكأن الذي يريد اتباعًا انخ ٠٠٠ ) على ما سيأتي في شرح معناه . فهو يقول إني إذا أجهدت نفسي واستنفدت آخر قوة من قوى شعوري وحسي كنت كأنني أرى مراتب منسقة درجات درجات وقد تبوأها القوم بحسب منازلهم وأقدارهم : من وزراء كسرى وموابدته وأساورته وعظماء مملكته . والراتب في قول الجيتري أراد بها جمع مرتبة وهي صدر المجلس وتكون المراتب بمعنى مناصب الدولة كما قال الرضي :

ومن عجب صدود الحظ عنا إلى المنعمين على الخزايا

ففاقوا في المراتب والمعالي وقفنا في الضرائب والسجايا

ثم شرع ( أي الجيتري ) في وصف ما رآه من اجتماع الناس في هذا المجلس خيالاً محضاً أو صوراً مخيلة نقال :

(وكان الوفود ضاحين حسرى : من وقوف خلف الزحام وجلس .)  
 (ضاحين) جمع ضاحي من ضحّا يضحُّ أو من ضحّبي يضحى إذا برز  
 للشمس ووقعت عليه أشعتها . و (حسرى) جمع حسير وهو الكليل المني  
 و (وقوف) جمع واقف و (يجلس) بكسر الجيم المجالس . وهو يقع على  
 الواحد والجمع والمؤنث والمذكر . يقول الشاعر إنه حين طاف في أنيسة  
 الإيوان وتخلل ساحاته مثل له الخيال أو أنه رأى رسماً يمثل جلوس كسرى  
 الى عطاء مملكته في تلك الساحات وخيل اليه أن وفوداً من أقاليم بلاده شهدوا  
 حقيقة ذلك الاجتماع فكان منهم المجالس لملك ومنهم من لم يجد محلاً لجلوسه  
 فبقي واقفاً خلف الزحام . وكلهم بارزون للشمس تعبّون معيون . وتعبهم  
 الذي تخيّل الشاعر إما بسبب مجيئهم من بلاد بعيدة فيكونون قد أتعّبهم المسير  
 والإسراع فيه لئلا يفوتهم شرفُ شهود هذا الاحتفال . أو أن تعبهم ناشئ  
 عن فرط الزحام مع التعرض لحرارة الشمس . وفي أكثر النسخ (خفس)  
 بالخاء والنون مكان جلس . بالجيم واللام . و (جلس) رواية معجم البلدان  
 طبع أوربا . أما (خفس) فهي في النسخ الأخرى . واشتقاقها من خفس  
 إذا تأخر وتنجى . والخافس المتأخر : فيكون المعنى أن رجال الوفود لما لم  
 يجدوا مكاناً يجلسون فيه ظلّوا واقفين خلف الزحام . ومنهم رجال تأخروا  
 وتنحّوا عن أولئك الواقفين ، إذ لم يمكنهم أن يبلغوا محل الزحام أيضاً . ويحتمل  
 أن يكون قوله (خفس) من خفس من بين أصحابه إذا استخفى وتوارى ،  
 ويكون المراد بهؤلاء طائفة النساء اللواتي كن مستخفين عن الأنظار وبينهن  
 القيان كما يأتي :

(وكان القيان وسط المقاصير يرجعن بين حور ولعس .)  
 لم يقف الخيال بالشاعر عند حد ما رآه في الساحة الكبرى وإنما تجنّس به  
 الى القيان أي المغنيات اللواتي كن في المقاصير جمع مقصورة وهي الغرف

المقصورة على النساء لا يدخلها غيرهن . فالشاعر رأى بجهالة أو بعينه صورة  
خيالات له القيان في المقاصير وهن 'يرجعن في الغناء أي 'يردن أصواتهن في  
حلوقهن تفتننا وإبداعاً في الصنعة . ثم وصف الشاعر هؤلاء القيان بالحسن  
والجمال واقتصر من أوصاف حسنهن على وصف الحوة واللثام فقال : إنهن كن  
( حواء ) جمع حواء ( لثام ) جمع لثام . والحوة واللثام وكذلك اللثام  
ثلاثتها بمعنى واحد : وهو أن يضرب احمرار الشفة الى السواد فإن ذلك من  
المستلح عند العرب ، ويظهر أن جدتنا الأولى ( حواء ) كان فيها هذا الضرب  
من الملاحظة فكانت شفتاها ضاربتين الى السواد ولذا سميت ( حواء ) . وكذلك  
جدنا الأول آدم ( صلوات الله عليه ) كان أسمر اللون لأن اشتقاق اسمه من  
( الأدمة ) وهي السمرة . أما ان الحوة واللثام واللثام بمعنى واحد فدليله  
قول ذي الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لثام وفي لثامها شنب  
فهو قد قال عنها انها لمياء أي ذات لثام ثم فسر لنا معنى اللثام فقال ان  
في شفتيها وفي لثامها حوة وكأنه نظر بعين الغيب اليها والى قصورها في فهم  
معاني كلمات لغتنا فأبدل من الحوة كلمة ( اللثام ) تفسيراً لها . أما ( الشنب )  
فهو يرد ورقه وماء في الأسنان . وقد جمع أحمد شوقي في معارضته لهذه  
القصيدة بين الكلمتين أيضاً فقال :

لا تحسن العيون فوق ربابها غير حور حور المرافف لثام  
ومن أنواع البديع نوع يسمى ( الأحاجي ) وهي من قبيل الألفاظ : تعتمد  
الى كلمتين مستقلتين وتسال مخاطبك على كلمتين مرادفتين لها بحيث يتألف منها  
كلمة واحدة مستقلة في معناها فتقول له مثلاً أحاجيك في ( انهض انهض )  
فتقول ( قم ) وهو اسم للإهواء المعروف . وتقول له أحاجيك في ( سار في  
الليل مدة ) فتقول في الجواب ( سراحين ) جمع سرحان بمعنى الذئب . ويسألك  
عن ( اسكت ارجع ) فتقول صباه ، ثم يسألك شعراً :



يا من له حسن لفظٍ    تثني عليه الثاني  
ما مثل قول المحاجي    أحوى الشفاء جفاني

جوابه (العسقلاني) وهو اسم ابن حجر المحدث المشهور فقوله : (أحوى الشفاء) يراد فيه (العس) وقوله (جفاني) يراد فيه (قلاني) فإذا جمعت بين (العس) و (قلاني) تألف منهما اسمٌ واحد مستقلٌ وهو (العسقلاني) . والفرض من هذا البيان إثبات أن الحوة واللّمس شيء واحد وأن قول البحري بين (حورٍ ولّس) هو من قبيل عطف التفسير . وبناءً على هذا يرد على البحري اعتراض نحويٍّ، وهو أن كلمة (بين) لا تضاف إلا إلى متعدد وقد وقعت (أي بين) في كلامه مضافةً إلى شيء واحد لا متعدد فهو يقول إن تلك القيان من ما بين نساء حورٍ لّس أي نمر الشفاء ثم سكّت وكان من المنتظر أن يقول كن بين نساء حوٍ لّس ونساء آخرٍ حورٍ الحدود مثلاً . وقد يقال في الجواب انه ذكر الموصوفات بالحوة واللّس وسكّت عن الباقيات ليذهب الدهن في تعيينهن كل مذهب ، كأنه قال بين حورٍ لّس وبين غيرهن من ذوات الأوصاف المختلفة . هذا وربما كان المعنى الصحيح للبيت غير ما ذكرناه ، وهو أن (بين) هنا ليست لتبويب القيان وتقسيمهن إلى لّس وغير لّس وإنما هي هنا ظرفيّة بمعنى وسط والمراد بالحوة اللّس نساء القصر كلهن فالشاعر يقول إن المغنيات كن يرددن أصواتهن في وسط نساء القصر اللواتي كان أظهرُ أوصافهن وأملحها حوة شفاهن ولّسها .

(وكان اللقاء أول من آمنس ووشك الفراق أول أمس.)

مغزى هذا البيت والذي بعده دقيق جداً : وهو منتزع من خيال غاية في السمو والطف المأخذ : ذلك أن الشاعر لما تمثّل أو رأى كسرى وعظاء مملكته ووفود أقاليمه ونساء قصره كأنهم أمامه حقيقة يرى مراتبهم وأوضاعهم بل كلّهم وإعياءهم ويسمع قياتهم كما يرى الحو اللّس من نساؤهم - تمثّل

ذلك كله قريباً من زمنه الذي هو فيه حتى كأنّ لقاءهم واجتماع بعضهم لبعض كان أول من أمس أي قبل ثلاثة أيام ثم تفرقوا أول أمس أي قبل يومين . أما استعمال أمس وأول من أمس فقد أوضحه صاحب لسان العرب بقوله ( تقول ما رأيتُه مذ أمس - فإن لم تره يوماً قبل ذلك قلت ما رأيتُه مذ أول من أمس . فإن لم تره يومين قبل ذلك قلت ما رأيتُه مذ أول من أول من أمس ) . ولكن الظاهر من هذا الكلام أنه لا فرق بين ( أول أمس ) و ( أول من أمس ) أما في شعر المجتري فيُفهم أنه فرّق بينهما فهو جعل اللقاء والفراق في يومين : ( أول أمس ) الفراق و ( أول من أمس ) اللقاء . فأول أمس قبل يوم . وأول من أمس قبل يومين . فهل له دليل من كلامهم ؟

( وكأنت الذي يريد اتباعاً طامعٌ في لحوقهم صبحَ خمس )  
هذا البيت كما قلنا آنفاً يدل على أن الشاعر يريد أنه رأى بعينه صورة مرسومة على الجدران تمثل له كسرى وقومه : فهو يرى صورهم بعينه لكن المصور كان حاذقاً جداً حتى جعله يتخيل أنه كان يراهم حقيقة بأجسامهم وأشكالهم وأوضاعهم الطبيعية ، ولذلك كان يقول كأني وكأني . وفي هذا البيت أبدع الشاعر في خياله أي إبداعاً ، فهو يقول إن الذي يراهم مصورين أمامه تجذته نفسه باتباعهم واللحوق بهم . لكن المصور أيقن تصوير الأشخاص من حيث القرب والبعد والمسافة فمن ينظر إليهم يظنهم بعيدين عنه مع أنه لو أراد لمسهم بيده لفعل . وقد حدثني صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ( رحمه الله ) بمناسبة هذا البيت أن مراعش التمثيل تكون عادةً مصدرةً بستانر يُنقش عليه رسم شارع مستطيل وتكون على جانبيه الدور والقصور . ومن دقة الصنعة في التصوير يحسب الراي أن هناك مسافةً حقيقيةً ممتدةً بين الأبنية الشاهقة القائمة على الجانبين مع أنك لو لمست الستار لوقعت يداك على أصابع منقوشة على سطح مستوي . قال وقد اتفق لي يوماً أن كنت على مراعش من هذه المراعش

في بعض المدارس فتمشيتُ نحو الستار وكنتُ أصدمه بجيني ظاناً أن أُمامي  
منفسحاً للسير . ثم انتبهتُ فجأة للأمر فوقفتُ متعجباً . والحاصل أن مصوّر  
مجلس كسري أبدع في تصويره حتى يخيل للرائي أن الرسم بعيد عنه وأنه  
إذا أراد اللحق بالقوم الذين فيه لا يطمع أن يبلغهم إلا في صبيحة اليوم  
الخامس من سيره نحوهم .

\* \* \*

(عُمِرَتُ للسُرور دَهراً فصارتُ للتعزّي رباءهم والتأسي)  
رَجَعَ الشاعر في هذا البيت الى صحوه من خياله ، واستأنف الكلام على  
الإيوان نفسه . وضمير (عُمِرَتُ) يرجع الى المقاصير المذكورة قبيل البيت  
أولاً الى (الحلل) أي المنازل المذكورة قبل أبيات وعمرُ المنازل في كلام البلغاء  
أكثر ما يستعمل بمعنى سكنها ، وإقامة أهلها فيها . وعمروا المكان بالتخفيف  
والتشديد جعلوه عامراً أهلاً بحلوهم فيه . وهذا هو المراد بقوله (عُمِرَتُ)  
مجهولاً بالتخفيف وبالتشديد : أي إن منازل كسري وربوع إيوانه كانت  
مسكونة أهلاً بهم زمناً طويلاً ؛ أما اليوم فقد تغيرت ودرست وتحول الغرض  
من بنائها : فبعد أن كانت تلك الربوع للسُرور واللهو أصبحت للتعزّي والتأسي  
أي للغظة والاعتبار . يراها المصاب الحزون فينسلّي ويتعزّي ويتخذ من كسري  
وقومه الذين زمام الدهر بكبلكه أسوة لنفسه فيصبر ويتجلّد . والرباع كالربوع  
جمع ربّع بمعنى الدار والمنزل ينزل فيه القوم أيام الربيع . ثم استعمل في  
المنزل مطلقاً نزله في الربيع أو في غير الربيع . واستعمال (عمر المكان) بمعنى  
أنهم جعلوه أهلاً بحلوهم هو الأغلب في كلام البلغاء أما في شعر البحري هذا  
فيستعمل بل هو الأقرب تناولاً أن يكون المراد بقوله (عُمِرَتُ) العبارة التي  
هي البناء بالمجر والطين . أي أن تلك المنازل والربوع بُنيتْ وشيّدتْ بقصد  
اللهو واغتنام فرص السُرور ولكنها أصبحت الآن خراباً ياباً للاتعاض والاعتبار .



(فلما أت أعينها بدموع موفقات على الصبابة حبس)  
 يقول الشاعر: أما وقد زرت منازل كسرى وتسليت برؤيتها عن مصيبتى  
 بمقتل (المتوكل) فقد أصبح من حقها علي أن أعينها فأذرف دموعي عليها .  
 وأجعلها (أي أجعل الدموع) وقفاً محبوساً على الصبابة والامسى . وذكر الإغاة  
 بالدمع كثير في أشعار المتأخرين . وكان العرب ونساؤهم يعبرون عنه بالاسعاد  
 وهو الإغاة والمساعدة على الندب والبكاء على الميت . وما قاله أبو تمام في  
 الإغاة والاسعاد :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس  
 فلعل عينك أن تعين بماثها والدمع منه خاذل وموارمي  
 ومعنى الصبابة الشوق أو أرق الشوق . ويريد بها هنا لوحة الامى التي  
 لذعت قلبه برواية هذه الآثار . ووقفَ وحَبَسَ بمعنى واحد يقال وقفَ  
 الدابة وحَبَسْتُها، ووقفَ الدارَ في سبيل الله وحَبَسْتُها ونحن نسمي الأوقاف في  
 بلادنا أوقافاً أما أهل المغرب فيسمونها أحباساً . وقول البحرى (موفقات) اسم  
 مفعول من (أوقف) بالهمز وليس بفصيح بل الفصيح في الاستعمال (وَقَفَ)  
 الثلاثي فكان الفصيح أن يقول هنا (مَوْفُوات) . و (حَبَسَ) بضمّتين جمع  
 حَبَسَ بمعنى محبوس .

(يتبع)

# التكية السلجانية في دمشق

- ٢ -

وجميع أراضي قرية داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام تشمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عاصرة ووهاد وتلال ومفارة<sup>(١)</sup> وبساتين ومنافع وحقول المعلومة الحدود عند الأهالي والجيران والمبينة الحقوق لدى كل ذي وقوف وعرفان كل قاطن بتلك الأراضي والأماكن بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها ومنافعها وتوابعها ولواحقها سهولها وعوامرها ومطعمثتها وغوامرها ومنابعها وسواقها وسوافلها وعواليها وجبالها وقلالها ووهادها وتلالها ومخنشها<sup>(٢)</sup> وغياضها وسروجها ورياضها ومصيفها ومقتصبيها ومشتاهام ومختطبيها وجميع حقه هو للأوقاف المذكورة المرصدة الموضحة المعمورة ذكرت أم لم تذكر ، حررت أو لم تحرر وفقاً شرعياً وتأيداً صحيحاً وارصاداً مرعياً وتخليداً عزيزاً . ولقد تبين ذلك وانضح ، ووضح شأنه وضح ، حيث أقرت واعترف جناب المقر الأشرف العالي المدرار درهم العوالي زين الفخر والفخار رهن القدر والوقار ملاً الاقبال انسى<sup>(٣)</sup> السناء والاقبال الجلي التمكنين الجليل المكين ليث غابة غابة الصولة المدير أمور جمهور الدولة ضيغم غيضة الوغاء بفترس عن بني صدر العزة الغراء ركن السلطنة الزهراء بزاييز (?) الاسارة آصف صف الوزارة المشير الأكرم الوزير الأعظم رسم باشا<sup>(٤)</sup> وفقه الله لما يشاء وأدام أيامه وأبقاء عونا وغوثاً لليلة الباهرة الوكيل باقرار المشروع بالوقف والرجوع الآتي ذكر المجموع المتحقق

---

(١) كذا ولعلها : ومنارة أو ومفارة . (٢) لعلها : مخنشها . (٣) صوابها : انسى . (٤) تصدر الوزارة في زمن السلطان سليمان مرتين مشهود له بالدراية والاقتدار على زيادة أموال الدولة . توفي عام ٩٦٨ هـ ودفن في جامع شهزاده وله خيرات ومبرات .

وكالته بالعموم والخصوص على موجب الشرع المنصوص من جانب السلطان الواقف  
 خادم خير الممالك ظل الله الأعلى الأعلّم على وفود وقود (١) خليفة العالم  
 وكل الله إليه نظام السداد وكل أمر كما يراد مدى الاحكام (٢) وأمد الأسناد  
 بأن السلطان الواقف الذارف العوارف "مد ظله الوارف وقف جميع ما ذكر  
 وغين ان يصرف ما يتحصل من أصول الأوقاف الموصوفة من القرى والمزارع  
 المرصدة الموقوفة مع ما يتحصل منها من ساير حاصلها المتعارف في أفكار ذلك  
 الطرف في مصالح الجامع الشريف المشنف بأشرف تشنيف والعمارة العامرة المتبع  
 ذكرها السابغ نعمها وشكرها . وشرط أن يرتب متول متخل عن الخيانة متعال  
 عن الجناية ، متخل بجلى العفاف والأمانة ، مطرز بطراز الأمانة ، يشغل الأوقاف  
 على كمال الديانة ، ويشغل بتنظيم أحوالها باعتناء بأعباء استغلالها ويستغل في ... (٣)  
 غلاها واصلاح اختلالها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (٤) ، ولا بدع  
 حقيرة ولا خطيرة إلا أبدأها يصون صلة خميده عن عابد الحرام ، ويتحاشى عن  
 آثام الأثام ، يحفظ الزوايد وفضلة العوايد لإصلاح الرقيات وحرمة الخربات ،  
 لا يواني في خدمة ، وتفريغ ذمته ، عما في عهده ، ويعطى له كل يوم خمسين  
 درهما . وان يرتب كاتب شهيد ، لا ينقص ما أتمن ولا يزيد ، يكتب كما  
 علمه الله غير صاه ولا عاب (٥) ولا لاه ، في أنواع حواصل الوقف كما وكيفا ،  
 ولا يرى على الوري في ذلك حيفا ، ويضبط ما أصرف في مصارف الوقف  
 ووظائفه ، ويوزع على كل خادم وظائنه وتنظيمه في سمط الجمع والحساب ،  
 على نمط السداد والصواب ، ويعطى له كل يوم خمسة عشر درهما .  
 وان يرتب على الأوقاف الموقوفة بقضاء الشام ، حرس الله تعالى قُطانها  
 عن الشأم والسأم .

(١) صوابها : الأعمار أو الآماد .

(٢) يابض يتسع لكلمة واحدة ولها : تفصيل أو جباية .

(٣) تكتبها اليوم : أحصاها (٤) له لها : عابث .



وان يرتب جاب ليحيي مال الوقف وغلاله ويسبر ساعياً وهاده وتلاله ، متماشياً على جادة الاستقامة متماشياً عما يؤديه الى الندامة ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .  
وان يرتب على الأوقاف الكائنة في قضاء بعلبك وناحية كرك جاب آخر أمين ، وثيق لا يمين ، يسعى في استحصال الغلال أصيلاً ، ويجد في مصالحه بكرة وأصيلاً ، يجمع حقوق الوقف ومغاله ، لا خائفاً له ولا عاله ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم . وأشرط السلطان ذو السلطان الواقف العلي الشان الجلي البرهان لا زال ذكران ذكراه الباهر عن خطبة خطبة السلطنة الزهراء أن يرتب بالجامع الشريف ، خطيب متدين عريف ، ورع مصقع فصيح ، بارع جهوري نصيح ، عالم بمعالم خطاب الخطابة ، ينقي ويرعى كتابه ، يبين للناس ما نزل اليهم ، ويتحرى طباعهم لما فرض عليهم ، يخطب يوم الجمعة في الجمع والعبد في الأعياد ، على الدين المشروع المعتاد ، ويدفع اليه كل يوم عشرة دراهم .

وأن يرتب امامان من أهل الصلاح ، يتفرس منهما سيا الفلاح ، مجودان مجيدان يرتلان كلام الحميد بايمان ، دينان ، تقيان ، عن مسالب المناهي تقيان نعمانيا المذهب ، سنيا الاعتقاد ، ثابتا القدم على سبيل سنن الرشاد ، عالمان بأركان الصلوة وواجباتها وصننها وآدابها واستجباتها ، يؤمان الجماعة بالجامع المصور ، ويقمان خدمته على الوجه المبرور . يحضر كل واحد منهما يتوبة كل وقت من الصلوات الخمس المكتوبة ، والتراويج المسنونة المندوبة ، ويدفع الى كل واحد منهما كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب ثمانية مؤذنين ليقيموا الأذان والتحميد ويؤدوا إقامة الصلوات يستلذ الصياخ في صوتهم ، دينين متورعين ، متناوبين متوزعين ، ويعطى لكل واحد منهم كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب موقت ماهر في علم الميقات يوقت للمصلين مواقيت الصلوات ، ترصد يرصد المرصاد ، ويكون ربه أنس الأرصاد ، لا يرقى في درجة الا وفقها ، ولا ينال دقيقة الا حققها ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وا[ن] بquam مرق يقيم الخطيب من قاعته ، وبذله على المنبر من ساعته ،  
آخذاً سيف السنة يده ، ويرقي الخطيب الى معضده ، وينقل حديث الالفات  
بأله الأصوات ، ويعطى له كل يوم درهم واحد .

وان يرتب بواب وفراش وكناس وشعال ، يتبكر بفتح الباب وتغليقه بالغدو  
والآصال ، وبفرش الفرش ، ويبسط البسط ، أشرف فرش ، وأحسن بسط ،  
ويكنس الجامع كما دعى اليه داعي الاستدعاء ، ويشعل المشاعل حين يغشى ،  
ويوقد القناديل بالليل اذا يغشى ، يتحفظ على الفرش والبسط تحفظاً ، ويتيقظ  
في تنظيف المشاعل وحمايتها تيقظاً ، ويفتح في الصدد بعد ساعة الاداء وينفذ ،  
ويعطى لمن يتعهد ذلك كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب مختر يخر في الجمع والأوقات المعتادة حسبما كانت عليه العادة  
بروح الروح . . . (١) ويعطى مشام الانس والجن ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب سبعة قراء حفاظ ، مجودين بأجود ترتيب واحتفاظ ، يكون أجودهم  
تجويداً وترتيباً شيناً على الباقين ، ورئيساً جليلاً يفتح بعشر من كلام الله  
الافتاح ، عاصماً لهم عن السهو نافماً بالافتتاح ، ويقرأ كل منهم عشراً من القرآن  
العظيم والفرقان المجيد الكريم ، ويعطى للشيخ الرئيس كل يوم خمسة دراهم ،  
ويعطى لكل من الباقين كل يوم درهماً .

وان يرتب معرف بعرف نعم المقتضي الانعام ، ويعلم معالم الشكر على الأنعام ،  
ويدعو لبقاء السلطان الجليل والخاقان النيل ، ويهدي ثواب ما تيسر من القرآن ،  
الى أرواح أنبياء الهادي المستعان ، لاسيما نبينا محمد المصطفى عليه وعليهم سلام  
من اصطفى . ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثون رجلاً من القراء بقرأ كل واحد منهم في الجامع الشريف  
والمسجد اللطيف بكرة النهار بكل يوم جزءاً كريماً من القرآن المجيد ، على الترتيل

(١) يياض يتسع لكنتين .

والتجويد ، ويكون واحد منهم شيخاً لهم ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم ،  
ولغيره كل واحد منهم درهمان .

وان يرتب رجل يفرق الأجزاء الكريمة عند التلاوة في الوقت المهود  
ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل يراقب من حضر ومن غاب من القراء المذكورين ويضع  
النقطة إذا لم يحضر واحد منهم ، ثم يعلم المتولي في رأس الشهر عند التفريق  
على الموظفين ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجلان يقرأ كل واحد منهما على الكرمي عشرًا من القرآن  
العظيم أحدهما بعد صلاة الظهر والآخر بعد صلاة العصر ، ويعطى لكل واحد  
منهما كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب واعظ يعلم الناس الدين ويحقق لهم اليقين في ثلاثة أيام من  
الأسبوع منها الجمعة ويعطى له كل يوم عشرة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود من حسان الأصوات ، اذا قرأ القرآن مالت اليه  
المسامع للانصات ، يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح سورة <sup>(١)</sup> يس ، لتنتشر  
بركاتها بين الحاضرين المستمعين ، ويدعو بعدها بالدعوة الصالحة الجامعة لازدياد  
درجات واقفه العلي الشان ، قوي البرهان ، كان الله معه ، ويعطى له كل  
يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود يحسن التجويد والترتيل يرتل كلام الله المجيد بمن  
يميل الى حسن صوته وتلاوته المستمعون ، يقرأ كل يوم بعد صلاة العصر  
سورة <sup>(١)</sup> عم يتساءلون ، ويدعو بعده للواقف الواقف على مواقف الخيرات  
ويستنزل له من حضرة القدس مزيد البركات . ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب رجل موصوف بالأمانة ، معروف بحسن الديانة لحفظ المصاحف الشريفة  
الموضوعة هنالك من المواضع الخيفة ، ويعطى له كل يوم درهمان .



وان يرتب كناس وفراش للحرم يكنسه وبفرشه عند الحاجة على الوجه المعتزم ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب بواب بالباب الشرقي يرصد ويكنس الاصطبل الشرقي على النهج السديد ، وبواب آخر بالباب الغربي قائم بخدمته ويكنس الاصطبل الغربي لدى حاجته ، وعليهما مؤنة حمل زبل الاصطبلين الى المزبلة . ويعطى لكل منهما كل يوم خمسة دراهم .

وشرط السلطان الجليل والخالقان النبيل الواقف المشار اليه لازل بنياناً من المنان مشاراً اليه وما يرحت عمارة العالم عامرة بوجوده ، منعمة برحب نواله وجوده ، أن يرتب فراش ينزل المسافرين والضيغان النازلين في منازلهم حسبما شرطه الواقف الخطير ، ويكرمهم كما رسمه رسول الله الكريم القدير ، ولا يهتك أستار أعراضهم لدى الاضافة ، ويهتم في إحضار التزيل وأكل الضيافة ، ولا يتوانى في خدمته ، ويهتم اهتماماً ، ويقوم برعايتهم بالأدب قياماً ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وأن يرتب شيخ ينظر في طعام العمارة المعد للمستحقين وبذوقه ويتعرف استواءه وطعمه واعتدال أجزائه حسبما يروقه ويتفرغ على نظر تعرفه ومعرفته علماً وحكمة غرله وبكيفية تفرقه <sup>(١)</sup> على أهل الفقر وفرقه كل غدوة وعشاً ما يبداه رطب وخشن ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب تقيان عتيدان رقيان دينان تقيان عن طمع قطع الحق ، أحدهما يوزع الخبز والآخر اللحم ، على المستحقين حسبما بان استحقاقهم المبين ، ويكون وظيفة كل منهما ستة دراهم .

وان يرتب أربعة أساتذة لرسم طبخ الطعام المعد لإطعام أولي الاستطعام ، مرة في تسوية أجزائه وامتزاجه واخلالته وحسن انضاجه متناوبين، مثني على السنين الأسنى ، ويعطى لكل أساذ منهم كل يوم سبعة دراهم .

(١) للملأ : وبكيفية تفرقه .

وان يرتب ستة تلاميذ لرسم خدمة الأساتذة بأعداد العدد ، وامدادهم في الطبخ بكل مدد ، بحسن التعاون على مراسم الطبخ من غير تهاون ، مقتدين لهم في التناوب ونوب التعاقب ، ويكنس المطبخ من ينهض الطبخ ولا مساهي ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب خباز ماهر أستاذ ، قادر على تعديل العجين وخبازه ، واعطائه حسن تمييزه وامتيازه ، ويعطى له كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب أربعة تلاميذ لخدمة خبز الخبز وامداد الخباز ، لنخل الدقيق وعجن العجين والتمير وتقطيعه عند الاعواز ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب وكيل خرج للعمارة يشتري معامتها في ابانها ، ويدخر حوائج الطعام في اوانها ، لا يتوانى ولا يتكاسل ، فان شوهد<sup>(١)</sup> الجهد أحلى من عمل الكسل ، يعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب رجلان لرسم حمل الصحن المشحونة ، بألوان أطعمة ممنونة ، منضحة كلال مكنونة ، الى بيوت الضيافة وروادها في أماكنها واعادتها الى مخازنها ، ويعطى لكل منهما كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثة رجال لحمل الطاسات المحشوة بالطعام الى فقراء الأنام الحاضرين بها غدواً وعشيا ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل لغسل أواني بيوت الضيافة ، وتنظيف مواعين دور الضيافة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وثلاثة رجال لغسل تلك الطاسات ونظيرها بتقيرها وتنقيرها ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

ورجل لتمويه الأواني والمواعين وتبييضها إذا الجأت التمسين ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

(١) لعلها : شري أي حنظل .

ودفاق للحنطة يدقها كما يحتاج اليه ، ويتوقف حسن طبخها عليه ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وخازن حفيظ أمين ، وثيق مكين ، يتعهد حفظ مافي مخزن العمارة متجانبا عوار الطمع وعاره ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وتلميذا للخازن يعطى له كل يوم درهمان .

وحمال يحمل اللحم الى محله بالعمارة المعمورة ، ويؤدي خدمته على طريقة الامان المبرورة ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

واربعة نفر لتنقية الحنطة والأرز حسبما تستريح أسنان الطاعم عند صدمة دقاق الحجارة عند تناول المطاعم ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وبوابان يقومان بأبواب العمارة والمآكل بكتنسانهما غدوا وعشيا ، ويعطى لكل منهما أربعة دراهم .

وخازن حفيظ فظ غليظ أمين غير غدار ، يصرف المخزون من الحنطة بالأنيار ، والتخذ من الحطب بالمحاطب عند الحاجة من غير نصب ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

وعين الواقف الشامل الاحسان ابن لكل قاص ودان أن يطبخ كل غدوة للآضياف المسافرين الأرز المغفل والمرق الحامض أحسن تعيين ، وعين له سبعة عشر منّا من الأرز النقي ، وعين أن يطبخ لهم كل عشي الأرز المغفل والحلو المزعفر ، وأعد لما عشرين منّا من الأرز الصافي وللأطعمة المعدة المزبورة بكرة وأصيلا عشرة منّا من مهن البقرات السمات . وعين الواقف الواجب الاحترام محي ستة أملك الأنام أمد الله برعايته ، ونظر اليه بين عنايته ، للمزعفر المعد للضيافان من العسل المصق ستة أمان ، وثمنا للملح الأظعمة والخبز من الملح ، وثن الحصى والتوابل ومحسنات المرق الحامض كل يوم عشرين درهما فضيا ، وخبز المسافرين كل يوم خمسين منّا من الدقيق الطيب على التحقيق لطبخ الأظعمة المذكورة كل يوم قنطارا من الحطب يبل من كل حدب ، وخبز المسافرين كل يوم أربعة وعشرين كيبلا شعيرا بالكيل الشامي ، وبوزع



كل من الأُطعمة صباحاً ومساءً غداً وعشياً على حساب أربعة وعشرين صحناً موزعاً على أربعة وعشرين سمطاً لكل من بيوت الضيفان من الأُسمطة سفرتان وعلى كل سفرة من الجلاس خمسة أنفس ، ويضاف الى كل سفرة من الطعام المعد للفقراء الطعام الآتي تفصيله : صحن واحد تشتمل كل سفرة على صحن لحم وثلاثة ألوان من الطعام ويعطى لكل سفرة عشرة أخياز .

وعين السلطان الواقف النبيه المنوّه شأنه بأنوّه نوبه . لا زالت نعم انعامه دايمة على العباد الى ميعاد المعاد والتنادي ، لطعام عامة الفقراء مخصوصاً ، معيناً منصوباً ، من لحم الضأن المبين الشأن ، كل يوم مائة من سبعة وثلاثين مناً ونصف من ، وشرط أن يطبخ نصفها بكورة ونصفها الباقي عشية . وشرط السلطان مد الله ظلال اجلاله على مستمد نوال أفضاله أن يطبخ في ليالي الجمع وليالي رمضان المبارك الشريف ويومي العبددين وليلة البراءة المنيفة الأرز المقلقل والحلو المزعفر ، وعين لكل مرة ثلاثة وتسعين مناً من الأرز النقي ، وللطعامين المرقومين لكل مرة ستة وعشرين مناً وثلاثة أداني<sup>(١)</sup> من السمن البقري ، وللمزعفر منها لكل نوبة ثمانية وعشرون مناً من العسل الحري . وعين عين الدولة الباهرة ، زين السلطنة الزاهرة ، السلطان المندوب لله ، مبتغياً رضاه ، مرتجياً مزيد آلائه لا زال جامع وجوده الرشيد مستنيراً بأنوار التأييد لثن استماع<sup>(٢)</sup> الكافور والزيت والحصر للجامع الشريف ، وبيوت الضيافة ، والمطبخ المنيف ، والمخزن العام ، في كل سنة عشرة آلاف درهم .

ثم شرط الواقف الجلي البرهان أسبغ الله عليه سوابغ نعمه وهناء بما هياً له من هناء كرمه لطعام الضيفان خاصة ، على العموم ناصة ، كل يوم من لحم الضأن الطري السمين الشأن اثنين وسبعين مناً من الله المنان عليه مناً ، يطبخ نصفه ستة وثلاثون مناً صباحاً يوزع على أربعة وعشرين صحناً ، ونصفه الباقي يطبخ رواحاً ، يوزع أيضاً على ما صرحنا .

(١) لعلها : اواقي . (٢) لعلها : ابياع .

وعين ، تقبل الله له عمله ، وأظفروه ما أملاه ، لأنواع الأطعمة والخبز كل يوم من الملح النقي اثني عشرة مناً ونصف من ومن الحص ثمانية أمانان ونصف من ، ولثمن التوابل واللبن والحصرم والفلفل وسائر محسنات طعام الفقراء كل يوم ثلاثين درهماً فضة ، وسبعة قناطير حطب .

وشرط السلطان أبيده الله بر بالبر يوم ، وكثر بالخير خيره ودره ، لخبز الفقراء ما يأتي : خمسة وسبعين مناً دقيق خالص نقي في التدقيق . وشرط السلطان أبيده الله ونصره وقواه وأظفروه أن يطعم بالماكل كل غدوة ثمانمائة فقير عايل وعشياً كذلك بلا نهر عايل ، ويقطع خمير الخبز المعد للفقراء بعد ما عجن واستعد الفاخيز ويقطع اللحم المطبوخ على أن يكون كل قطعة ثمانين درهماً وزيتاً ويقطع الخمير على أن يستقر بعد الاختيار كل كثرة على مائة درهم وزنه غير محترق ولا في ويوزع المرق المعد سداً للرمق صباحاً ورواحاً على خمسمائة طاس ، لكل مائة ثمانية أمانان من الأرز وكيل من القمح مع ما لزمه ، ويعطى لكل اثنين من فقراء الناس طاس ، ويعطى لكل فقير خبز من غير تقدير .

وشرط السلطان الباني للخير ابتغاء لفضل الله خير شكر لشكور صفيه في المبرات ، وهر عالم السر بالمسرات أن ينرز من غلال وقفه المسطور ومحصول مرصده المبرور كل يوم مائة درهم فضي على الوجه المذكور المرضي ، ويصرف للعلماء العاملين المنقطعين المنجذبين أطعاماً هي اقتناء الكمالات الانسية ، وحرمها على اقتناص الملكات القدسية ، تجرداً عن رياسة الرياسة الفانية ، ورغبة في ذات الذات الباقية الى طريقة التجريد للتزقي الى مراقي التوحيد امداداتهم بنظم معاشهم وبحسن انتعاشهم في معاشهم ويوجه الى كل من الموصوفين المنجذبين<sup>(١)</sup> المسفوفين كل يوم قدر يمدده على قضاء أوده من درهمين الى سبعة دراهم حسب استحقاقهم ومراتب طباقهم لا يزداد ولا ينقص مما نطق به الكتاب ونص ، فمن

(١) علماء : المنجذبين كما سبق اعلاه .

أخل بخدمته بطرف فتور وتوان أخذ الله بنكال الهون والهوان ، وما يأخذه من الأجر يكون محنتاً وحراماً ، ويؤى مبراً دار البوار مقاماً .

وشرط جعل الله قيام خيام اقباله على عمدان الخلود ، وربط أطناب مرادقات اجلاله بأوتاد أبد الأبد ، أن يكون جملة أمور الأوقاف ومصالحها منوطة بصائب رأيه وصالحها بحيث يتصرف فيه كيف يتراءى لرأيه النبيه من تقص وظايفها ، وزيادة مصارفها ، وبدئها وإعادتها وتقصها وإجارتها ، وعزل أصحابها ، ويستبدل في تبديل الشرايط ويستأثر في تحويل الضوابط الى ما هو أحسن وأنفع وأعجب وأبدع مرة بعد أخرى على النهج الأخرى .

وشرط الواقف الجليل الشأن الجلي البرهان لا زال منظوراً بنظر عين الله التي لا تنام وبلغه عزاً لا يحام حوله ولا يرام ، أن يكون كل من يتولى قضاء دمشق الشام من كرام العلماء الأعلام ناظراً على أوقافه المزبورة على الوتيرة المبرورة ، بحيث لا يحل جليل من مراسمها عن إحاطة علمه ، ولا يدق دقيق من معالمها عن احاطة فهمه ، ويجاسب متعاطي محصولها في فروعها وأصولها دخولاً وخروجاً من كل الأرجاء تعييناً مرضياً وشرطاً مرعياً . وأقرباً<sup>(١)</sup> :

اخرج الأوقاف المذكورة عن ملكه ، ونقض ربة ملكه ، وعزل سلطان تصرفه عن حاطته ، ولم يتمكن سطوة تمكنه من احاطته ، وسلم جميع المزارع والقرى المرقومة بأسرها لأتغر المفاخر والأكارم ، مستجمع المفاخر والمكارم ، عمدة من عليه الاعتماد ، معدن شيم البر والسداد ، عين أعيان الخزانة الخاقانية ، أسعد السعاد في نماء الأموال السلطانية ، المشرف بالمجد الجلي ، المشنف بالقدر العلي ، مولا محمد چلي الدقري الشهير بابن شريفه أفاض الله عليه من فضله الشريف ، بعد ما نصبه نوبة للتولية تخليه لأمر الوقف وتخليه الى استنبات أمر

و(١) صوابه : وأقر بأه .



التسجيل والاستتباب لحكم التسجيل . وقد تسلمها من الواقف الرفيع القدر  
 المنيع الصدر سلطان سلاطين الانسان انسان عين العدل والاحسان سلمه الله  
 السلام ومد ظله على أمد المدد أشرف ظله تسليماً خادياً عن جراح الموانع ازمة  
 رمتها وتسليماً خادياً لصحاح الشرايط بحجة جملتها اقراراً صريحاً ، واعترافاً صحيحاً ،  
 مصادقاً للتصديق الحقيقي بالاعتداد من قبل المتولي المشار اليه المعان في جميع  
 ما نظم في سمط الرق المنشور ، من أمور الوقف المبرور المشكور ، فلما انتظم  
 نظام تمامه واشق<sup>(١)</sup> نسق اختتامه بحسن اهتمامه ، وانتهى ما خطته أقلام المقال ،  
 وآل حال الوقف الى هذا المآل ، أراد الوكيل الجليل المشار اليه ، لا زال  
 بينان الأعيان مشاراً اليه ، أجود ارادة رابد راد جادة الاجادة أن يرجع من  
 جهة الواقف المزبور ومحور البر المبرور مسترداً اياها عن المتولي المتحلي المستخلي  
 مستبدأً بنقض ما أيرمه الواقف وأبدى وبفسخ ما أحكمه وشاده وشيده معتنياً به ،  
 سبيل ما عقده وسد باب ماسدده عانياً نظم الأوقاف : مزارعها وقراها ، بأسر  
 رقبها وربقة عراها ، في سلك ملك الملك المالك ، على أسلم المالك ، فتخاصما  
 وتنازعا ، وتحاكما وترافعا ، الى المولى الفضل المولى الكامل الخير المجد  
 بحير المشرع النخوير النجيب في كمال نورع بحق حق الطريقة الطريفة ،  
 رافع علم العلم والشريعة الشريفة ، الناطق بالصواب الصدر المصدر أعلى  
 الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب أدامه الله مدى الأحقاب ، فشرع  
 في استرداد ما بيد المتولي من الأوقاف الموقوفة على الوتيرة الموصوفة ، مستمداً  
 بعد لزومها بخصوصها وعمومها على قول المجتهد الهام ، القرم القمقام ، الركن  
 الراسخ ، العلم الشامخ ، ذي السناء الشارخ الحيز الجلي الأثم ، الخبر اللحي<sup>(٢)</sup>

(١) صوابها : واتسق .

(٢) لعلها : البحر اللحي .

الخضم ، الجليل الضخم النبيه الأعلم ، رافع مورد الغموض عن حدود عرائس  
التنزيل على حدود الأخدود ، المجدود المعبود ، النبيل سراج الأئمة ، تاج الأئمة ،  
عتوان ديوان السداد ، سلطان سراير الاجتهاد الهام الأكرم ، الامام الأعظم  
أبي جنيقة النعمان حقه الله تعالى بنعيم الرضوان .

نظم :

ان المذاهب جلها وأجلها يمزى الى البحر الخضم الكوفي  
هذب به نقسا وخذه مذهبا اذ من قضاء كفاء آخر كوفي

فعارضها المتولي المزبور اعراضاً على الوجه المبرور بأن وقفية تلك المزارع والقرى حسبما  
قصه نص الكتاب وأقر وان لم تكن لازمة مقدمة عند أعظم أئمة الأئمة تاب التواب عليه ،  
وأحسن بالمغفرة اليه ، لكنها عند المجتهد الأكرم الهام الطمطم الامام أبي يوسف  
تلتزم ، بقول الواقف : وقفت ، وعند المجتهد الامام القرم القمقام الامام محمد  
رحمهما الله الصمد يلزم بالتسليم الى المتولي على ما وضعت فطالب المتولي الحاكم  
بحكم نص الكتاب النظر في أمر الوقف والحكم بلزومه كما يستطاب على منطوق  
قولها السديد ، وموجب مذهبها الرشيد ، فنظر في ذلك نظراً أليفاً وتدير في  
الأمر تديراً وثيقاً ، وشاهد في يد المتولي برهاناً جلياً ، وغاية دليله سلطاناً  
علياً ، فرأى رأيه الصائب ، وبدا لنظره الثاقب ، أن تهيد أركان الخير وتشيد  
مباني الوقف هو الأوفق لا غير وان حسنة بحيلة الحسني ، وترجيح جانب التقرب  
وسيلة الفوز الأسنى ، فحكم بصحة الوقف ولزومه ، وصحة شرائطه ورسومه ،  
وقضى بذلك بخصوصه وعمومه ، حكماً بحكماً ، وقضاً مبرماً ، مستوفياً ما يجب  
في الحكم رعايته حسبما عرجت اليه دراية الفرع وروايته ، فصارت جملة ما وقف  
على ما وقف عليه ، ووصف فيه وصفاً ، ووفقاً لازماً مستجيلاً منيراً ، لا ينهدم  
قواعده ، ولا يتصلى مقاعده ، ولا تغير شرائطه ، ولا يتخرط سيفه سلك  
التحريف خرايطه ، ولا يحل لأحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر من سلطان

أو وزير أو أمير أو قاضٍ أو وارث غائب أو حاضر تغيير هذا الوقف المرفوع  
السقف عن نسقه ، المحرر المقدر بعدما تحرر وتقرر ، فالذي يتعرض لتحويله  
ويسعى في تبديله ويتغنى نقض عراه ويتبع في ذلك هواه ويمجنح الى جناح  
تغييره ، ويطمح في إبطاله بتزويره ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،  
ولينبأ مقعده ومبواه <sup>(١)</sup> من سجين سجين ولينجرح ما لا يسيغه من غسلين .  
فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الدين يبدلونه ، إن الله سميع عليم . واجر  
الواقف على الحمي الكريم ، ووقع الاشهاد والتحرير على النمط المنظوم في سمط  
التقرير في سابع الشهور شهر الله الفرد الأسم رجب المرجب لسنة أربع ومئتين  
وتسعمائة ، من هجرة من بعث الى كل فئة .

مهفر الحسي

(١) لعلها : ومشواه .



# أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٧ —

آراء ابن جني في العربية

نظرياته الخاصة ومذاهبه التي انفرد بها

أحب الامام أبو الفتح بن جني اللغة العربية وأغرم بها حباً وغراماً عجيبين ولا غرو فان ذلك الامام المصنف المرحف الحس الذي آناه الله عقلاً كبيراً ، وعلماً واسعاً ، ومملكة عجيبة قد اطلع على أسرار هذه اللغة العربية الشريفة فأحبها الى درجة التدله بها وبأسرارها ، وصنّف الكتب في تبين غرائبها وكوامن دررها ، وتعداد فضائلها ، يقول في مقدمة كتابه النفيس (الخصائص) وهو يهدي الكتاب الى الأمير بهاء الدولة بن بويه : « هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور بهاء الدولة . . . كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكفاً الفكر عليه ، متجذب الرأي والرواية اليه ، واداً أن أجد مهملات أصله به ، وخللاً أرتقه بعمله . . . هذا مع إعظامي له واعتصامي بالأسباب المتناطة به واعتقادي فيه انه من أشرف ما صنّف في علم العرب ، وأذهب في طريق القياس والنظر . . . وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة » <sup>(١)</sup> .

---

(١) الخصائص الطبعة الأولى ٢/١ ، ٣

ويقول أيضاً : « هذا أمر قد مناه إمام القول على الفرق بين ( الكلام ) و ( القول ) ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، ويجب من وسميع مذاهاها ، وبديع ما أمد به واضعها ومبتدئها » <sup>(١)</sup> . ويقول أيضاً : « اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرفقة ما يملك عليّ جوانب الفكر حتى يكاد يطمح به إمام غلوة السحر » <sup>(٢)</sup> .

وابن جني من شدة إعجابه باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والشعر العربي والأحاديث النبوية يكاد يؤمن بأن هذه اللغة لغة تسحر من بتعمق في دراستها ، وتفهم أسرارها ، وإعجاز مبانيها حتى يقول : « وكلام العرب لمن عرفه وتدرّب بطريقتها فيه جار مجرى السحر لطفاً وإن جسا (أي جفا) عنه أكثر من ترى وجفا . . . » <sup>(٣)</sup> .

فأنت ترى من هذا القول وبما سلف من أقواله قدر الدرجة السامية التي وصلت إليها اللغة العربية في قلبه . ولا ريب في أنه ما قال هذه الأقوال إلا بعد النقص والتمحيص الدقيق ، وإلا بعد أن قرأ وسمع وحفظ ، ووسع عقله من علوم العرب والإسلام الشيء الكثير . فقد كان رحمه الله واسع المعرفة لا في علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأدب وبيان وحسب بل في جميع مناجي العلم والمعرفة التي بلغها الناس في عصره ؛ فهو من كبار علماء الكلام ، وكثيراً ما كان يذكر أقوال علماء الكلام في كتبه ويناقشها ويرد عليها <sup>(٤)</sup> ، وهو من علماء الفقه يذكر كثيراً من أقوال رجال هذا العلم ويناقشها ، ولعله كان حنفي المذهب فقد كان ذا صلة شديدة بكبير فقهاء الحنفية في عصره وهو الإمام أبو بكر أحمد ابن علي الرازي الجصاص ( - ٣٧٠ ) ، وكان يناقشه ويذكر فضل شيخه أبي علي الفارسي

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ١٥

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٥

(٣) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٢

(٤) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣٠

في حضرة<sup>(١)</sup> وهو ينقل بعض آراء أبي حنيفة النعمان في كتبه ويقيس عليها في العربية<sup>(٢)</sup> .

وكان ابن جني من علماء بعض اللغات الأجنبية كالفارسية فقد ظهر ذلك مرات في كتبه ، ولا غرابة في ذلك فإنه كان عالماً لغوياً يبحث في فقه اللغات وأحوالها ، وجد ير مثله أن يتقن بعض اللغات الأجنبية ليقبس عليها ويستشهد ببعض أحوالها وأوضاعها في القضايا اللغوية ، ثم إن كثرة مخالطته لشيخه الامام أبي علي الفارسي وهو من أرباب هذه اللغة وعلمائها ، فجعله يتعلمها ويتقنها ، وينقب عن الشواهد والمصطلحات التي تعينه في دراساته اللغوية فقد ذكر في ( الخصائص ) في فصل عنوانه ( القول على أصل اللغة الإلهام هي أم اصطلاح ) : إن العلماء قد اتسموا في هذا الأمر الى قسمين ؛ قسم يرى أنها إلهام من الله سبحانه ، وقسم يرى أن الناس اصطلمحوا على ذلك ، وهو أميل الى القسم الثاني ، وأن اللغة تواضع واصطلاح لا وحى من الله ولا توقيف ، وقد أطنب في بيان ذلك والتدليل عليه ، وما قال : « فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأومأوا اليه وقالوا انسان انسان انسان فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق . وإنت ارادوا سمه ( عينه ) أو ( يده ) أشاروا الى ذلك وقالوا ( يد ، عين ، رأس ، قدم ) ونحو ذلك ، فنتى سمعت اللفظة من غير هذا عرف معيها وهلم جرأ ... ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضع الى غيرها فتقول الذي اسمه انسان فليجعل مكانه ( مَرْدٌ ) والذي اسمه رأس فليجعل مكانه ( مَرَسٌ ) وعلى هذا بقية الكلام ... »<sup>(٣)</sup> . وكلمنا ( مرد ) و ( مر ) فارسيتان معنى الأولى رجل ومعنى الثانية رأس .

وله أقوال أخرى كثيرة في ( الخصائص ) و ( مر الصناعة ) تدل على معرفته باللغة الفارسية والشعر الفارسي وأوزان العروض وأصول تلك اللغة .

\*\*\*

(١) الخصائص الطبعة الأولى ٢١٤ / ١

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٤٢ / ١ - ٤٣ .

وكانت لأبي الفتح نظريات خاصة في اللغة والنحو والصرف انفرد بها ، واعتمد فيها على بحوثه الخاصة ومعارفه العامة وتوسّعه في مباحث فقه اللغات ، ولم يكن أبو الفتح ميالاً الى مذهب بيته ، فانه لم يكن بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً وانما كان صاحب طريقة منفردة خاصة به ؛

فمن ذلك قول: بالاشتقاق الأكبر: وقد عقد له باباً مطولاً في الخصائص

ذكر فيه ان هذا البحث الذي لم يسبقه أحد قبله من أئمة النحو البصريين أو الكوفيين ، وان كان أستاذه ابو علي الفارسي قد ألم به بعض الامام واستعان به وخلد اليه ولكنه لم يسمه وانما كان يبحث في بعض مسائله عند الضرورة ، ولكن صاحبنا ابن جني نظم أموره وسماء حيث يقول في باب ( الاشتقاق الأكبر ) : « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن ابا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع أعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه ، ويتعلل به ، وانما هذا التلقيب لنا نحن ، وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم . . . وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه السنة معنى واحداً تجتمع التراكيب السنة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . . . نحو : ( ك ل م ) و ( ك م ل ) و ( م ك ل ) و ( م ل ك ) و ( ل ك م ) و ( ل م ك ) ، وكذلك ( ق و ل ) و ( ق ل و ) و ( و ق ل ) و ( و ل ق ) و ( ل ق و ) ( ل و ق ) <sup>(١)</sup> . وقد ذكر في صدر الكتاب أن هناك فرقاً واضحاً بين أصلي هاتين المادتين ( قول ) و ( كلم ) وان مادة ( ق و ل ) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره انما هو للخفوف والحركة ،



وجهات تراكيبيها الستة مستعملة كلها ، لم يهمل شيء منها . . . . وأما مادة ( ك ل م ) فهذه أيضاً حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة والمهمل منها أصل واحد وهو ( ل م ك ) فلم تأت منه في ثبت .

ومن ذلك قوله بنظرة ترافع الالهة : فقد عقد لها باباً خاصاً في الخصائص

فقال : « باب في ترافع الأحكام ، وهذا موضع من العربية لطيف لم أر لأحد من أصحابنا فيه رسماً ولا قلوا اليافيه ذكراً ، ومن ذلك مذهب العرب في تكسير ما كان من ( فَعَلَ ) على ( أفعال ) نحو : عَلَّمَ وأعلام ، وقَدَّمَ وأقدام . . . قال صيبويه فان كان على ( فَعَلَّة ) كَسَرُوهُ على ( أَفْعُل ) نحو : أكمة وآكم ، ولاجل ذلك حمل ( أمة ) على انها ( فَعَلَّة ) لقولهم في تكسيرها ( آم ) الى هنا انتهى كلام صيبويه ، الا انه أرسله ولم يعلله ، والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث وذلك في الادواء نحو قولهم ( رَمَيْتَ رَمَثًا ) و ( حَبِطَ حَبَطًا ) و ( حَبِجَ حَبِجًا ) فاذا ألحقوا التاء أسكنوا العين فقالوا ( حَقِلَ حَقْلَةً ) و ( مَغِلَ مَغْلَةً ) فقد ترى الى معاقبة حركة العين تاء التأنيث ، ومن ذلك قولهم ( جَفَنَنَ وَجَفَنَات ) و ( قَصَمَنَ وَقَصَمَات ) لما حذفوا التاء حركوا العين فلما تعاقبت التاء وحركة العين جريا لذلك مجرى الضدين المتعاقبين فلما اجتمعا في ( فَعَلَّة ) ترافعا أحكامهما فأسقطت التاء حكم الحركة وأسقطت الحركة حكم التاء فآل الأمر الى أن صار كأنه ( فَعَلَ ) و ( فَعُل ) باب تكسيده ( أَفْعُل ) وهذا حديث من هذه الصناعة غريب المأخذ لطيف المضطرب فتأمله فانه 'مجدد عليك مقور' لنظرك <sup>(١)</sup> » .

فأنت ترى أن ابن جني في ملاحظته الدقيقة المعجبة هذه قد كشف عن سر من أسرار هذه اللغة لم ينتبه اليه احد من العلماء الكبار قبله ولا حوّم حوله

أحد بعده وهذا يؤيد ما قلناه عنه من رهاقة الحس ، ودقة النظر في البحث عن  
أمرار لغة القرآن وانتظام أحوالها اللغوية انتظاماً عجيباً يدهش كل من ينظر إليه .

ومن ذلك قوله بنظرية وضع أصول العربية : وحرصه على أن يكون لعلم

النحو أصول مثل أصول الكلام وأصول الفقه ، فقد كان ابن جني عالماً استقرائياً  
متنبهاً ، ومنطقيًا مدققاً ، اطلع على أمرار العربية وخصائص نحوها فرأى أن  
العلماء الأقدمين أهملوا ناحية مهمة في التأليف وهي ناحية إيجاد فن من فنون  
العربية أطلق عليه فن أصول العربية و « ذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين  
- الكوفة والبصرة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام  
والفقه » <sup>(١)</sup> وان كتابي أبي الحسن الأخفش الذي سماه ( المقاييس في النحو )  
وأبي بكر بن السراج الذي سماه ( كتاب الأصول ) لم يكونا في هذا الصدد  
على الرغم من أن أبا الحسن الأخفش « قد كان صنف في شيء من المقاييس  
كتيباً اذا أنت قرنته لكتابنا - أي الخصائص - علمت بذلك اننا عنه فيه  
وكفيناه كلفة الشعب به وكافأناه على لطيف ما أولانا من علومه المسوقة اليها ،  
المقبضة ماء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أفواماً تزرت من معرفة هذا العلم  
حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم ، الى الطعن عليه ، والقدرح في احتياجاته  
وعلاه » <sup>(٢)</sup> فهو بقدر عمل أبي الحسن حق قدره ، ويحمل على أولئك العلماء  
الذين غمطوه حقه ، ولم يعرفوا مبلغ الجهد الذي بذله ، فابن جني عالم منصف  
نبيل ، كريم الخلق ، يعطي كل أحد من العلماء الذين سلفوه حقه ، وابن جني حين  
يحاول إيجاد علم أصول العربية يريد أن يجعل ذلك العلم ذا قواعد ثابتة ، منطقية  
تعتمد على الاستقراء والبحث ، وان تكون علل تلك القواعد أشبه بعلم المتكلمين  
لا بعلم الفقهاء فان علل المتكلمين تجل الى الحس ولا كذلك علل الفقهاء في  
زعمه حيث يقول « اعلم ان علل النحويين وأعتي بذلك حذاقهم المتقنين لا ألقافهم

المستضعفين أقرب الى عل المتكلمين منها الى عل المتفقيين وذلك انهم يحيلون على الحسن ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك عل الفقه وذلك أنها إنما هي إلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا<sup>(١)</sup> . ونحن وان كنا لا نشاطره رأيه في أن عل الفقهاء هي كما وصف ، فاننا نذهب مذهبه في وجهة عل المتكلمين ، ولا نرى ان ثمة فروقا بين عل حذاق المتفقيين وحذاق المتكلمين وليس هنا موضع المناقشة في ذلك وإنما نريد أن نبين رأيه في وجوب إيجاد علم أصول العريية ، وقد كان رحمه الله مفرما بذلك وقد كرر هذا القول مرارا في (الخصائص) و (سر الصناعة) فقال في بعض تلك المواضع : «واعلم انا مع ما شرحناه وعيننا به فأوضحناه من ترجيح عل النحو على عل الفقه وإلحاقها بعل الكلام لا ندعي انها تبلغ قدر عل المتكلمين ولا عليها يراهين المهندسين غير انا تقول ان عل التجويين على ضربين أحدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطيق في معناه غيره ، والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه له»<sup>(٢)</sup> .

والحق أن ابن جني قد جاء في هذا الباب بأقوال ونظريات رائعة ولكنه لم يكن في ذلك إلا متقبلا آثار شيخه الإمام أبي علي الفارسي ، فقد كان رحمه الله شديد الميل الى تعيد قواعد العريية ، وتنظيم علم أصول لها ، وضبط أقيستها وعلى غرارها نشأ تلميذه ، فنظم تلك القواعد ورتبها وتعمق في البحث أكثر من أستاذه وقد ذكر في الخصائص بعد أن أورد بعض مسائل القياس في العريية وقال : «فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس ، قال لي أبو علي رحمه الله يجلب سنة ست وأربعين : أخطي في خمسين مسألة

(١) الخصائص الطبعة الأولى ٤٦ / ١ والطبعة الثانية ٤٨ / ١

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٩٠ / ١

في اللغة ولا أخطي في واحدة من القياس»<sup>(١)</sup> فهذا يدلنا على شدة عناية أبي علي الفارسي بالقياس وضبط القواعد وتقنين قوانين اللغة العربية ، وهو يرى أن جهله بالمسائل اللغوية أو خطأه فيها أمر لا بأس عليه منه أما جهله بالقياس وتخليطه فيه فأمر لا يصح التساهل فيه والوقوع فيه .

ومن ذلك وضع كثير من قواعد علم فقه اللغة: فان علم فقه اللغة ، وهو الذي

اصطلح المحدثون اطلاقه على علم الفيلولوجيا « Philologie » ، هو علم يحدث في اللغة العربية لم يكتب فيه أحد من الأقدمين العرب ولا المحدثين إلا بعد أن اتصلوا بالثقافات الغربية الأوربية .

على ان علماء أوربة المحدثين يختلفون في مدلول هذه الكلمة فمنهم من يذهب الى ان هذا العلم هو مجرد علم قواعد الصرف والنحو وتقد نصوص الآثار الأدبية ومنهم من يذهب الى أنه ليس إلا درس اللفظ ومناقشة أحواله وأوضاعه ، ولكنه درس شامل للحياة العقلية اللغوية من جميع وجوها ، واذا صح هذا فن الممكن ان تدخل في دائرة علم الفيلولوجيا كافة فنون اللغة المختلفة من تاريخ اللغة ، ومقابلتها باللغات الشقيقة والبيدة ، ودراسة النحو ، والصرف ، والمروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب بمعناه الواسع ، فيدخل فيه إذن تاريخ الأدب الخاص ، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية ، وتاريخ الفقه اللغوي من حيث تدوين اللغة في المجاميع والمعاجم ، كما يدخل فيه تاريخ الدين من حيث درس الكتاب المقدس ، والكتب الدينية الأولى ، وكتب علم الكلام ، ولا سبيل الى معرفة كنه هذه الحياة العقلية إلا بدرس أحوال المركز الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية<sup>(٢)</sup> .

ولا شك عندنا في أننا اذا تتبعنا ما كتبه أبو الفتح بن جني في ( سر الصناعة ) و ( الخصائص ) و ( شرح تصنيف أبي الحسن ) وجدناه يحاول محارلات صادقة في وضع

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٨٢

(٢) راجع النثر الفني لركي مبارك ٢ / ٣٨



أسس علم الفيلولوجيا العربية أو علم فقه اللغة كما يسميه بعض العلماء المحدثين .  
والحق أن أبا الفتح كان له نصيب وافر في إيجاد علم فقه اللغة العربية من  
ناحية دراسة اللغة العربية ، والبحث في أصول مفرداتها واشتقاقها ، ودرس قواعدها  
ونقد نصوصها الأدبية وآثارها اللغوية ، والدبئية ، مع ملاحظة كثير من الأسباب  
العقلية التي عملت في تكوين هذه اللغة وتطور مفرداتها .

وقد حاول في عصر ( ابن جني ) وبعده بقليل جماعة من أئمة النحاة والصرفيين  
أن يسيروا في السبيل التي سار عليها إلا أنهم لم يوفقوا ولم يستطيعوا أن يتعمقوا  
مابدا هو به ، فقد أراد الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي  
النحوي ( - ٣٩٥ ) أن يؤلف في هذا الموضوع كتابا فألف كتابه المعروف  
( بالصاحي في فقه اللغة ومنن العرب في كلامها ) ، ولكن كتابه هذا خرج  
وكأنه ككتب الأقدمين ، أو كأنه أقرب إلى كتب اللغة منه إلى كتب  
فقهها وعلم أسرارها .

أما ابن جني فإنه ألف كتبه في صلب هذا العلم الذي يبحث عن نشأة  
الألفاظ العربية والوقوف على أسرارها وطرق توليدها وتفرعها وتقلبها .

ومن ذلك رأيه في نشأة اللغات : فقد ذهب كثير من العلماء القدماء وبعض

المحدثين إلى أن اللغات توقيفية ، بمعنى أن الله سبحانه أوحى بها إلى أنبيائه وأوقفهم  
على مفرداتها كلمة كلمة ثم انهم علموها لتابعيهم ، وقال آخرون : بل إن اللغات  
مشتقة من أصوات الحيوانات والطبيعة وإن الإنسان الأول قد حاكي هذه الحيوانات  
وتلك الطبيعة واشتق من ذلك ما أعانه على تفهيم مراده لسامعيه . وقال فريق  
ثالث : بل إن اللغات إنما اخترعها الإنسان بمحض تفكيره وخالص إرادته ،  
وإنه تواضع عليها كأن يجتمع اثنان أو أكثر فيحتاجون إلى تسمية بعض الأشياء  
فيتفقون فيما بينهم على التسمية وتنتشر بعدئذ .

وقد ذهب كثير من علماء المسلمين القدماء إلى القول الأول مستدلين على

ذلك بالآية الكريمة التي قالها الله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام وهي : «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة»<sup>(١)</sup> وقالوا إن معنى هذه الآية هو أن الله تعالى علم آدم أبا البشر جميع الألفاظ في جميع اللغات وإن آدم علمها أبناءه فتناقلوها من بعده وهكذا اختلفت لغات سكان الأرض . وهو قول عجيب غريب لا نرى في الرد عليه أبلغ مما سمعناه من أستاذنا المرحوم العلامة الشيخ أحمد الاسكندري في بعض محاضراته التي ألقاها علينا في كلية الآداب بالجامعة المصرية في سنة ١٩٤٨ فقد قال : إن البداهة تقضي ببطان هذا القول ، فإن شهادة العقل والاستقراء وتنبع نطق الأطفال تشهد بأن اللغة تدرج وتنمو بحسب الحاجة إليها . فلا يصح أن يقال إنها كلها قد وجدت دفعة واحدة وما ذهب إليه شيخنا الاسكندري هو الصحيح الذي قال به ابن جني وتوصلت إليه اليوم مباحث علماء فقه اللغة وعلماء الاجتماع وهو أن اللغات هي كائنات حية تعيش كما يعيش كل حي ، وتموت كما يموت ، وإن منشأها الأصوات الأولى ، ولم يقل العلماء قولهم هذا إلا بعد التجربة العلمية والدراسة العميقة وبعد أن ذهبوا بأنفسهم إلى مواطن الشعوب البدائية في القارات والجزر النائية واتصلوا بأفراد هذه الشعوب وعاشوا معهم فترة من الزمان وتأملوا أقوالهم وعاداتهم وتكبدوا كثيراً من المناعب والمشقات في سبيل جمع معلوماتهم ، وما كانوا يشعرون بقيمة لمعلوماتهم إلا إذا توفروا على جمعها بأنفسهم عن طريق الملاحظة المباشرة والتدقيق فيما جمعوه وتصنيفه ومقارنته باللغات الحية وتحديد أوجه الشبه وأوجه الخلاف والمفارقات بين اللغات مما أدام إلى هذه النتيجة<sup>(٢)</sup> .

(١) يشبه هذا ما تجده في سفر التكوين ، الأصحاح الثاني رقم ١٩ - ٢٠ : « وحمل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليري ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد مميئاً نظيره » .

(٢) للتوسع في هذا راجع ترجمة ( المدخل إلى علم الاجتماع ) تأليف مونييه الفرنسي طبع مصر ص ٦٩ و ٨٦ .

أما ابن جني فقد ذهب الى هذا القول منذ أكثر من ألف سنة فقد قال في الفصل النفيس الذي عنوانه بقوله (باب القول عن أصل اللغة الإلهام هي أم اصطلاح : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن اللغة إنما هي تواضع واصطلاح لا وحى وتوقيف إلا أن أباعلي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها» وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله ، أقدر آدم على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله لا محالة . . . . . والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء إذ قد ثبت أن المواضع لا بد معها من إيماء وإشارة بالجراحة نحو الموماً اليه والمشار اليه والقديم سبحانه لا جراحة له فيصح الإيماء والإشارة بها منه . . . . . وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وصحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس وتربب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب منقبيل<sup>(١)</sup> .

### مذهبه في علم اللغة :

كانت دراسات علم اللغة قبل مجيء أبي الفتح محصورةً بطريقة من الطرائق الأربع التالية وهي الإملاء ، والإفتاء ، والتعليم ، والرواية . وقد وصف لنا الجلال السيوطي ترجمة طريقة الأقدمين هذه فقال : «وظائف الحفاظ في اللغة أربعة أحدها وهي العليا (الإملاء) كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء وقد أمل حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملى ثعلب مجالس

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ / ٤٦ - ٤٧ . ولتلاحظ أن ابن جني بعد أن قال بهذا القول في أصل نشأة اللغات وجع عن رأيه هذا في اللغة العربية خاصة وله في ذلك حجاج فارجع اليه إذا شئت في آخر الفصل القيم الذي عنوانه «باب القول على أصل اللغة» من الخصائص الطبعة الثانية ص ٤ وما بعدها .

عديدة في مجلد ضخيم وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ٠٠٠٠ وطريقتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء يكتب المستلي أول القائمة : مجلس أملاء شيخنا فلان يجامع كذا في يوم كذا ويذكر التاريخ ثم يورد المحلي باسناده كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيد ومن الفوائد اللغوية باسناد وغير اسناد ما يختاره وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ثم ماتت الحفاظ وانقطع أملاء اللغة من دهر مديد ٠٠ والوظيفة الثانية ( الافتاء ) وليقصد التحري والإبانة والإفادة والوقوف عند ما يعلم وليقل في ما لا يعلم - لا أعلم - وإذا سئل عن غريب وكان مفسراً في القرآن فليقتصر عليه ٠٠٠٠٠ والوظيفة الثالثة والرابعة : ( الرواية والتعليم ) ومن آدابها الاخلاص وان يقصد بذلك نشر العلم وإحيائه والصدق في الرواية والتحري والنصح في التعليم والافتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم<sup>(١)</sup> » .

وكان العلماء المتقدمون قبل ابن جني يوردون معلوماتهم اللغوية إيراداً غير منظم لا رابط بها إلا قليلاً وكان اهتمامهم مصوباً الى الجزئيات أكثر منه الى الكلّيات بل كان قليل منهم من يعنى بالاهتمام بالكلّيات والضوابط العامة وكانوا يتبعون الطرق التي أشار اليها السيوطي في مزهره فيملون معلوماتهم عن اللغة وعن مفرداتها مفردة مفردة كالذي نجده في كتب المبرد ( - ٢٨٥ ) وكتب الأصمعي ( - ٢١٦ ) بل وكتب أبي علي القالي ( - ٢٦٥ ) وهي كتب تشتمل على كثير من أخبار العرب - ومباحث الأدب وقصص التاريخ والمفردات اللغوية ، وقد ظل هذا الحال حتى أطل القرن الرابع للهجرة فأخذ علماؤه من شيوخ ابن جني وطبقته يعتمدون الى تنظيم مباحث علم اللغة وشعروا بضرورة تنظيم المباحث اللغوية تنظيماً يعتمد على المنطق والترتيب وهكذا ( فتح القرن الرابع للهجرة فتحاً جديداً في كل من الناحيتين الرئيسيتين لعلوم اللغة العربية وهما

(١) المزهر للسيوطي . طبع القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ٢ / ١٦٢ - ١٦٩



( النحو ) و ( عمل المعاجم ) وقد تخلص علم اللغة كما تخلص علم الكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم حتى من الناحية الشكلية (١) .

والحق أن القرن الرابع كان مبدأ تطور علم لافي علوم العربية بل في سائر علوم الاسلام . أما ما يتعلق بعلوم العربية وبعلم اللغة خاصة فقد أخذ علماء هذا القرن يسيرون على الخطة التي كان الخليل بن احمد ( ١٧٠ - ) قد بدأ بها ولكن أحداً من علماء عصره أو الذين جاءوا بعده لم يمتها الى ان كان القرن الرابع ، ولا شك في ان اطلاع هؤلاء الأئمة على طرائق العلماء الأقدمين من يونان وسريان وروم قد كان له بعض تأثير في تطور هذا العلم في القرن الرابع ، حتى أصبحنا نجد هذه الأبحاث اللغوية تدور في مجالس بعض الأمراء كعضد الدولة البويه ( ٢٧١ - ) قال الأستاذان ميتز وريشر : إن أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري قد شعروا بالحاجة الماسة الى منهج يسيرون عليه والى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة ، وقد كان لمعرفة العلماء العرب المحدثين بعلوم اليونان اللسانية اثر كبير في ذلك ، وكان البحث يدور في مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصول استنباطهما . وقد ميز أبو سليمان السجستاني النزعة الجديدة في النحو بأن قال : ( نحو العرب فطرة ونحونا فطنة ) [ راجع أخبار العلماء للقنطري . طبع اوربا ص ٢٨٣ ] وإذا وجدنا ابن فارس ( ٣٩٥ - ) يؤلف لأول مرة مقدمة في النحو فينبغي ألا نرى في هذا سوى وليد للمقدمات ( الايساغوجي ) التي كتبها علماء اللغة اليونانية . وأكبر ماتم على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم ونجد هنا حداً واضحاً يفصل بين عهدين وطريقتين وكان حمزة الاصفهاني ( ٢٥٠ أو ٣٦٠ ) خاتمة اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشمل إلا على عبارات للخطباء والبلغاء الذين ألفوا كتباً من المترادف وأخرى يستعين بها الخطباء في الخطبات ففي كتاب الموازنة مثلاً

(١) آدم ميتز في ( الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ) ترجمة الدكتور عبد الحمادي

ذكر أربعاً مائة كلمة في معنى ( الشقي ) وكذلك جمع في كتاب الأمثال أكثر ما يعرض في لغة الخطباء من عبارات المفاضلة نحو : أبيض من الشايج ، وأجشع من الفيل . . . وقد كان جمعه وافيًا بحيث لم يصنف علماء القرون التالية شيئاً إليها ، وكان سلفه قد جمع من هذه العبارات ثلاثمائة وتسعين فجمع هذا ألفاً وثمانمائة . . . وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني الموصل ( ٢٩٢ - ) وهو الذي ينسب إليه ابتداء بحث جديد في علم اللغة وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم والذي يختص بمادة الكلمة دون هيتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا وقد كان ابن جني معتزاً بنظرته هذه <sup>(١)</sup> .

والحق أن عمل ابن جني في الاشتقاق الأكبر ، والترتيب اللغوي ، والمباحث الكلامية ، والدراسات الصرفية التي خلفها في كتبه العديدة التي سنعرض لها في آخر هذه المقالات ، هو العمل الجدي الثمر الذي طوّر مباحث اللغة وجعل لها أسلوباً جديداً انتظم أمره بابن جني ولكن أحداً من العلماء بعده لم يتم ما بدأ به .

### مذهبه في النحو :

انقسمت مذاهب النحو إلى أربع مدارس رئيسة هي : مدرسة أهل البصرة ومدرسة أهل الكوفة ، ومدرسة أهل بغداد ، ومدرسة أهل الأندلس . وأصل هذه المدارس وأولها مدرسة أهل البصرة ؛ ففي هذه المدينة نشأ علم النحو العربي ، ومؤرخو الآداب العربية يختلفون في أولية وضع النحو العربي بين أربعة من أهل العلم هم : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم الليثي ، وعبد الرحمن بن هرمز .

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٨٧ ، ٣٩١ وراجع بحث الأستاذ O. Rescher في كتابه عن الإمام ابن جني ص ٢٠ - Z. A. 1909 Studien uber Ibn Ginni

أما الامام علي : فأقدم من نسب إليه ذلك هو أبو العباس المبرد ( — ٢٨٥ ) حيث يقول : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عمن أرشده الى الوضع في النحو فقال تلقته عن علي »<sup>(١)</sup> . ويقول ابن النديم ( — ٣٨٥ ) : « وزعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »<sup>(٢)</sup> .

وأما أبو الأسود ( — ٦٩ ) فقد أجمع كل من كتب في تاريخ النحو على نسبة وضع هذا العلم إليه ، وأول من ذكر ذلك هو محمد بن سلام الجمحي ( — ٢٣٢ ) فقد ذكر في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ما يلي : « وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي . . . . . ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والتصب والجزم »<sup>(٣)</sup> . وجاء بعد ابن سلام الامام ابن قتيبة ( — ٢٧٦ ) فقال : « . . . لأنه أول من عمل في النحو كتاباً » . وجاء بعد ابن قتيبة أبو العباس المبرد ( — ٢٨٥ ) فقال : « . . . أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي » . وجاء بعد المبرد ابن النديم صاحب الفهرست وقد رأيت قوله فيما سبق ، ثم تتابع المؤرخون بعدهم ينقلون أقوالهم .

وأما نصر بن عاصم ( — ٨٩ ) فقد كان فقيهاً وعالمًا بالعربية وفصيحا بارعاً ، تعلم من أبي الأسود الدؤلي وروى عنه القرآن الكريم قال ابن النديم في الفهرست : « وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي »<sup>(٤)</sup> . وقال ياقوت : « أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو كتاب نصر بن عاصم »<sup>(٥)</sup> .

(١) أورد هذه العبارة أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ( — ٣٥٠ ) في كتابه طبقات النحاة . وهو مخطوط في خزانة

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٩

(٣) الشعر والشعراء طبعة الباني الحلبي ٧٠٧ / ٢

(٤) راجع تاريخ علوم اللغة للرحوم الأتاذ الجليل جله الراوي ص ٧٦ وما بعدها .

(٥) ارشاد الأريب في ترجمة نصر بن عاصم

وكان نصر هذا من نبيه أصحاب أبي الأسود وتلاميذه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية وهي المعروفة (بالتعليقة) حتى قال بعضهم: إن أول اسناد علي عرف في الأدب هو اسناد نصر الي أبي الأسود في تعليقه هذه . وقد ألف نصر في العربية كتاباً لم يصل إلينا<sup>(١)</sup> .

وأما عبد الرحمن بن هرمز (١١٧ - ) فقد كان أحد القراء العلماء بالعربية والأنساب ، وقد قيل في ترجمته إنه أول من ألف في النحو . وكان يمت تلاميذ أبي الأسود وأصحابه أيضاً . قال الزبيدي : كانت من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش .

والذي نراه في هذه القضية ان أبا الأسود هو الذي وضع أسس هذا العلم ولعله أطلع الإمام علياً على ما أراد أن يضعه أو أنه فعل ذلك الوضع يرى الإمام وتوجيهه . وأما عمل نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فهو قيامهما بإتمام ما بدأ به أسنادهما أبو الأسود ، ويقال ان نصرأ هو الذي قام بتمييز الحروف المتشابهة كالباء والباء والنون والياء ، والصاد والضاد والطاء والظاء وما يشبه ذلك . كما يقال ان عبد الرحمن هو الذي رتب ما تلقاه من شيء أبي الأسود وألفه في كتاب ، وخصوصاً إذا عرفنا أن نصرأ وعبد الرحمن قد عاشا طويلاً بعد أسنادهما فكان طبيعياً ان يكمل ما بدأ به .

وصفة القول ان أبا الأسود هو الذي وضع أساس بناء النحو في البصرة وذلك بأن ضبط قراءة القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> ثم وضع بعض القواعد العامة المتعلقة بالرفوع والمنصوب والمجرور أو ما أشبه ذلك .

هذا ما نرتأيه في المقدار الذي ساهم به أبو الأسود وأصحابه في وضع العربية أما ما يقال من أنهم وضعوا أبواب النحو ، كما تذكر ذلك بعض المصادر العربية

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للرحوم الأستاذ الراوي ص ٧٦ وما بعدها

(٢) راجع ترمذ الألباء لابن الانباري ص ١١



القديمة ، وأنهم قسموا الحكمة الى اسم وفعل وحرف وذكروا النواصب والجوازم ، وبوتوا النحو وغير ذلك فأمر يستبعد وقوعه في ذلك الزمن المبكر ، ولكن الذين بحثوا في هذه الموضوعات وبوتوا النحو ، هم رجال الطبقة الثانية التي جاءت بعد أبي الأسود وتلاميذه في القرن الثاني للهجرة أمثال عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد ، وعيسى بن عمر الثقفي . فقد كانت البصرة بيئة عربية لقرنها من المربد الذي كان يقصده عرب البادية العربية يتتارون ويتناشدون الأشعار حتى غدا أجل سوق للعرب في الجامعة والاسلام . وكان هؤلاء العلماء البصريون أصحاب قياس وتقنين يحاولون ضبط أصاليب اللغة بالقواعد المنطقية التي أفادوها من الاطلاع على المنطق اليوناني ، الذي ترجم في عصرهم . وكانوا حريصين على القياس وطرد القواعد وإهمال كل ما يخالف أقيستهم ونظرياتهم اللغوية التي وضعوها مستنيرين بالعقل السليم والمنطق الصحيح ، والفلسفة اليونانية حتى قال صاحب الانصاف : « إنهم بنوا كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة والمحافظة على أن تجري الأبواب على منن واحد ، وقالوا ألا ترى انهم حملوا المضارع على الماضي اذا اتصل به ضمير جماعة النسوة نحو تضرعن وحذفوا الممزة من اخوات أكرمَ نحو تكرم وبكرم ، والأصل فيها تؤكرم وتؤكرم ؛ يؤكرم كما قال : فانه أهل لأن يؤكرما

وكذلك حذفوا الواو من اخوات يَعدُ نحو أعد ، وتعد ، ويعد ، والأصل أوعد ، ويوعد ، وتوعد ، حملاً على يَعد ، كل ذلك لتحصيل التشاكل والفرار من نقرة الاختلاف <sup>(١)</sup> » .

### مدرستا البصرة والكوفة :

يوجب البصريون سير اللغة في سبيل واحدة متشابهة متشاكلة لا شذوذ فيها ولا اختلاف وهم يشبهون القياس النحوي بالقياس الفقهي ويقولون لا بد لكل

قياس من أركان أربعة : أصل وفرع وعلة وحكم ، ويقولون قد يخرج على القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولا يقاس عليه غيره ، ويقولون : 'يحمل الأقل والأندر على الأعم الأكثر' ، وهذا أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر<sup>(١)</sup> ، ويقولون : لا بد لكل أمر من دليل وعلة ، ويقولون : لكل قاعدة أصل ولا يصح العدول عن هذا الأصل ، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهناً باقاة الدليل<sup>(٢)</sup> . . . وما إلى ذلك من القواعد والأصول والأقيسة التي تعتمد على علمي المنطق والأصول ، ونظريات الفلسفة .

وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل إلى التوسع وعدم التقييد وكان رجالها يعتمدون على سعة روايتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لا يتقيدون بالقواعد النحوية ، ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الأسلوب العربي لمخالفته الأقيسة انما هو صحيح . . . فذهبتهم أقرب إلى السليقة منه إلى الصنعة ولعل سبب ذلك هو انهم كانوا يعتمدون على المعين الأدبي الذي تدفق عليهم ، أكثر من اعتمادهم على المنطق اليوناني وتعقيداته ، وعلى الفلسفة وقواعدها كما كان يفعل رجال المدرسة البصرية الذين أغرقوا في الاعتماد على نحو السريبات ، وعلوم اليونان ، وثقافات الفرس ، على عكس الكوفيين الذين كانوا أميل إلى الانطلاق عن كل هذه القيود .

وأوائل من عرف من الكوفيين بالاهتمام بالعربية جماعة منهم :

أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي ( ١٦٤ - ) الامام النحوي المقرئ المؤدب الذي كان من كبار رجال علم القرآن والحديث والعربية ، ولد في البصرة ولكنه أقام في الكوفة وتعلم على رجالها وروى القرآن عن عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي الكوفي إمام القراء وأحد القراء السبعة ، وقرأ العربية

(١) الانصاف ص : ٢٧٧

(٢) الانصاف ص : ١٣٤

على أبي عمرو بن العلاء وطبقته . . . وروى عنه الحسين بن علي الجمعي الكوفي  
الامام الزاهد وأحد أعلام القراءات . وله كتاب في الحديث ، وقصد في  
آخر عمره بغداد وفيها مات <sup>(١)</sup> .

وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء ( ١٨٧ - ) مؤدب عبد الملك بن مروان ،  
وشيخ أبي الحسن الكسائي إمام نخبة الكوفة ، وأبي جعفر الرؤاسي أول من  
صنف من أهل الكوفة وكان الهراء من أئمة النخبة الرواة ، أخذ عن الامام  
جعفر الصادق ، وكان صديقاً للكثير من الشعراء ، وله شعر لا بأس به ، وقد عمر  
طويلاً ، قال ابن خلكان : قرأ على الكسائي وروى عنه وصنف في النحو  
كثيراً وكان بتشيع ، وله شعر كثر النخبة وكان في عصره مشهوراً بالعمر  
الطويل ، وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باقٍ <sup>(٢)</sup> ويقول  
ابن الأنباري في النزعة : وقيل إنه كان يكنى أبا علي وهو من موالى محمد بن  
كعب القرظي ، وهو عم أبي جعفر الرؤاسي . . . ولا مصنف له يعرف .  
وأول من عرف من الكوفيين بالتصنيف والبحث عالمان جليلان هما :

أبو جعفر الرؤاسي محمد بن الحسن بن أبي سارة النبلي النحوي ( - ١٩٠ )  
وقد تلقى العلم عن عمه معاذ بن مسلم الهراء وعن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى  
ابن عمر الثقفي ، وكان بارعاً بالنحو والصرف والقراءات ، وكانت له اختيارات  
في القراءة والوقوف . وقد روى عنه يحيى بن زياد الفراء ، وخلاد بن خالد  
الصيرفي ، وعلي بن حمزة الكسائي <sup>(٣)</sup> . وكان صبيوه يجله ويشق بعلمه وكما  
قال في كتابه ( قال الكوفي ) عنه . قال ابن درستويه : زعم أبو العباس

(١) راجع تهذيب التهذيب ٤ / ٣٧٣ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١ / ٣٢٩ وتاريخ  
علوم اللغة للرازي ص ١٢٢

(٢) راجع بقية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٣ ، ونزعة الالباء لابن الأنباري ص ٦٤  
والكنى والألقاب لقمي ٣ / ٢٣٩

(٣) انظر النهاية لابن الجزري ٢ / ١١٦ والبقية ص ٣٣ والنزعة ص ٦٥ .

أحمد بن يحيى ثعلب : إن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو الرّوامي والفراء . وقال الفراء : لما خرج الكسائي إلى بغداد قال الرّوامي قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميز منه فجئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرّوامي فأجابني بخلاف ما عندي ففهمت قوماً من علماء الكوفيين فكانوا معي فقال : مالك قد أنكرت لملك من أهل الكوفة ، فقلت : نعم فقال : الرّوامي يقول كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسألي فلزمته . وقال الرّوامي : أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه<sup>(١)</sup> ويقال لكتابيه ( الفيل ) . وقال المبرد : عرف الرّوامي بالبصرة وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليفرضه على أصحابنا فلم يلتفت إليه ولم يحسر على إظهاره لما سمع كلامهم . وقد ألف الرّوامي كتباً عديدة منها ( الفيل ) و ( معاني القرآن ) و ( التصغير ) . و ( الوقف والابتداء الكبير ) و ( الوقف والابتداء الصغير ) وقد ضاعت هذه الآثار كلها فيما أعلم .

والكسائي الإمام علي بن حمزة بن عبد الله بن بهرام ( ١٨٩ - ) وكان شيخ الكوفة الأعظم وهو طد قواعد مذهبي في النحو والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة المشهورين ، قرأ على حمزة ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع العلم من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عياش ، وسفيان بن عيينه ، وتعلم النحو من الرّوامي ومعاذ المراء ولزمه حتى أنقذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس في حلقة فقال له رجل من الأعراب تركت أسداً بالكوفة وتميماً وعندهما انقضاة وجئت إلى البصرة !! ثم انه قال للخليل : من أين أخذت عليك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنقذ خمس عشرة

(١) انظر ارشاد الأريب ٢ / ١٣٨ والبغية ص ٣٥ والنزهة ص ٦٦ والمزهر ٢ / ٢٠١ وطبقات الزبيدي ص ٦١ وبركلمان C. A. I. ١ / ١٦٥ والذيل ١ / ١٧٧



قنينة خبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، وقدم البصرة فوجد الخليل قد مات ، وفي موضعه يونس بن حبيب فحرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس وصدّره في موضعه . قال ابن الاعرابي : كان الكسائي أعلم الناس ضابطاً علماً بالعربية قارئاً صدوقاً إلا أنه كان يديم شرب النبيذ . وقال ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجمله أصلاً ويقيس عليه ما أفسد النحو بذلك <sup>(١)</sup> » . ولا شك في أن ابن درستويه إنما قال ذلك بعقلية نجاة البصرة المنطقيين المتشددين . وقد نبغ من تلاميذه ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، وأبو عبيد القاسم بن سلام . وله كتب كثيرة ذكرها الخطيب البغدادي في ترجمته والزيدي في طبقاته وياقوت في معجمه ، وابن خلكان في وفياته ، وأحمد أمين في ضحى الإسلام . ولم يبق من هذه الكتب إلا رسالة في ( لحن العامة ) وكتاب ( المتشابه في القرآن ) <sup>(٢)</sup> .

وبلي الكسائي عند الكوفيين تلميذه يحيى بن زياد بن عبد الله بن الفراء ( ٢٠٨ - ) الذي تصدر في الكوفة بعد أستاذه الكسائي . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأمره المأمون أن يجمع أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ووكل بها جوارى وخدماء للقيام بما يحتاج إليه . . . حتى حققت ( الحدود ) وأمر المأمون بكتبه في الخزائن . وكان أعلم الكوفيين بعد الكسائي ، وكان يميل إلى الاعتزال ، زائد العصية على ميبويه وقد ألف عدة

(١) راجع البنية ص ٣٣٦ والنزعة ص ٨١

(٢) راجع بروكلمان في G. A. I ١١٥ / ١ والتبيل ١٧٨ / ١

كتب ذكرها الخطيب البغدادي ، وياقوت ، والسيوطي ولم يبق منها إلا كتاب  
( معاني القرآن ) و ( الفاخر ) في الأمثال و ( المقصور والمحدود ) و ( المذكر  
وال مؤنث ) و ( الأيام والليالي )<sup>(١)</sup> .

هؤلاء هم أئمة المدرسة الكوفية التي كانت في أول أمرها بعيدة عن طريق  
المناطق والفلاسفة ولكنها لم تلبث في عهد الفراء أن تأثرت بالمنطق والقياس على  
طريقة أهل البصرة ولكنها لم تغال غلو أهل البصرة<sup>(٢)</sup> .

الدكتور محمد أسعد طلس

( للبحث صلة )

—\*—

(١) راجع بروكلمان G. A. L. ١١٦ / ١ والتيل ١٧٨ / ١

(٢) راجع الانصاف طيبة بريل ص ٤٥ ، وتاريخ علوم اللغة لراوي ص ١٢٢

# التعريف والنقد

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم شعراء الشام ، الجزء الأول

ألفه العبد الاصقائي وحققه الدكتور شكري فيصل ونشره المجمع العلمي العربي  
في ١٨ + ٦٩٠ صفحة (١) و ٨ رواميز - المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٩٥٥

عني العرب ، في مطلع عصر التأليف ، بالشعراء القدامى ؛ فجمعوا ما أثر عنهم وشرحوه وتقده . ثم جعلوا أولئك الشعراء طبقات في الزمان وفي الإتقان ، وترجموا لهم وقومهم . ولكن هؤلاء المؤلفين لم يلتفتوا إلى عصريهم ، ولم يقرؤا لهم بأيسر الفضل ؛ ولذلك ذواعر ، من أعظمها ، فيما نظن ، عناية هؤلاء المؤلفين الأوائل بسلامة اللغة وصحة التعبير قبل كل شيء ، وهما إنما يأتحسان في عصري الجاهلية وصدر الإسلام .

ثم دخل الشعر العربي في طور جديد ، ونبغ فيه من المتأخرين من لا يقل عن المتقدمين ، في إشراق الديباجة وصحة الحوك وجمال المعاني والصور وتنوع الأغراض ؛ ففطن القوم إلى هذا الشعر الجديد ، وأخذوا يؤلفون في طبقات الشعراء المحدثين والمولدين ، ويمسكون على تذوق منظومهم ، وينزلونهم المنزلة التي هم أحق بها . وفي المكتبة العربية تصانيف كثيرة ، كتبها أصحابها في هذا الشعر الحديث وشرحه وتقده ، وفي شعراء أواخر القرن الثالث وما بعده

---

(١) أخطأ الطابع في ترقيم بعض الصفحات ، فانتقل من ص ١٦٠ إلى ص ١٧٧ ، وتجاوز الأرقام ١٦١ إلى ١٧٦ ، وعلى ذلك يقع نص الكتاب في ٦٧٤ صفحة فقط .

إلى يوم الناس هذا . ومن أجل هذه التصانيف كتاب ( خريدة القصر  
وجريدة العصر ) .

مؤلف هذا الكتاب هو عماد الدين القرشي الأصفهاني الكاتب ( ٥١٩ - ٨١٧هـ ) .  
نشأ في فارس ، وطوّف في بلاد العراق والشام ومصر ، ولقي فضلاءها وأدباءها ،  
وأخذ عن كبار علمائها وشيوخها ، وصحب نور الدين وصلاح الدين ، وشهد  
حروبها مع الفرنجة . وكان عالماً فاضلاً ، كاتباً شاعراً ، متمكناً من الفارسية ،  
مالكاً ناصية العربية ، طويل الباع فيها ، مولماً بالنثر المصنوع المعقد ، يصوغ  
به رسائله ، ويفرغ فيه ما يؤلفه في تاريخ عصره الأدبي والحربي والسياسي ،  
ويكثر من التسجيع والترصيع والتجيس والمطابقة ، حتى يعمس على الحافظ  
استظهار أسماء بعض كتبه ، ككتابه ( نصرة الفترة وعصرة القطرة ) في تاريخ  
السلجقة ، و ( الفتح النقي في الفتح القدي ) في فتوحات صلاح الدين ،  
و ( فحمة الرحلة وحلية العطة ) في اضطراب البلاد بعد موت صلاح الدين ،  
و ( خريدة القصر وجريدة العصر ) الذي نعرّف به هنا .

ويطول بنا الكلام إذا شئنا التحدث عن المصنفات التي ألف العماد كتاب  
( الخريدة ) على نسقها ، وعن الكتب التي ألّف بعده على غرارها ، وعن المؤلفين  
الذين اعتمدوا ( الخريدة ) ، ونهلوا من معينها ، كياقوت وابن خلكان وابن شاكر  
والصفدي وابن السبكي وابن الفوطي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن كثير . . . (١)  
فنتنصر هنا على التعريف ( بالخريدة ) فحسب .

كسر العماد كتابه هذا على اثني عشر جزءاً ، جعلها أقساماً أربعة : فقصر  
القسم الأول على شعراء العراق ، ووقف الثاني على شعراء العجم وفارس وخراسان ،  
وخصّ الثالث بشعراء الشام والموصل وجزيرة بني ربيعة وديار بكر وأضاف إلى  
هذا القسم شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وجمع في الرابع شعراء مصر وصقلية

(١) اقرأ كلمة في ذلك كله في : ( الخريدة ) ، القسم العراقي ، الجزء الأول ،



والمغرب وبلاد الأندلس . ولئن انفسحت رقعة مواطن هؤلاء الشعراء في المكان ( فامتدت من أقصى المشرق العربي آنئذ إلى أقصى المغرب ) فقد ضاقت في الزمان ، إذ يقول العماد : « وقد ذكرتُ أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي ، فالكتاب مشتمل على المصريين : السالف الماضي ، والحاضر النامي . وأكثرُ ما أوردته شعرُ مَنْ أروي عن واحد ، عنه ، إن لم أكن أدركته وسمعته منه . ولم أقتصِر على المتقى المتقدم ، والمتنخل المنتخب ، بل ذكرتُ لكل شاعر ما وقع إلي من شعره ، وأثبتته : إما لمعنى غريب ، أو لفظ مستحسن ، أو أسلوب رائع . . . » <sup>(١)</sup> . وقد اعتمد الدكتور شكري فيصل مقاله ابن خلكان في ترجمته العماد ، إذ جعل الخريدة تحتوي على تراجم ( الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ) <sup>(٢)</sup> . وما نرى قول ابن خلكان حقاً ، ففي الخريدة مثلاً ترجمة للشريف أبي الحسين علي بن حيدرة العقيلي ، وكان يعيش في النصف الأول من القرن الخامس <sup>(٣)</sup> ، وأخرى للباخرزي صاحب « دمية القصر » وقد توفي سنة ٤٦٧ هـ ، وثالثة للأخير تاج الملوك أخي صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٥٧٩ هـ .

وقد يحسب الفارئ بادئ بدء أن ( الخريدة ) موقوفة على الفحول من الشعراء ، ولكنه لا يلبث ، إذا ما مضى في مطالعتها ، أن يرى فيها شعراً للمفهورين منهم ، بل وبعض المقهّاء والمحدثين وأبناء الأجناد ، ثم يرى ، إلى جانب هذا الشعر أيضاً ، قدراً وافراً من نثر عصر العماد ، وقد غلبت على أكثره الصنعة ، وأثقله البديع ، فغاضت محاسن معانيه ، بالتأنق المتكاف في زخرفة مبانيه ، ولا عجب ، فالعصر عصر القاضي الفاضل وليّ نعمة العماد ، وأستاذه في هذا المذهب الفني ، ورافده في تأليف جزء الخريدة المتعلق بالمغرب .

(١) المصدر السابق ١ / ٧ .

(٢) راجع ( الخريدة ) ، قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ٣ .

(٣) راجع ( الخريدة ) ، قسم شعراء مصر ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٢ - ٦٣ .

من عادة العباد في (الخريدة) أن يوطئ للكلام على الشاعر أو الكاتب بترجمة مسجعة له ، ويعقب على ذلك بإيراد تنف من أخباره ، وأنبأ من رسائله أو أشعاره ، وقد ينسق هذه الأسماء على القوافي المتلاحقة على حروف المعجم . . . . ولكنه لا يلتزم ذلك كله دائماً ، ولا يتبع في التوطئة نسقاً واحداً ؛ فقد يغفل ذكر تاريخ ولادة المترجم له أو وفاته ، أو يقتصر على ذكر اسمه وينتقل إلى ذكر شيء مما اختاره له . ووصفه لمؤلاه الأدياء غامض مبهم في الحين بعد الحين ، فالعباد يضيف على أكثرهم ثوباً واحداً في معناه ، من الإشادة بمحاسنهم ، والتنويه ببراعتهم ، فكلهم « قس في الفصاحة ، وقبس في الحصافة ، وحاتم وعمرو في السباحة والجمامة » . وقد يكون هذا الثوب من الثناء ضافياً فضفاضاً على بعضهم ، وضيقاً قصيراً على الآخرين . فأكثر أحكامه النقدية لا يعيننا اليوم على إحلال الشاعر المنزلة التي يستحق ، بل ولا على تبين المنزلة التي كانت له عند العباد وأهل عصره ، وليست (الخريدة) في جملتها إلا قصائد ومقطعات من الشعر وشذوراً من النثر ، اختارها أصحابها أو انتقاها المؤلف ، منها الحسن ومنها ما هو دون ذلك ، تسبقها توطئة في التعريف بصاحبها ، ليست من حرّ النقد الأدبي كما نقهه اليوم إلا في الندرى . على أن (الخريدة) رغم هذا كله قد تعين من يتصدي لكتابة تاريخ الأدب والنقد في القرنين الخامس والسادس .

وقد يودع العباد (الخريدة) تنفاً من أشعاره ، ويقول في بعضها : « وما أردتُها لجودتها ، على أنها ما تقصر عن الغاية ، بل لمناسبتها وكونها لائقة بهذا الموضوع - »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

نفض بعض أفاضل علماء العراق ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي منذ أكثر من خمس سنوات ، لتحقيق القسم العراقي من (الخريدة) ،

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١ / ٣٠ .

وصدر في أوائل هذا العام ( ١٩٥٦ م ) الجزء الأول منه ، كما كان قد صدر في القاهرة قسم شعراء مصر ، الجزء الأول سنة ١٩٥١ والجزء الثاني سنة ١٩٥٢ م . أما القسم الشامي فقد عهد المجمع العلمي العربي بتحقيقه إلى الدكتور شكري فيصل ، الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة السورية ، وصدر الجزء الأول منه في أواخر العام ١٩٥٥ م ، واعتمد المحقق خمسة مخطوطات متفاوتت قيمها ، ولكن أجلتها مخطوط المكتبة الوطنية في باريس ، ويقدر الدكتور فيصل أن يقع قسم شعراء الشام في ثلاثة أجزاء ، ويرجو - عندما يفرغ من نشرها - أن يعقب عليها بدراسة ( للخريدة ) ومؤلفها ، وللشعر في هذه الفترة .

وفي هذا الجزء الأول من قسم شعراء الشام ترجمة ومختارات خمسة وأربعين علماً : من شعراء بلاد الساحل الشامي ( ٣ ) وشعراء دمشق ( ١٠ ) وعلماء دمشق والقدس ( ١٠ ) وفضلاء دمشق ( ٨ ) وحمص ( ٢ ) وحماة ( ٢ ) وبني منقذ ( ١٠ ) . وفي نضاعيف هذا الجزء فصول ورسائل ثرية طويلة ، كرسالة ( النسر والبلبل ) ، للمهذب الدمشقي ، ورسالة في الصيد والشراب ، للأمير يغمر بن عيسى .

أتفق المحقق الفاضل ، مشكوراً محموداً ، الكثير من الجهد والوقت في إخراج هذا الجزء للناس ، وطبعه طبعةً علميةً نقديةً منقّحةً صحيحةً ، فجمع ما تيسر له من أصول الكتاب ، وقارن بين الروايات ، وتخير أفضلها ، وضبط الكلمات التي يتوقف جمهور القراء عندها ، وشرح معنى الغريب منها ، وترجم لمن وردت أسماء في المتن ، واستند في ذلك إلى المراجع العربية الموثوقة ، فيسر بذلك قراءة هذا السفر الثمين ، وهون الاستفادة منه على أيسر وجه وأهدى سبيل . ووطأ المحقق بمقدمة تعرف بالكتاب ومؤلفه ، وتصف الأصول التي اعتمدها ، تقفوها رواميز هذه الأصول . ثم ألحق بهذا الجزء مستدرَكًا أودعه مابداً له فيه رأي مستأنف بعد أن سبق طبعه ، وعقب على ذلك بستة فهارس لأبواب هذا الجزء ، وأسماء شعرائه ، والمختار من منظومه ومشوره ، وللاماكن ،

والأعلام ، والمراجع والكتب الواردة في متنه وحواشيه . ووضع فهرس متقنة وافية لمثل هذا الكتاب الوسيط أمر محتم في كل طبعة نقدية ، ولا بقدرها حق قدرها إلا الباحثون المتتبعون ، ولا يعرف عناؤه وخمها على الوجه الأكمل إلا من اضطلع بمثل هذا الأمر وكابد مشقاته . وفهارس هذا الجزء متقنة وافية تدل على الدقة والدأب والتبصر ؛ ولكننا كنا نود لو تبسط المحقق في التعريف بالكتب التي اعتمدها هو أو أشار إليها العمداء في فهرس (المراجع والكتب) ، فذكر فيه هذا المطبوع منها الطبعة والطابع ومكان الطبع وزمانه ؛ وإلى جانب المخطوط خزائنه ورقه ووصفه بإيجاز . وليس في فهرس (الأعلام) ما يميز صفحات الكتاب وحواشيه التي ورد فيها تعريف وافر بالعلم من الصفحات التي أشير فيها إليه إشارة عابرة ، وفي العادة أن يوماً إلى ذلك بأرقام متباعدة . هذا واننا لندرجو أن يقوم المحقق أو أحد تلامذته - بعد أن يتم نشر الكتاب بأصابه - بوضع فهرس آخر للألفاظ (الخريدة) التي تنكرها المعاجم ، أو تغفل المعنى الذي حتمته تلك الألفاظ في ذلك العصر ، حتى تنسنى معرفة لغة أدبائه ، ويمهد بذلك إلى وضع معجم تاريخي بأطوار لغتنا العربية .

وقد يؤخذ على المحقق بعض الحواشي ، فهو مثلاً إذا ورد اسم الإمام الشافعي في المتن (ص ٣٣) ذكر في الحاشية : « أنه أشعر الناس وأدبهم » . وليس في مثل هذا التعريف بالإمام الشافعي كبير غناء ، ولا يشفع للمحقق أنه أخذ هذا الوصف عن غيره ، أو أن عدوي أسلوب العمد قد مرت إليه فيه . وفي الكتاب نطبعات ، أثبت الفهرس الثامن أكثرها وفاته بعض ما لا يظن جمهرة القراء إليه ، كذكره كتاب « معجم الآداب في معجم الأسماء والألقاب » (ص ٥) ، والصواب « معجم الآداب في ٠٠٠٠ » ، وقوله : « والمثل جمع في الأمثال » (ص ٣٨٥) وصوابه : « والمثل في جمع الأمثال » . وقوله : « بكاً على ما كان » . ص ٢٨٨ وفي « بكى ٠٠٠ » .



... هذه الهنوت وأمثالها لا تقدح في محاسن هذه الطبعة النقدية ، ولا تعني المنصف من إزجاء أطيب الثناء والحمد للمحقق الدكتور شكري فيصل ، فيجهوده وجهود ثلة من المحققين في هذا العصر أتيح لهذا الجيل أن يطلع على الكثير من ذخائر تاريخنا وأدبنا ، مجلوة في أجمل عرض وعلى أصح نهج وأيسر سبيل ، وغدا فضل بثها من خزائنها ، ونشرها. نشرأ عليها لا تجارياً ، مشاعاً بين علماء العرب والمستشرقين .

\* \* \*

وكلمة أخيرة ، هي أن ( الخريدة ) هذه الموسوعة الثمينة ، مقسمة الى أقسام ، اضطلع بتحقيق جزءين منها باحثون من مصر ، وجزء ثالث باحثان عراقيان ، وجزء رابع باحث دمشقي ، ودلى كل من هؤلاء وجهة مستقلة ، فكانوا طرائق قديداً في نهج التحقيق والشرح ووضع الفهارس ، وفي الاعتماد على الأصول ، واطلع بعضهم على مخطوطات لم يطلع عليها الآخرون فيقيدوا منها ، وطبعت هذه الأجزاء بأحجام مختلفة ... فخبذا لو تضاف المجموع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي ، وأقرأ طريقة واحدة في نشر الأجزاء الباقية من قسم شعراء الشام والعراق ، ثم حفزا همة ( الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ) كيما تشترك معها في نشر أقسام الكتاب الأخرى التي لم يتصد أحد لتحقيقها ، كقسم شعراء المعجم وفارس وخراسان وصقلية والمغرب والأندلس ، وفي إعادة نشر القسم المصري على النسق الذي يقر الرأي عليه ، وفي وضع فهرس موحدة شاملة وافية للخريدة في أجزائها كلها ، ليعم نفعها ويسهل على الباحثين الرجوع إليها ، ولهم ولان يعينهم على تحقيق هذه الأمنية وافر الشكر واصبا .

عبد الهادي هاشم

## طبقات الأطباء والحكام

تأليف أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل

ألفه سنة ٣٧٧ هـ . حققه فؤاد سيد ، أمين المخطوطات

بدار الكتب المصرية . مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي

للآثار الشرقية بالقاهرة ( ١٩٥٥ )

هو أول مؤلف في تاريخ الأطباء والحكام ظهر في الأندلس . وهو من أقدم ما كتب في هذا الموضوع . ويعد مع الفهرست الذي ألفه ابن النديم في نفس السنة التي ألف فيها ابن جلجل كتابه هذا وذلك في حدود سنة ٣٧٧ هـ من أقدم الوثائق الهامة في تاريخ العلوم بعد كتاب تاريخ الأطباء والحكام لاسحق ابن حنين المتوفى في سنة ٢٩٨ .

نقل عنه نقولاً كثيرة صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء وطبقات الأطباء ، وابن القفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وابن العبري في مختصر تاريخ الدول وغيرهم . ويتميز هذا الكتاب كما أشار إليه المحقق بأن مؤلفه يعتمد فيما رجع إليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية . بينا أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية . والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية . مما جعل لهذا الكتاب قيمة علمية خاصة . وقد استقى ابن جلجل ما جاء في كتابه هذا من مصادر منها ما هو عن طريق النقل من الكتب التي اطلع عليها ككتاب الألوفا لأبي معشر وغيره . ومنها الأخبار المروية بالسماع ممن عاصره من العلماء وقد انفرد بها ونقلها عنه من جاء بعده . ومن هذه النصوص ترجمة مامرجويه لكتاب إهرن القس أيام مروان بن الحكم . وإن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب وأنه استنسخ الله في إخراجه إلى

المسلمين وبته في أيديهم . ولا يخفى ما لهذا النص من الأهمية في تاريخ حركة النقل والترجمة وحفظ المؤلفات في خزائن خاصة في صدر الدولة الأموية .  
 وما تحسن الإشارة إليه ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه من أنه ألف هذا الكتاب إجابة لسؤال شريف أديب من أشرف عصره ، ووصفه بالشريف الأصل الطيب النجد . الأموي القرشي . نجل الخلفاء وسلالة الأئمة الداعين إلى الهدى . فقد سأله أن يكتب إليه عن أول من وضع صناعة الطب وتكلم فيها . وذلك لأنه لم ير لأحد من المتقدمين في ذلك كتاباً مرضياً ولا كلاماً مقنعاً مشبعاً . مما بد لنا على ما كان عليه عليه القوم من ملوك وأشراف وأمراء في الأندلس في ذلك العهد الذهبي الغابر من ولع شديد بالتقريب عن الحقيقة والمعرفة ومن أثر خالد في الخوض على التأليف ونقل العلوم ونشرها بين الناس وازدهار الحضارة .

اعتمد المحقق في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة لم يعثر على نظيرها في مكشبات العالم على ما بلغ إليه بحثه . وقد اعتبر النصوص المفولة من ابن جليل في كتب من ألف في هذا الموضوع كابن أبي أصيبعة والقفطي والعمرى وصاعد وغيرهم نسخاً غير مباشرة صحح بها النص وحقق منها الخلاف الوارد في العبارة أو اللفظ مع المحافظة على نص المؤلف كما ورد في النسخة المخطوطة . وإنما بين ذلك في الحواشي معزواً إلى مصادره .

وقد عني المحقق عناية كبرى يشكر عليها بالبحث عن تراجم الشخصيات التي وردت في المتن . على ما في ذلك من صعوبة ومشقة . فأتى بتراجمهم مع ذكر مصادرها ، كما عني بالتعريف بالكتب والمصنفات الواردة في تراجم الأطباء وتعيين أماكن وجودها في العالم . وقد ألحق بكل ترجمة تعريفاً موجزاً بصاحبها لتعيين عصره وتاريخ مولده ووفاته وذكر اسمه كاملاً . متمماً بذلك النقص الكبير الوارد في الأصل إذ المؤلف أوجز في ذلك إيجازاً شديداً حتى أنه لم يذكر تواريخ الوفاة لمن ترجمهم .

ويربو ما أضافه المحقق على كتاب ابن جليل في مقدمته وفي حواشيه وذبوله من الشروح والتراجم والوثائق التاريخية والملاحظات القيمة على عدة أضعافه مما يوضح لنا الجهود الجبارة التي بذلها لإخراج هذا الكتاب القيم على الصورة الكاملة التي ظهر بها والتي لا يحتاج الناظر فيها إلى الرجوع لأي مصدر آخر لإيضاح غامض . أو معرفة ما ليس بمعلوم لديه .

ويقع الكتاب بـ ١٨٠ صفحة منها ٤٠ صفحة حوت المقدمة و ١١٦ صفحة حوت كتاب ابن جليل مع حواشي المحقق . وقد صنف المؤلف الأطباء والحكام الذين أتى على تراجمهم في تسع طبقات ذكر في الأولى الطبقة العالية الأولى من تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية . ثم الطبقة الثانية الحكيمة الرومية اليونانية ثم الطبقة الثالثة من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس بمن شهر في الطب والفلسفة . ثم الطبقة الرابعة من حكماء اليونانية من تكلم في الدولة القبطية بعد بنيان روما . ثم الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين . ثم الطبقة السادسة من لم يكن في أصله رومياً ولا سريانياً ولا فارسياً . ثم الطبقة السابعة من حكماء الإسلام ممن برع في الطب والفلسفة ، ثم الطبقة الثامنة من حكماء الإسلام ممن سكن المغرب ، ثم الطبقة التاسعة الأندلسية الحكيمة منهم والطبية .

وقد اختتم الناشر هذا المؤلف بتعريف الكتب التي تكرر ذكرها في المراجع مختصرة . ثم بفهرست الأعلام . ثم بفهرست الأماكن . ثم بفهرست أسماء الكتب الواردة في متن الكتاب . ثم بثبت المراجع وبيان طبعاتها ثم بفهرست الكتاب . هذا ولا يستغني بعد هذا الوصف الموجز لهذا الكتاب القيم إلا أن أثنى على ما بذله المحقق من العناية الكبرى في إخراج هذا الكتاب الذي يعد بما أضيف إليه من الحواشي من أنفس التحف التاريخية التي يفخر بها أدبنا وتاريخنا العلمي .

الدكتور أسعد الحكيم

دمشق



## أعيان الشيعة

تأليف السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي  
الأجزاء : السابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

ان مؤلف «أعيان الشيعة» لمن أبرك المجتهدين الاماميين على مقلديهم. في الديار الشامية لما قام به من الاصلاح المذهبي والاجتماعي ، فقد حارب البدع السيئة ، وعمل بروح تسامح وقوة عقله على تقريب القلوب بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين من السنة والشيعة ، وأشار على قومه بأن يصلّوا عليه بعد وفاته في الجامع الأموي الكبير ، وقضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتعلم وإصلاح العقول والأرواح ، وأكبر مؤلفاته أعيان الشيعة ، وهو دائرة معارف رجالية كبيرة لا يستغني عنها عالم ولا أدب في أبحاثه ، فقد كتب عن دعل الخزاعي مئة صفحة في الجزء الثلاثين ، ومن أم ما في هذه الصفحات إيراد القصيدة التالية التي زادت عن مئة وعشرين بيتاً ، وقد نوّه بذلك الأستاذ فراج مؤلف «دعل الخزاعي» ودعا للمؤلف بأن يميزه الله أعظم الجزاء ، كما نوّه بفضل الفقيه الدكتور عبد العزيز عزت أستاذ الأخلاق وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة في كتابه «ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها» ، وذكر أن ما كتبه الفقيه في الجزء العاشر قد بلغ خمساً وستين صفحة تشتمل على خير ما ذكره العلماء عن مسكويه ، وخير ما لهذا الحكيم من منظوم ومثور في الحكمة والأدب .

وفي هذه المعلمة من العلماء والأدباء من يراهم السنة من أعيانهم ، وإذا كان من يحب آل البيت ، ويتخذ حبيهم ذريعة تقربه زلقى إلى الله ، بعد شيعياً ، فما أخرى هذه المعلمة الرجالية : أن تبلغ من الأجزاء ألقاً ، فهي على ذلك من مظاهر جمع الشمل وتوحيد الكلمة الإسلامية مما كانت فقيدتنا يسعى إليه ويجمع القلوب المتنافرة عليه رحمه الله .

وتحتاج الأجزاء الباقية الى عناية تامة بتصحيح نصوصها ، فان فيما نشر بعد وفاة المؤلف من الأغلاط أو الهفوات المطبعية ما ليس معاً فلا نتعرض له ، ومنها ما لا يحمل وقوعه في مثل هذه المعلقة ولا يرضى صاحبها مما يفسد المعنى بعضه ، أو ينكسر به وزن الشعر ، ولم ينبّه له في التصحيحات كما في البيت التالي ( ٤٥ / ٣٧ ) ، وهو من الخفيف :

ماحنيني الى زرود ولا را مة لولاكم مايهسا لي مرام  
فان صدر البيت سليم وعجزه غير قويم ، وما هو كذلك في ديوان الشاعر ، ويستقيم الوزن لو قيل :

ماحنيني الى زرود ولا را مة مالي يهسا سواكم مرام  
وجاء في ( ٥٠ / ٣٧ ) :

لي الله كم لي وقفة بعد وقفة مع الدهر ردت علا الدهر أجذا  
والصواب : « مع الدهر قد ردت ... » .  
وفي ( ٥٣ / ٣٧ ) قوله :

لو طلبتم لي مزبداً في الهوى ما وجدتم فوق ما بي مزبدا  
ويستقيم وزن العجز لو قال : ( فوق ما في ... ) .  
وقوله والضمير يرجع لمهجه ( ٥٦ / ٣٧ ) :

تركتها بين تدمان غطارقة غرورا غلّة يفض مصاليت  
والصواب : « غرورا بها غلّة ... » .

ومن هفوات العروض أو المطبعية قوله ( ٥٩ / ٣٧ ) :  
وانهض بهمة حازم أنت الذي رصعت تيجان الرئاسة جوهرها  
ويحبر كسر الشعر بعدم تأكيد الفعل : « وانهض بهمة ... » .

وجاء في البيت الذي يليه : ( جادعاً نين ) والصواب ( عرنين ) وهو من المطبعة ، وجاء في البيت الذي يليه من ظلم المطبعة : ( والحجرة مبرا ) والصواب

(منبرا) ٤. وبذلك لم يخل بيت من هذه الآيات الثلاثة المتوالية من هفوة ٤ وقد ذكرتها على سبيل المثال .

وانظر الى هذا البيت ( ٢٧ / ٦١ ) وهو من مجزوء الكامل :

وأنا اذا استنجدت لم يكن بك منجدي  
فانك تجد ان الشطر الثاني ( يكن بك منجدي ) مكسور .

ومن محاسن الجزء الثامن والثلاثين بحث عن ديك الجن عبد السلام بن رغبان في ثمان صفحات ، وفي ترجمته من الشعر والأخبار ما قلما يعثر عليه ، وفي الجزء التاسع والثلاثين ترجمة الأمير الأديب عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي صاحب سر الصناعة<sup>(١)</sup> والذي كان ينسبه بالشريف الرضي في شعره ، فقد جاءت ترجمته في ٣٧ صفحة ، وفيها من خبره ومختارات شعره الشيء الطريف .

وكنا نود لو أشبع المؤلف البحث عن الإمام أبي الفتح عثمان بن جني ، فقد ترجمه في سطر واحد ، وذكر أنه من مشايخ السيد الرضي ، وما أدري لعل بقية الترجمة لم يعثر عليها .

ومن هفوات الجزء الثامن والثلاثين ( ٣٨ / ١٧ ) البيت التالي :

وما انا انت شط المزار بذاهل عن الود حتى تحتويني مصاوعي  
والصواب اليّن ( مصارعي ) ، وجاء في ( ٣٨ / ١٩ ) :

خليلي عرجا بالديار ومائلا أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم  
والصواب ( عوجا ) ، وجاء في ( ٣٨ / ٣١ ) :

وضع الدهر عايهم بركة فأيدوا لم يغادر غير نسل  
والصواب ( بركة ) أي صدره ، وهذا البيت من قطعة شعرية مطلعها :

سألتني جارتني عن أمتي واذا ماعبي ذو اللب سأل

والصواب ( وإذا ماعبي ) ، وإلا اختل الوزن .

(١) وقد نشره أخيراً الأستاذ عبد التميم الخفاجي نشرة علمية صحيحة .

وجاء في الجزء ( ٣٩ / ٣٥ ) : « الامام جمال الدين بن مظهر » وأظن الصواب « المطهر » . ومن هفوات النخو في هذا الجزء مما سلم منه الأصل ما جاء ( ٣٩ / ٤٣ ) : « وكان يحب الانصاف بين الرعية ، ولكنه جاهلاً بأمور الرعية » والصواب ( جاهل ) ، ونحسب ان ( كان ) قد سقطت حين الطبع ، وان الأصل ( ولكنه كان جاهلاً ٠٠٠ ) .

وجاء في ( ٣٩ / ٣٩ ) :

فأله أعلم حيث جعل علمه في جوف طاهر

ويستقيم الوزن بقوله ( حيث يجعل ) .

وجاء في ( ٣٩ / ٩٦ ) :

قضى الله فيها ما قضى ثم اتقضى وما ما مضى إلا كأضغاث حالم

ويستقيم الوزن بقوله ( ثم اتقضى ) وأحسبه كان في الأصل قبل النشر .

ومن جنائات المطبعة ( ٣٩ / ١٠٣ ) :

فكم أمر أغلب فيه نفسي ركبت فكان أدنى للنجاح

والصواب للنجاح كما لا يخفى .

هذا ما ذكرته من الهفوات على سبيل المثال ، وقد يكون فائتي ولا شك كثير من السهو الواقع في هذه الأجزاء الثلاثة مما لا يتسع له صدر هذه المجلة فتركته وأنا أعتقد أن ذلك كله لا ينقص من قدر هذه المعلمة الممتعة شيئاً ، وأرجو أن يهتم السيد الحسن فجل التقيد بنشر الأجزاء التالية نشرًا حسنًا يليق بهذا الكثر الدفين .



## التأثرون في التاريخ

الملك سيف

تأليف دار الحكمة باشراف علي ناصر الدين

تقوم دار الحكمة البيروتية للتأليف والترجمة والنشر بأعمال علمية وأدبية جليلة للأمة العربية وقضيتها ، فقد نشرت أبحاثاً ممتعة عن التأثرين من العرب في التاريخ وهي سلسلة أدبية ذهبية والملك سيف بن ذي يزن الحلقة الثانية منها ، وتريد دار الحكمة أن تجلو بها صفحة مجيدة من تاريخنا العربي القديم تدل بها على نبل النفس العربية ومبلغ هيام العربي بالحريّة وتقديسه لها واستعداده الطبيعي للثورة في سبيلها ، وقد دلت قبلاً على ذلك بالحلقة الأولى التي خصتها بدراسة (الملك أذينة والملكة الزباء) . وشببتنا العربية الناهضة أو الثائرة اليوم في حاجة حافية الى مثل هذه الدراسات القومية التي تكشف الحجب عن كثير من الحقائق كانت مطموسة فتصرم في قلوبهم جذوة الحماة العربية وتحمل كل فتى منهم على اقتباس قيس منها .

وتعني هذه الحلقة الثانية بدراسة لسيف بن ذي يزن وثورته على الأحباش الذين غزوا اليمن العربية وعاثوا فيها فساداً ، والملك سيف هذا هو البطل العربي الشعبي الذي تتداول قصته ملايين الأيدي العربية في مختلف الأقطار ، وليس فيها من شخصية الملك سيف ولا من حقيقته العقلية والوطنية شيء ذو بال يستحق أن يعتبر به شبابنا العربي المتعلم المستنير لما في تلك القصة من السطحية والمبالغات التي تطمس نور الحقيقة وتحمل على الاستخفاف وقلة المبالاة .

وملكنا العربي هذا قد لعب وهو فتى في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ، وجعل من قضية بلاده وتحريرها قضية دولية ، فنجح بمساعده السياسية والتفاف قبائل اليمن حوله وهي نائرة للإستقلال ونحطيم الأغلال ، فحرّر بلاده

العزيمية بقوة الإيمان ، وحطم بحوافر جواده وجياد بني قومه سيوف الأحباش  
فآبوا الى بلادهم مذمومين مدحورين .

وفي هذه الدراسة السيفية كثير من المواقف القومية التي تهز أعطاف الفتوة  
العربية . وهي خليقة بالتحدث عنها لولا ضيق النطاق . ومن الخطأ النادر الذي  
وقع فيها ما جاء في شعر تبع يصف صنعاء :

ليس يؤذيمُ فيها وهج الحر ولا القرّ في زمان اقترار  
والصواب بها بدل (فيها) ، ولا يسمننا إلا الشكر لدار الحكمة لما تنشره من  
هذه الدراسات الأدبية والقومية بأشراف الأديب العربي المبين الأستاذ علي ناصر الدين  
جزاه الله عن الأدب وقومه العرب خيراً .

### التوضي



### رد على ميخائيل نعيمة في « مرداد »

بقلم الأَب يوحنا الخوري ب . م .

٢١٣ صفحة بالإضافة إل الفرس ومقدمة سعيد عقل

الحجم : ١٤ X ٢٠ سم - الطبعة الخلفية بصيدا ، ١٩٥٦

حين وقعت عيني على الرمز الذي وُضِعَ به هذا الكتاب « أنعي رهية متلوية  
على نسر طائر تنهش صدره » خاطرت بياي الصورة الرائعة الشهيرة في إيلاذة  
هوميروس . ونسألت : أيصح أن اتخذ من هذا الرمز مثل المعنى الذي اتخذه  
منه العرفان پوليداماس ، فأرى فيه - هذه التربة - شؤماً ( لا على هكتور  
بطل طرادة ) بل على ميخائيل نعيمة الكاتب ؟ . . . ولكنتي ما لبثت أن  
ذكرت أن الإيلاذة تضيف أن القائد استشاط برمئذ غضباً من الإرهاس وقال  
للعرفان : « ما أنا من بياي كلام الطير حين ألتقي كلام زفس رب الجيايرة ! »  
وإذ ذاك عنفت عن الطيرة وفتحت الكتاب . . .

### علام مدار الجدل ؟

كان الكاتب الميجري ميخائيل نعيمة وضع كتاباً بالإنكليزية ونقله بنفسه إلى العربية بعنوان « كتاب مرداد منارة وميناء »<sup>(١)</sup> . ويظهر أن قد تمتع هذا الأثر بمحظوة رفيعة لدى المتأدبين في أرجاء واسعة من العالم ، حتى لقال في حقه الشاعر سعيد عقل : « في لبنان تقرأ مراد على أنه رائعة بشرية ، وفي مصر يقولون إنه كتاب العصر في اللسان العربي ، وفي الهند يتلمسونه في ترجمته ( كذا ) الإنكليزية المطبوعة هناك ، كأنه وحي آخر وقد إليهم من جوار وطن يسوع » . واعتقادي أن سحر هذا الكتاب راجع ، بالدرجة الأولى ، إلى الغازه المفردة المثيرة المحرّضة بمفوضها وبوضوحها على السواء ؛ وبالدرجة الثانية لأن فيه من حيث الصياغة حرارة أسلوب نيتشه وطعمه ورائحته في « هكذا تكلم زرادسترا » . يضاف إلى هذا وذاك أنه عرّض ، في ثوب فني مبتكر ، أفكاراً غسرة الهضم ، من حيث الأصل ، مردّها إلى الميثافيزياء الجرمانية المتصلة بوحدة الوجود ( Panthéisme ) ولا سيما إلى مثالية فيخته الذاتية ( Idéalisme Subjectif ) التي تجمل « الأنا » مبدأً أعلى لأنها « المفكر والمفكر به في آنٍ معاً » ولأنها « الخالق والمخلوق في آنٍ معاً »<sup>(٢)</sup> . ومع أن ميخائيل نعيمة لم يكتب مطوّلاً في الفلسفة « الجدلية » ، وإنما كتب أثراً أدبياً - شعرياً بمعنى من المعاني - ليدلّ على قيمة النظرة الشخصية في التفكير وفي الإبداع ( ولذلك اضطر إلى بعض المفارقات التي تُرعب رجال الدين ) فقد حسب الأب يوحنا الخوري أن عليه أن يقاضيه أمام محكمة لاهوتية ، فنصب موازين الحساب وجاء يدينه على الكبائر والصغائر . فكذلك إذا كتب

(١) نشرته مكتبة صادر ببيروت سنة ١٩٥٢ .

(٢) راجع في كتاب نعيمة الفصل الثاني بعنوان : في الكلمة المبدعة « أنا » هي

النبوغ والمهور .

نعيمه : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سنّا وأقلهم قدراً منارةً وميتاء للتواقين الى التغلب أما غير التواقين فليحذروه » كلف الأب يوحنا الطوري نفسه عناء الرد فكتب : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سنّا وأقلهم قدراً تظليلاً وتضليلاً في لجج الشك لمن خانتهم المعرفة فسقطوا وارتطموا أما ذوو اليقين فليتنقوه » حتى إن نعيمة حين يجتري فيسجري على لسان شمادم (الراهب المسحور) مجرد قوله : « لقد اشتعلت نار الحرب بين مرداد وبيني » و« فزع الضغائن في القلوب لأشد فتسكاً من وقع السيوف القواضب [ ٠٠٠ ] ولو أن رفاقي نصروني عليه لسحقته في النهاية ممحاً ، ولا تنزع قلبه من صدره وأكلته أكلًا » ، لا يلبث الناقد الأب المحترم أن يجيب : « كفى ، يا مينا [ = مينائل ؟ ] ٠٠٠ ومن الراهب الذي شب على روح الحق هذه ؟ لست أظن راهباً في العالم تثور فيه سورة الغضب ويضطرم فيه حب الانتقام إلى هذا الحد ، إلا إذا كان شيطاناً رجياً صعد من الهوة السوداء وتسأل بين الرهبان يزي واحد منهم » . وهكذا لا تجد فصلاً من فصول نعيمة إلا وللأب يوحنا تعقيب عليه ومناقشة دقيقة حادة تدعمها أقوال الأخبار والنصوص المقدسة : فهناك كلام طويل حول « ثالث مرداد » و « كلمة الله وكلمة الإنسان » و « طريق الخلاص » و « الدينونة ويوم الدين » و « الإرادة الكلية » الخ ٠٠٠ وكله محمول على الظاهر ، مع أن للكلام الرمزي - كما هو معروف - ظاهراً وباطناً . هذا وقد لاحظنا في الكتاب بعض الخطيئات (المطبعة في أيسر الأمر) فمن ذلك ص ١٦ أنه روى مطلع قصيدة « المساء » لخليل مطران رواية كسر بها البيت فقال :

داه ألم بي غلّت فيه شغائي . من صبوتي فتضاعفت عيرخائي

وواضح أن « بي » جاءت هنا على سبيل تلطيف الموازين ! ومن ذلك قوله



من ١٠٠ : « فاستبدلت خالقك بمخلوقك » مع أن العكس هو المراد على ما ورد في الآية الكريمة : أنسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ » .  
على أنه لا بد من القول إن الناقد الأَب الخوري قد اتفق في عمله - والثواب على قدر المشقة - جهداً جدلياً متعباً ، حتى إنه شعر في موضع من المواضع بالحاجة الى سرمد الأدلة المدرسية ( الكلاسيكية ) على وجود الله على نحو ما تلقاه عند فلاسفة كالقديس أوغسطين وابن سينا وخاصةً توماس الأكويني . ولكن ترى أكل هذا الجهد المضي يستلزمه أثر أدبي اتخذ لغة الرمز والإشارة ؟  
في رأينا أن الأدب يجب ألا يُطرح على هذا الصعيد .

الدكتور هكمت هاشم

### المدخل الى تاريخ الحضارة

( الجزء الثاني ) تأليف الدكتور جورج حداد

يقع في ( ٥٧٠ ) صفحة من قطع الوسط طبع في دمشق سنة ١٩٥٤

سبق لي في هذه المجلة نشر كلمة عن الجزء الأول من هذا التأليف القيم أطريت فيها جهد المؤلف وسعة اطلاعه وصدق مصادره وأكبرت فيه هذه المحاولة الجريئة بنقله هذا العلم الحديث وادخاله قصة الحضارة الى مسرح الحياة العلمية العربية .

بحث المؤلف في هذا الجزء شروط الحضارة ومصادرها ومظاهرها وعن آثار الحضارة وتفاعلاتها وانتشارها في الشرق الأقصى والهند وإيران وبيزنطية والبلاد العربية منذ فجرها حتى نهاية العصور الوسطى . وقد جال فيها جولة دلت على علم غزير واختيار صحيح جملاً هذا الكتاب مرجعاً ومنهلاً للباحثين . وقد جاءت أبوابه وفصوله وحدة متماسكة بعد أن بسطها المؤلف بأسلوب شيق مقرب لأنفهام القاري مما كانت ميوله واختصاصه .

اعتبرت هذا الكتاب - كغيره من المؤلفات التي عالجت مواضيع دخيلة على الثقافة العربية - عقبة المصطلحات الفنية الحديثة ، وهي مهمة شاقة يقدر صعوبتها من عايناها . وقد توفى المؤلف في أكثرها ، غير أن في بعضها غموضاً في تجديد مدلولها كاستعماله لفظة ( الهلينية ) و ( الهلنسية ) في مواضع لا تتفق مع مدلولها .

وقد بدا لي بعض الملاحظات على تعابير وردت في الكتاب يضاف إليها أخطاء مطبعية رأيت من الفائدة الإشارة إليها :

| الصفحة | الخطأ                                                                                       | الصواب                                  |
|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------|
| ٢٠     | ابتدائية                                                                                    | بدائية أو قطرية                         |
| ٣١     | بدون طبخ                                                                                    | الذي                                    |
| ٤٠     | حدد                                                                                         | حدد                                     |
| ٤١     | الجنيون                                                                                     | لعلمها ( الحثيون )                      |
| ٦٥     | البابيروس                                                                                   | البردي                                  |
| ٧٥     | الآجر الخبوز                                                                                | حذف الخبوز لأن الآجر هو<br>الطين الخبوز |
| ٩٠     | أخطأ في تقدير المسافة بين حدود الامبراطورية الرومانية<br>والهند فهي تساوي أضعاف ما قدره لما |                                         |
| ٩٣     | الخيزران                                                                                    | الخيزران                                |
| ١٠٢    | البيروني                                                                                    | البيروني                                |
| ١٠٥    | قشر الشجر                                                                                   | اللحاء                                  |
| ١٢٥    | يانغ شاه                                                                                    | يانغ شاو                                |
| ١٢٩    | دراجون                                                                                      | تنين                                    |
| ١٩٨    | شهر طاق                                                                                     | جهاز طاق                                |
| ٢٠٢    | هركول                                                                                       | الجبار                                  |

| الصفحة | الخطأ                                                                                                                                              | الصواب          |
|--------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------|
| ٢١٢    | جانبا                                                                                                                                              | ضلعاً           |
| ٢٢٢    | العرب                                                                                                                                              | العرب           |
| ٢٢٣    | ماقوا بدون وصية                                                                                                                                    | ماقوا بدون وريث |
| ٢٢٦    | الفورم                                                                                                                                             | الفوروم         |
| ٢٢٣    | قلب اللوزة                                                                                                                                         | قلب لوزة        |
| ٢٢٤    | ان زخارف قصر المشتى هي هيلنسية سورية أكثر منها فارسية .                                                                                            |                 |
| ٢٨٩    | الحليل الخصيب                                                                                                                                      | الحلال الخصيب   |
| ٣٠١    | معبد بعل                                                                                                                                           | معبد بل         |
|        | لوحات بارزة                                                                                                                                        | ركائز           |
|        | الكتابة على الكتف                                                                                                                                  | فوق الكتف       |
|        | القول ان أصل سكان قدس قبائل عنزية مبالغ فيه وينطبق هذا الزعم على فئة منهم                                                                          |                 |
| ٣١٥    | الجابية في الجولان                                                                                                                                 | في الجيدور      |
| ٣٢٣    | قوله ( كانت الاعتقادات تتركز على القمر الذي يرعى البدوي أغنامه على ضوءه ) هذا التعليل لا يتفق مع طبيعة الغنم لأنها لا ترى ليلاً ولا في ضوء القمر . |                 |
| ٣٥٣    | قوله ان بعض ما آذن الجامع الأموي بنيت على أنقاض أبراج الكنيسة التي كانت قبلاً هو زعم باطل والأصح أن يقال على أنقاض أبراج الهيكل الوثني .           |                 |
| ٣٥٦    | إن رواية نبش قبور خلفاء بني أمية من قبل العباسيين هي رواية متأخرة وضعيفة لا يؤخذ بها .                                                             |                 |
| ٣٧٦    | قوله ان زمسكس البيزنطي دخل دمشق فاتحاً . لم أعثر على ذكر هذا الخبر عند مؤرخي العرب .                                                               |                 |

- ٣٨٥ قوله أكل المعظم بناء المدرسة العادلية الكبرى التي بدأها العادل والصحيح ان أول من أنشأها هو نور الدين محمود بن زنكي ثم بنى بعضها الملك العادل ثم أتمها ولده الملك المعظم .
- ٤٤٣ تربيعة قاشاني ، الأصح أن يقال ألواح قاشاني لأنها مختلفة الأشكال منها المربع والمستطيل والمضلع وغير ذلك .
- ٤٨٥ قلعة السنية ، الصواب : الصبية
- وقد استعمل المؤلف في بحثه عن العصر الاسلامي اسم سورية بدلاً من الشام الذي اشتهرت به عند العرب . كما اعتمد في أكثر وقائع ذلك العصر التاريخ الميلادي دون التاريخ الهجري الذي لا يصح أن يقتل في مثل هذا البحث .
- نسجل للمؤلف الشكر لجهده الموفق وإقدامه على هذه البادرة الطيبة فأضاف الى تراثنا العلمي عنصراً جديداً كنا نشعر بنقصه مع شدة الحاجة اليه .
- مصر : مصر الحسيني

## محاضرات في القانون المدني اللبناني

ألقاها الدكتور ضحى الحمصاني

على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

يتابع معهد الدراسات العربية العالية ، الذي أنشأته في القاهرة جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٣ ، الطريق التي بدأها بدعوة رجال العلم من مختلف البلاد العربية لإلقاء محاضرات عامة على طلابه ، وتشمل هذه المحاضرات جميع الفروع التي يقوم المعهد بمنح شهادات فيها تحقيقاً لأغراضه العلمية والثقافية .

ولقد كان من بين العلماء الذين دعاهم المعهد سنة ١٩٥٥ الدكتور ضحى الحمصاني عضو المجمع العلمي العربي ، الذي حاضر طلاب قسم الدراسات القانونية



عن القانون المدني اللبناني ، وتبعاً للخطة التي يسير المهد عليها ، في حصر المحاضرات في ناحية محدودة من نواحي البحث المقرر والتوسع فيها والتعمق في دراستها ، فقد انتقى الدكتور المحمصي ، من أبحاث القانون المدني الواسعة ، موضوع ( انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين ) ، وحاضر فيه عدة محاضرات طبعها المهد سنة ١٩٥٦ في كتاب جاء في ٦٠ صفحة من القطع الكبير .

بدأ الدكتور المحمصي محاضراته القيمة يبحث فكرة انتقال الحق الشخصي في الشرائع القديمة التي كانت لا تقر انتقال الحق الشخصي بسهولة كما كانت تقر انتقال الحق العيني ، ثم بين المحاضر كيف تطورت النظريات الفقهية والقانونية وأخذت تنظر في الحقوق والالتزامات الى قيمتها المادية لا الى قيمتها الشخصية ، وكيف قبلت الشرائع الحديثة ، بعد هذا التطور ، فكرة انتقال الحق أو الدين بالأرث أو بالعقد .

وقد بحث الدكتور المحمصي في الباب الثاني من محاضراته حوالة الحق أو انتقال دين الدائن ، بعد أن قدم للبحث بلمحة تاريخية مقارنة لخص فيها آراء الفقهاء المسلمين تلخيصاً جامعاً موفقاً ، ثم تكلم على شروط انعقاد حوالة الحق وعن آثار هذه الحوالة بين المتعاقدين وقبل المدين والغير ، وفي الباب الثالث تكلم المحاضر عن حوالة الدين أو انتقال دين المدين وشروط انعقاد الحوالة وآثارها . وكان الدكتور المحمصي خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً الى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الإسلامية في مختلف مذاهبها وذلك بأسلوبه القانوني المركز الذي عودنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة يجدر بجميع رجال القانون الاطلاع عليها .

الدكتور غدنان الخطيب

## أمراء دمشق في الإسلام

تأليف صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ( ٥٧٦٤ هـ )

وتحقيق الدكتور صلاح الدين المتجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ( ١٩٥٥ )  
وهو في ( ٢٢٢ ) ص بمجمه هذه المجلة

للأستاذ المجتهد المحقق الدكتور صلاح الدين المتجد ولع زائد في مدينة دمشق ،  
نقد نشر وألف عدداً كبيراً من الموضوعات المتعلقة بها تثير الإعجاب بجهده وإخلاصه  
لبلده ، كما تدعو الى شكره على عمله المبرور .

تذكر على سبيل المثال نشره الجزء الأول والثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر ،  
وفضائل الشام ودمشق للرعي ، ودور القرآن بدمشق للنعماني ، ومختصر تنبيه  
الطالب للعلمي ، وأرجوزة في محاسن دمشق لابن خداديردي ، وعدة الملل  
في تعداد الحمامات - حمامات دمشق - لابن عبد الهادي ، وتاريخ مسجد دمشق  
للبرزالي ( ؟ ) وحريق جامع دمشق ، وخطط مدينة دمشق ومخطط دمشق القديمة  
كلاهما للدكتور صلاح الدين المتجد ، وغير ذلك مما يطول تعداده .

وما هو يخف أخيراً المكتبة العربية بكتاب نفيس عن أمراء دمشق في  
الإسلام لصلاح الصفدي بعد أن كان نشر كتابين في هذا الموضوع ، أحدهما :  
ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، الثاني ولايتها في العهد العثماني .

يتألف كتاب الصفدي الذي نحن بصدد من أربعة أقسام :

- ١- الأول - المقدمة ، وقد مهد بها للكتاب الدكتور المتجد بذكر الكتب والمصادر  
التي ألفت في هذا الموضوع ، ووصف النسخ التي نشر هذا الكتاب عنها ،  
وأبان عن نهج التحقيق فيه ، ونشر نماذج مصورة عن الأصول المذكورة ، كما  
ترجم المؤلف ترجمة موجزة وأحال الى المصادر التي توسعت في ترجمته .
- ٢- الثاني - المعجم الصغير للصفدي الذي ذكر فيه « من ولي إمارة دمشق الخروسة

في الإسلام ودخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» وقد جعل لهذه التراجم أرقاماً ليسهل الرجوع الى المطلوب .

وهذا المعجم عبارة عن تراجم الولاة المذكورين ترجمة تتراوح بين سطر واحد وبين خمسة أسطر وتبلغ صفحات هذا القسم ( ١٠٣ ) ص .

الثالث . - أرجوزة للصلاح الصفدي المذكور سماها « تحفة ذوي الألباب فين حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » فان المؤلف المذكور بعد أن وضع معجماً في أسماء ولاة دمشق ومن دخلها من الملوك والخلفاء نظم معجمه هذا في هذه الأرجوزة بعد أن أضاف اليها إضافات أخرى اطلع عليها بعد ذلك وبلغت صفحات هذا القسم ( ٦٤ ) ص .

الرابع . - الفهارس والملاحق وهي تحتوي على فهارس متعددة تسهل الرجوع الى المطلوب من أقرب الطرق ، وأهم الملاحق ما ورد في ص ( ١٩٤ - ١٩٨ ) للأستاذين الفضالين : سبولر ، وبريتساك فقد نظرا في الأعلام الأعجمية الواردة في هذا الكتاب من تركية ومغولية وفارسية فضبطا الكلمات الواردة من ذلك بالحركات ووضعا الى جانبيها كيفية النطق بها بالأحرف اللاتينية ورمزا الى الكلمة التركية بـ «ت» والى المغولية بـ «م» والى الفارسية بـ «ف» وهو ملحق قيم يفيد الباحث منه كثيراً . وتبلغ صفحات الفهارس والملاحق ( ٥٢ ) ص . وبالختام فلا يسعنا إلا شكر المجمع العلمي العربي على نشره هذا الكتاب القيم كشكرنا الدكتور المنجد على جهوده وتحقيقاته وتعليقاته القيمة المفيدة .

محمد أحمد دهمان

— ٢٠٠٤ —



## آراء وأنباء



نائب رئيس المجمع العلمي العربي  
الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي  
(١٨٦٧ - ١٩٥٦ م)



## وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

في الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م / ٦ / ٧) فجع  
المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، ثاني اثنين رفعا  
للناس قواعد المجمع ، وأقاما دعائمه الراسخة ، وجعلاه حرماً آمناً لأفاضل العلماء  
والأدباء ، أولها الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وقد لقي وجهه ربه منذ لواذ  
ثلاث سنوات ، وما هو ذا رفيقه وصديقه بلحق به إلى الملاء الأعلى .

ولد الأستاذ المغربي عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) في طرابلس الشام ، وتلقى  
العلم على أبيه وأفاضل أسرته وبعض كبار العلماء في الشام والقسطنطينية ، ثم صيغ  
المصلح العالم العامل السيد جمال الدين الأفغاني ، فأفاد من هذه الصبغة في  
تفتح ذهنه إلى وجوب الإصلاح ، وكتب مذكراته عن الأفغاني ، وقد نشرت  
في الجزء ( ٦٨ ) من سلسلة دار المعارف : اقرأ . ثم أولع بعدئذ بدراسة  
آثار الشيخ محمد عبده ، واستجاب إلى دعوته الخيرة ، وشرع يصدر بالإصلاح  
الديني والاجتماعي والسياسي . فاستدعاه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى مصر  
حيث المجال للدعوة الإصلاحية آنذاك أرحب وأوسع ، ولكن ما لبث الأستاذ  
الإمام أن لقي وجهه ربه ، فانصرف المرحوم المغربي إلى الصحافة ، وكتب في  
كبريات جرائد مصر مقالات أثارت العزائم الوائية وشجذت المهتم الغافية .  
فلما أعلن الدستور العثماني ، رجع إلى طرابلس مسقط رأسه ، وأصدر فيها  
جريدة ( البرهان ) ؛ وغرضه من ذلك الدعوة إلى سبيل النهضة - على وجوها -  
بالحكمة والموعظة الحسنة . واشترك من بعد في تأسيس كلية دار الفنون في  
المدينة المنورة والكلية الصلاحية في بيت المقدس ، وكانت الغاية منها تخرج  
طبقة من العلماء يجمعون بين معرفة العلوم الدينية والعصرية . ثم نزل دمشق  
واتخذها موطناً له . فلما تنادى علماء الشام لإقامة المجمع العلمي العربي حفاظاً

على اللغة العربية وآدابها ، كان المرحوم المغربي من أدائل من لبوا هذا النداء الكريم ؛ وانتُخب ، منذ تأسيس المجمع عام ١٩١٩ في عهد الملك فيصل بن الحسين ، عضواً عاملاً فيه . ثم أخذ يحاضر طلاب الجامعة السورية في العربية وآدابها . وفي العام ١٩٣٤ سمي عضواً عاملاً في المجمع اللغوي في القاهرة ، ثم مسمي في السنة ١٩٤١ نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وفي العام ١٩٤٩ اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي . وقد ظل يعمل لهذه المجمع الثلاثة ويمدها ، حتى يوم وفاته ، بنضيج رأيه وسديد حكمه ووسيع اطلاعه ودائب جهده ، لا بكل ولا بمل ، ولا تنال السنون من همته العالية وتفكيره الخصب وعلمه الغزير .

ألقى الأستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي العربي المئين من المحاضرات العامة في بركة عشرين عاماً ، وكان أدباء العاصمة وفضلاؤها وعميون زائريها من المستشرقين والعرب يقبلون ، زرافات ووحداناً ، كل أسبوع ، على المجمع للاستماع إليها والانتفاع بها ، وكان لما أعظم الأثر في تحبيب العربية إلى الناس ، وإطلاع الناشئة على ذخائر الأجداد . ومزده إقبال القوم العظيم عليها هو أسلوب المحاضر الفذ الطريف في تأليفها وإلقائها ، وفيما يضمها من الذكت البارة والطرف المستملحة ، إلى جانب الحكم الصائب والتحقيق الواسع .

وقد ألف المرحوم المغربي الكثير من التصانيف النافعة ، منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطاً . ومن تأليفه المطبوعة كتاب ( الاشتقاق والتعريب ) وقد طبع أول مرة عام ١٩٠٨ ثم أعيد طبعه فيها بعد ، وفيه أبحاث مسبهة في جواز التعريب واقتباس الكلم الأعجمي حيث تدعو الحاجة ؛ ومنها كتاب ( الينيات ) في جزءين أودعها مقالات ورسائل في الإصلاح الديني والاجتماعي والنقد والأدب ؛ ومنها كتاب ( الأخلاق والواجبات ) وقد ألفه باقتراح المربي العربي الكبير حاطع المصري عندما كان وزيراً للمعارف في عهد فيصل بن الحسين

ملك الشام بعيد الحرب العالمية الأولى ، ولا تزال بعض المؤسسات العلمية  
تقرّره لطلابها الى اليوم ، وقد جاء إلى دمشق قليل وفاة الأستاذ المغربي ممثل  
إحدى دور النشر الكبرى في المغرب الأقصى يستأذنه في إعادة طبع هذا  
الكتاب في مراكش ، لشدة الإقبال عليه فيها وتقاد نسخه من أسواقها ،  
فأذن له بذلك رحمه الله .

وقد ظل الفقيد يمد مجلة المجمع العلمي العربي بمقالاته وأبحاثه اللغوية والأدبية  
منذ صدورها حتى يوم الفجعة به .

والمجمع العلمي العربي الذي نشط الأستاذ المغربي في رحا  
رسائله أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يرجو أن تقرّ عينه  
التي سام في غرسها ، وانتقاد القبس الذي غذاه بنه  
وإنا لله وإنا إليه راجعون .



الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الحميد الكيالي

(١٨٧٩ - ١٩٥٦ م)



## وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي

قضت مشيئة الله أن يصطفي إلى جواره في خاتمة شهر أيار سنة ١٩٥٦ م الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب وعضو المجمع العلمي العربي . ولد الفقيه رحمه الله في حلب حوالي العام ١٨٧٩ م ، وتلقى مبادئ العلم في صغره في المدرسة الأشرفية فيها ، ثم انتقل إلى المدرسة العسكرية ؛ ولكنه لم يلبث فيها إلا قليلاً ، لعزوف نفسه عن العلوم العسكرية ، وحرصه على تحصيل العلوم الدينية واللغة العربية . ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، ودرس فيه الفقه والأصول والتفسير والأدب العربي وعلوم الآلة على جلة الأساتذة فيه ، كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ صيد علي المرصفي . وبعد أن تزود من الدراسة فيه قدرًا كافيًا وقال إجازات أساتذته له عاد إلى مسقط رأسه حلب ، واشتغل بالتدريس في جوامعها . ثم قام بالإفتاء بعبء الحرب العالمية الأولى في ( قضاء جبل سمعان ) ، وبإدارة المدارس الدينية الإسلامية في حلب ، ووضع لها نظامًا لا تزال سائرة عليه إلى يومنا هذا . ثم اختير سنة ١٩٢٢ م مفتيًا للشهراء ، وظل في هذا المنصب منذئذ حتى لقي وجهه ربه ، خلا فترات قصيرة أنقص فيها عن الإفتاء . وقد أصبح عضواً في المجمع العلمي العربي منذ ٢٣ آذار ١٩٢٣ م .

كان رحمه الله متمكناً من الفقه الحنفي ، طويل الباع فيه ، مدققاً محققاً لأصوله ، واسع الدراية بالأدب ، وأساليب العرب . وكان رضي الخلق ، لطيف المعشر ، قوي الحججة ، جميل الحديث ، عفت اللسان واليد ، بغضي على القذى ، وبدفع بالتي هي أحسن .

تغمده الله برحمته وجعل الجنة مثواه .



المستشرق المغفور له الأستاذ كارل بروكبان

(١٨٦٨ - ١٩٥٦ م)

## وفاة المرحوم الأستاذ كارل بروككن

في السادس من شهر أيار ١٩٥٦ قضى عضو المجمع العلمي العربي العالم الكبير المستشرق الألماني كارل بروككن في مسقط رأسه بألمانيا عن حياة حافلة في خدمة العربية يقتضينا الوفاء التثويبه بها والإشارة إلى جلائل آثارها بايجاز واقتضاب .

وُلد الرجل في روستوك « Rostock » من أعمال مكنبورغ بألمانيا في ١٧ أيلول سنة ١٨٦٨ ، ودرج على حب المشرقيات وتاريخ الإسلام والبحوث التركية ، فأخذ يتعلم اللغات السامية وفيها اللغة العربية على شيوخ المدرسين في بلاده آنذاك ، وهم الأساتذة فيلي وبريطوربوس ونولدكه ؛ فدرس متقللاً بين الخواضر الألمانية : روستوك وبروسلار واستراسبورغ . وظل دائماً في دراساته حتى لمع في فقه اللغات السامية والتاريخ الإسلامي ؛ فعين مدرّساً في جامعة برسلاو « Breslau » (١٨٩٣-١٩٠٣) ثم في كونيغسبرغ « Königsberg » (١٩٠٣-١٩٠٩) ثم في هاله « Halle » (١٩٠٩-١٩٢٠) ثم في برلين (١٩٢٠-١٩٢١) وعاد ثانية أستاذاً إلى برسلاو (١٩٢١-١٩٣٥) .

وقد أُحيل إلى التقاعد بعدها ، ولزم مدينة هاله . على نهر الزال - أستاذ شرف منذ سنة ١٩٣٧ . وعُيّن مديراً لخزانة الجمعية الألمانية للمستشرقين ، يعيش من الراتب بعد أن فقد موارد رزقه ، وظلّ فيها حتى أواخر أيامه حيث أغمده مرض عضال توفي على أثره عن ثمانية وثمانين عاماً .

وقد قضى هذا الأستاذ حياته في الجدّ والسعي والبحث والتنقيب فتال شهادة الدكتوراه في الفلسفة وأخرى في اللاهوت . وأخرج إلى جانب مقالاته كتباً كثيرة نلّمع إلى بعضها على سبيل الذكر لا الإحصاء .

١ - نشر ذيلاً لديوان الشاعر الجاهلي لييد سنة ١٨٩٢ وهو لما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، فأكمل ما بدأ به المستشرق هوبر .

٢ — أُلِّفَ «تاريخاً للأدب العربي» قبيل الثلاثين من عمره ، ونشره في  
 ويمار بين سنتي ١٨٩٨ — ١٩٠٢ وعنوانه « Geschichte der arabichen  
 Litteratur » ثم أعاد نشره بعد أربعين عاماً في جزءين كذلك بلغت صفحاتها  
 قرابة ألف وثلاثمائة صفحة . واشتهر بين العلماء لأنه اختط فيه خطة جديدة  
 في البحث والعرض ، فقد اشتهر قبله تاريخ الأدب «لهاصر بورغشتال» في أجزاء  
 ضخمة ولكنه إعادة وترجمة للكتب العربية القديمة . ولكن المستشرق يروككن  
 ألم بالعصور الإسلامية كلها وبالعلماء المسلمين كلهم على اختلاف أقطارهم من  
 أطباء وفلاسفة ومنجمين ونحاة ومؤرخين وأدباء ، جعلهم في تاريخه كلها وجد  
 عندهم تراثاً يضاف الى عبقرية اللغة العربية . وقد اقتصر في تراجمه على كلمات  
 قليلة وإشارات سريعة خلت من الأحكام الأدبية أو النقد المذهبي ، وإنما ذكر  
 المظان التي يحتاج اليها الباحث في معرفة المترجمين وآثارهم ومواضع طبعا أو  
 أرقام مخطوطاتها من خزائن الغرب والشرق ، إلى ذكر الصحف والمجلات والكتب  
 التي تعرضت لها أو تحدثت عنها .

وقد ظل هذا الكتاب موضع عنايته يعود إليه ليستكمل أسبابه ويتم مباحثه ،  
 فسعى وراء فهارس الخزائن وأخبار الوراقين ونشاط الناشرين ليضيف إلى جزائره  
 كل ما يجده من طباعة كتاب أو اكتشاف مخطوطة حتى تجمعت لديه معلومات  
 كثيرة نادرة ضافية في الأقدمين والمحدثين المعاصرين . فنشرها في ثلاثة أجزاء  
 كبيرة منذ سنة (١٩٣٧ — ١٩٤٢) وسماها ذيلاً لتاريخه « Supplementband »  
 وبلغت صفحاتها قرابة ثلاثة آلاف صفحة عدا الأصل .

وفي هذا الكتاب فهارس وافية للأعلام والكتب تفص بالأرقام والاشارات ،  
 وتضل فيها العين ، لذلك وقعت في هذا التاريخ الشامل الحافل أرقام مطبعية  
 مضطربة كان لا بد من وقوعها ، فقد تقلبها الرجل بيده ورتبها بنفسه ، ولبث  
 يعمل لما حياته عمل عصبة من أولي العزم والعلم . فقد فرش بيته بالجزازات



وعمر رفوفه بالفهارس والمراجع ، وانفرد بهذه الخدمة الجليلة التي نرجو أن تلقى مثيلاً لها عند أبناء الناطقين بالضاد في نقل الكتاب أو تأليف شبيهه<sup>(١)</sup> .  
ونحن لا نكتب هنا في دراسة هذا التاريخ أو تقدمه وانما وقفنا عنده لأنه من أهم كتب الراحل خدمة لأدبنا وتراثنا .

- ٣ - نشر المستشرق قسماً كبيراً من « عيون الأخبار » لابن قتيبة عن مخطوطي القسطنطينية وبطرسبورغ في أربعة أجزاء ، وطبعه في غوتنغن سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٨ ، نلت الأتظار إلى ابن قتيبة قبل أن يحتضر القرن التاسع عشر .
- ٤ - أرسل دراسة في الكامل لابن الأثير يبين فيها ما أخذه من الطبري .
- ٥ - طبع رسالة « تلقيح فهم أدل الأثر » لابن الجوزي .
- ٦ - طبع جزءاً من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد .
- ٧ - نشر فهرسين لخزائني برسلاو وهامبورغ ، عرّف فيهما بالمخطوطات العربية النفيسة في البلدين .
- ٨ - ألف كتاباً في نحو اللغة العربية بالألمانية نشره سنة ١٩٤٨ بليبتيك في ٣٤٣ صفحة .
- ٩ - ألف كتاباً في « تاريخ الشعوب الإسلامية » ترجم إلى اللغات الغربية ونقل إلى العربية في خمسة أجزاء صغيرة .
- والى جانب هذه الدراسات عن العربية ، اهتم المستشرق باللغات السامية الأخرى فأصدر الكتب التالية :
- ١٠ - معجماً للغة السريانية يبرلين سنة ١٨٩٥ .
- ١١ - كتاباً في صرف السريانية ونحوها يبرلين ١٩٢٥ ، في ٣٥٣ صفحة .
- ١٢ - كتاباً في الأدبيات السريانية .

(١) كتب المستشرق بروكلمن في سنة ١٩٥٠ أن الأستاذ المرحوم أحمد أمين عرض عليه ترجمة هذا الكتاب باسم الجامعة العربية ، ولكن المشروع لم يبد ذلك .

- ١٣ — موجزاً في تاريخ اللغات السامية ، تُرجم الى الفرنسية .
- ١٤ — ترجمة قصة يوسف .
- ١٥ — ترجمة ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري ، نشره في ليدن ١٩٢٨ .
- ١٦ — صنع كتاباً في نحو اللغة التركية الشرقية بآسيا الوسطى ، نشره سنة ١٩٥٤ بليدن ، في ٤٢٩ صفحة .
- ١٧ — دراسات عن الحبشية ، في برلين ١٩٥٠ ( ٦٠ صفحة ) .
- وهكذا انصرف الرجل خلال خمسين عاماً إلى تدريس اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة والتأليف في صرفها ونحوها وأدبها واقتها . فكان نادرة عصره في النشاط والكتابة والبحث ، وموضع تقدير الهيئات العلمية والعلماء في الشرق والغرب .
- وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، سنة ١٩٢١ ، كما انتخبته الأكاديميات العلمية في ليدن وبرلين وأودنسا وبودابست عضواً فيها . وكذلك جمعية المستشرقين الألمان ، والجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، والجمعية الآسيوية بباريس ، والجمعية الأمريكية بنيوهافن ، والجمعية اللغوية في بالتييمور .
- ولا شك في أن موت الفقيه خسارة كبيرة للعلم والاسنشرق واللغة العربية وآدابها .

ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية<sup>(١)</sup>

يسرني أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية عربية خالصة ، وأن أتمنى لمصر  
العزيزة ، رئيساً وشعباً وحكومةً ، خير ما يتمناه الشقيق الصغير لشقيقه الكبير .  
أَعَزَّ اللهُ العروبة والعربية بجهود العاملين المخلصين من رجالات هذا القطر  
العربي الصميم .

وبعد :

كنتُ أجملُ في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » القواعد  
السديدة التي أقرها مجمع اللغة العربية في وضع المصطلحات أو تحقيقها . ولستُ  
الآن في سبيل بحث تلك القواعد . فبحثها طویل ، والزملاء الأفاضل أعرف  
الناس بها . ولا أظن أن أحداً من اللغويين أو من واضعي المصطلحات يخالفهم  
فيها . ولكنني أقف عند قضية ما يرح علماء العربية وعلماء العلوم الحديثة يجادلون  
فيها أيما جدال . وهي قضية حدود التعريب ومداه في وضع المصطلحات العلمية  
للعلوم الحديثة .

لقد اتخذ هذا المجمع الموقر القرار الآتي في التعريب :

« يميز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على  
طريقة العرب في تعريبهم » .

فكلمنا « عند الضرورة » هما بيت القصيد . وهما مثار الجدل والنقاش .  
فالضرورة عند بعض علمائنا كلمة صغيرة رخوة جد قابلة للمط والتأويل . ولهذا  
رأيناهم يرجحون فتح باب التعريب على مصراع أو على مصراعين .  
والضرورة عند آخرين كلمة قوية في معناها وفي معناها . فهي في نظرم

(١) خطاب الفاه الأمير مصطفى الشهابي في حنة افتتاح الدورة الثانية والعشرين  
« ١٩٥٤ - ١٩٥٦ » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

جديرة بأن تراعى بدقة في تعريب الألفاظ العلمية . وهي تحتم البحث العميق عن ألفاظ عربية النجار حتى لأدنى ملابسة بين معانيها ومعاني الألفاظ العلمية الأعجمية .

وبين هذا الفريق وذاك ، أي فريق المتساهلين وفريق المتشددين في أمر التعريب ، يقف واضعو المصطلحات العلمية حائرين يتساءلون عن أصلح خطة تتبع في نقل كل لفظة علمية الى لغتنا الضادية .

وكلنا نعرف أن كلا الفريقين إنما يتشبث برأيه اعتقاداً منه أن رأيه هو الذي ينهض باللغة العربية فيجعلها صالحة للتعليم العالي والتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة .

فأنصار التعريب الواسع يقولون : إن الألفاظ الأعجمية ، كثرت أدققت ، ليست من مقومات اللغة . واللغات تتميز بعضها من بعض بتركيب جملها ، وبحروف معانيها ، أي بما اختصت به من قواعد في الصرف والنحو وأساليب الاشتقاق والقياس وغير ذلك . ففي الإنكليزية والفرنسية والألمانية مثلاً آلاف مؤلفة من الألفاظ العلمية المشتركة ومع هذا نجد كلاً من اللغات الثلاث مستقلة عن الأخرى . وينتهون الى القول بأن فرط التعريب لا يضر بلغتنا بل يبدنها من لغات العالم الأوربية ، ويجعلها قادرة على استيعاب العلوم الواسعة الحديثة . أما المتشددون فيرون ان المعربات العلمية لا توحى الى القارئ العربي بشيء من معانيها ، وأن هذا القارئ لا يفهمها ما لم تشرح له شرحاً وافياً . خذ مثلاً حشرة من الحشرات . وقل للطالب الفرنسي انها تنسب الى رتبة الـ Orthoptères فهو يدرك على الفور ، أي قبل قراءة الشرح ، أن لهذه الحشرة أجنحة مستقيمة . وسبب ذلك اطلاع هذا الطالب على مبادئ اليونانية واللاتينية . أما اذا اقتصرنا على ذكر الكلمة الفرنسية وحدها للطالب العربي فهو يلبث فاقد الفهم حتى تشرحها له ، أو تترجمها بلغته العربية فتسميها مستقيمة الأجنحة ، مثلاً تسمي



رتب الحشرات الأخرى عصبية الأجنحة ومفصلة الأجنحة وعدية الأجنحة وذوات الجناحين وهكذا .

ويقولون : لقد آمنا بأن هنالك أسماء لا بد من تعريبها كالتي تكون منسوبة إلى أعلام ؛ وآمنا بأن مجال التعريب واسع في نقل كثير من أسماء الأعيان كأسماء بعض الأدوية والعقاقير والمركبات الكيميائية ، وأسماء بعض أجناس النباتات والحيوانات مما له معان لا يستطيع ترجمتها بكلمة عربية واحدة سائغة الخ . ولكن لماذا يراد منا تعريب الكثير من ألفاظ المعاني الأعجمية التي لا يشق على علمائنا إيجاد ألفاظ عربية سائغة تعبر عنها ؟ لأنّ العربية عاجزة عن ذلك ؟ أم لأنّ التعريب لا يقتضينا أدنى مشقة في تحري الألفاظ العربية الصالحة ؟ وهل من الصحيح أن الإكثار من التعريب هو وحده العامل الذي ينهض بلسانتنا إلى مستوى ألسن العلم المعروفة ؟

والذي أراه أن الفريقين إذا راعيا الروح الذي يجب أن يسود في نقل المصطلحات العلمية إلى لغتنا العربية انتهيا لا محالة إلى وفاق . فكلاهما يريد أن تفسح لغتنا للعلوم والمخترعات الحديثة . وكلاهما يريد أيضاً أن لا تصبح هذه اللغة شبيهة بلغات الزوج بسبب الإفراط في التعريب بلا ضرورة .

وبما لا صرية فيه أن أعضاء مجامعنا العلمية ، وأساتذ جامعاتنا العربية ، وجمهرة أدبائنا وكتابنا ، على تفاوت آرائهم ، ينظرون إلى هذا الموضوع نظراً المخلصين المؤمنين بضرورة رفع العربية إلى مستوى اللغات الحية الكبيرة . فحذير بالعاملين منهم في وضع المصطلحات العربية أن يراعوا عند البحث في كل لفظة أعجمية قواعد النقل العامة التي يتبعها اليوم هذا المجمع الموقر ، مثلاً اتبعها في الزمن الماضي قدماء النقلة والمؤلفين العرب وخلاصتها على التابع :

أ — تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي . وهذا يستلزم أن يكون

الناقل مطلقاً اطلاقاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية وفي كتبنا العربية القديمة .

ب — اذا كان اللفظ الأعجمي دالاً على معنى علمي جديد لا مقابل له في اللغة العربية ، تُرجم بمعناه كلما كان قابلاً للترجمة . أو اشتق له لفظ عربي مقارب . ويُرجع في وضع اللفظ العربي الى وسائل الاشتقاق أو الى المجاز أو النحت . ج — واذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد الى التعريب مراعيًا قواعده على قدر المستطاع .

ومن الواضح ان دور التعريب في هذه القواعد لا يأتي إلا بعد العجز عن إيجاد كلمات عربية سائغة . والصعوبة كل الصعوبة إنما تكون في معرفة متى ترجع الكلمة العربية ، ومتى ترجع الكلمة المعربة .

ولقد قلت في كتابي الذي أملتُ اليه في بدء هذا الكلام :

« من السهل معرفة هذه القواعد الحسنة ، ولكنه ليس من السهل العمل بها . ففي كل علم مصطلحات متنوعة . وكل لفظ علمي يحتاج الى دراسة خاصة لمعرفة أصلح لفظ عربي أو معرب يقابله . وفي هذا المجال الوعر تتعارض آراء علمائنا . وفيه تُعرف كفاية العالم الثبت ، ودقة نظره ، وسلامة ذوقه جميعاً . »

وبعد لا بد للقادر على وضع المصطلحات العلمية من أن يضع نصب عينيه أن النهوض باللغة ، مع الاحتفاظ بسلامتها ، هما الأساس الذي يقوم عليه عمله ، وعندئذ يصبح من غير المتعذر عليه إدراك حدود التعريب ومداه في كل لفظة علمية أعجمية يعالج نقلها الى لساننا في صير العالم الثبت وأناته ، وفي حسن ذوق الأديب المطبوع ودقة نظراته .

## ملاحظات على رسم بعض المعربات<sup>(١)</sup> للأمير مصطفى الشهابي

١ — كثيراً ما اضطر الى تعريب كلمات أعجمية رسمها واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها يختلف مثل Tulipe , Micron , Fibrine الخ .  
فهي عند الفرنسيين تُنطق بقولهم فيبَرين وميكرُون وتُوليب وهي عند الانكليز فيبَرين وميكرُون وتيُوليب . وقد تكلم الزملاء الأفاضل غير مرة في هذه الألفاظ وأشياها . ورأوا أن المنطق الصحيح والدوق السليم يحملنا على ترجيح النطق السهل وهو النطق الفرنسي فيما تمثلت به من ألفاظ .  
والظاهر أن المجمع لم يتخذ قراراً بذلك . ولهذا ما يرحنا نجد في عدد كبير من الألفاظ التي عربتها اللجان رسماً يختلف باختلاف نوع الثقافة عند خبراء هذه اللجان . ويبدو لي أن معظم الخبراء درسوا بالانكليزية ، فاختاروا النطق الصعب بدلاً من النطق السهل .  
لذلك أرى من المفيد اتخاذ قرار بترجيح أسهل نطق في رسم مثل هذه الألفاظ المعربة .

٢ — من القواعد التي اتخذها المجمع في الجزء الرابع من مجلته رسم الحرف ( G ) اللاتيني ( ويقابله في اليونانية الحرف غمّا ) غيناً عربية . ومع هذا ما برحت لجان المجمع ترسمه جيماً وتقتصر على الجيم وحدها . فاذا كان لا بد من مراعاة النطق القاهري للحرف جيم العربي يـكون من المفيد اتخاذ قرار بأن يرسم الحرف ( G ) الأعجمي ، في الكلمات التي يعربها المجمع ، جيماً وغيناً جميعاً ، وبأن لا يكتب بالـجيم وحدها فيقال مثلاً جليسرين وغلـيسرين وهكذا .  
والأسباب معروفة لا تحتاج إلى شرح .

(١) قدمها الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر فأقرها المؤتمر في جلسة الخامس من كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٥٦ .

- ٣ - كثير من الكلمات الأعجمية التي تضطر الى تعريبها تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسعة (gie) الدالة على العلم . وقد لاحظتُ عند تعريب هذه الكلمات أن بعض الخبراء ينهون الكلمة المعربة بالتاء ، وأن بعضهم ينهيها بالألف ، مثل جيولوجية و جيولوجيا ، وبيولوجية و بيولوجيا ، ومغولية ومغوليا وهكذا . ومن المعروف أن قدماء النقلة لم يسيروا على خطة واحدة في هذا الموضوع . ولكن المعربات بالتاء كانت تفوق عندهم المعربات بالألف . والسليقة العربية تجعلنا نرجح إنها الكلمات المذكورة بالتاء . فمن رأيي اتخاذ قرار بهذا الترتيب .
- ٤ - في اللغات الأوربية الكبيرة عدد من الألفاظ اقتبست من العربية وحُرِّفت ، فعند نقل هذه الألفاظ الى العربية أرى إعادتها الى أصلها العربي فنقول مثلاً الحمراء لا ألهمبرا ، والقصر لا الكازار ، وعدائية لا أدنيا ، وعربية لا أراييت ، وحُرِّشَف لا أرتيشو وهكذا .
- هذه أربع ملاحظات لاحظتها أثناء مشاركتي لبعض لجان الجمع في أعمالها . فأقترح إما مناقشتها في المؤتمر واتخاذ ما ترونه فيها ، وإما إحالتها الى اللجنة المختصة بهذا الموضوع ، أو الى مجلس الجمع المقرر ليرى رأيه الموفق فيها .



### رسائل ابن الأثير

بين مخطوطات مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت مخطوطة قديمة ، هي الجزء الثاني من رسائل ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر . ويرجع عهدها الى السنة ٦٥٦ للهجرة ، أي الى ما بعد وفاة منشئها بنحو ٢٢ سنة فقط . ولما كنت - ولا أزال - من المعجبين بما لهذا الكاتب من مقدرة يمانية وإنشائية سررت بوجود هذا الجزء من رسائله ، ورأيت أن أدرسه ثم أنشره خدمة للأدب والتاريخ ، فعمدت الى مألدي من فهارس المخطوطات والمطبوعات المعروفة وإذ لم



أجد فيها إلا إشارات لا تروي الغليل اتصلت بصديقي البجائي الدكتور صلاح الدين المتجد مدير معهد المخطوطات في أمانة الجامعة العربية ، فتكرم باعلامي أنه يوجد في مكتبة أحمد الثالث باستنبول نسخة من الجزء الثاني من رسائل ابن الأثير المذكور كتبت سنة ٦٥٥ هـ بخط نسخي حسن وإن في معهد الجامعة العربية « ميكرو فيلم » عنها . وأما الجزء الأول من الرسائل فلا علم له بوجوده . وقد وعدني متلفاً أن يرسل لي نسخة مكبرة عن الميكرو فيلم الموجود لديه لكي أقابله بنسخة الجامعة الأميركية . ومتى وصاني فسأبشر دراسة هذا الأثر النفيس وتحقيقه . وما أنا مثبت على صفحات مجلة مجتمعنا العلمي وصفاً وجيزاً للجزء الذي بين يدي لعلّ مطالعاً من علمائنا الأفاضل يعرف عنه أو عن سواء من الأجزاء ما لم أطلع عليه بعد فيفيدني بعلمه ويخدم العلم والأدب بفضله وكرمه .

تقع المخطوطة المذكورة في مئتين وثلاثين صفحة متوسطة الحجم من الورق السميك الضارب إلى الصفرة وهي مكتوبة بالحر الأسود بخط نسخي جيد ويفصل فقراتها بعضها عن بعض مثلثات من نقط حمراء وتنتهي بهذه العبارة « تم الجزء الثاني من ترسل المولى صاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستاية » . وتتضمن المخطوطة خمسا وخمسين رسالة كلها من إنشاء ابن الأثير ما عدا الأخيرة وهي كتاب كنه السلطان الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين جواباً عن رسالة كان ابن الأثير قد أرسلها إليه من الموصل إلى حصن صرخد .

ولنكل رسالة في المخطوطة مقدمة وجيزة تكتب عادة بسطور أقصر من سطور الرسالة ، والأرجح أنها بقلم الناسخ قدتها ليعرف القارئ بمضمون الرسالة وسبب كتابتها كقوله مثلاً في صدر رسالة : « كتاب كنيه عن نفسه إلى بعض الإخوان وقد وصله عتبه لاقطاع كنيه عنه فأصدر هذا الكتاب معتذراً عن الاقطاع والبطء » .

أو قوله - « كتاب كتبه عن نفسه إلى صاحب الوزير صفي الدين أبي عبد الله محمد بن شكر وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب شفاعته في حق الشيخ الأمين زكي الدين أبي عبد الله بن سلام الرقي وهو من مشاهير التجار الدشقيين » . وهكذا سائر الرسائل .

والرسائل عمومًا نوعان : نوع كتبه عن سواء ويبلغ ١٤ رسالة ، ونوع كتبه عن نفسه ويبلغ الأربعين . وليس بينها جميعًا إلا عشر ذات تاريخ . وأسلوبه الإنشائي العام هو الأسلوب المسجع المحلى بالبديع على عادة المترسلين في ذلك العهد ، وقد يأتي متكفلاً كقوله من رسالة إلى بعض الإخوان يصف فيها بستاناً أقام فيه مع بعض إخوانه في يوم من أيام الربيع وقد شاقه مارآه فيه من زهور ورياحين :

« ثم أنا ذهبنا في أطراف ذلك البستان ، وأقبل كل منا على ما يروقه من الریحان . فمن جانٍ نرجسًا وهو بقول هذا صاحب القد المايس ، والذي عينه عين متيقظ ، وجيده جيد ناعس . ومن جاني بنفسج وهو يرى أنه أجل لباسًا ، وأضوع أنفاسًا . ويقول هذا هو المشبه بعذار الحبيب ، وبأطراف الكبريت إذا أخذت بالليليب . ومن جاني شقيق وهو بقول هذا اسم وقع على مسماه بلا خلاف ، ولما كان شقيقًا للحسن ترك المضاف إليه ودل عليه بالمضاف . ولا عيب فيه سوى أنه يأتي والربيع في سنّ المشيب وما عهد قبله أن ولد الشيخ يخلف في هذا الرواء العجيب » .

على أن أسلوبه لا يجري دائمًا مجرى التصنع ، بل كثيرًا ما يسلس تركيبه وتروق معانيه ، كقوله من رسالة : « فالسعيد من اغتنم زمانه ، وبادر إمكانه وابتنى المعروف وأحكم بنيانه . فان الأوقات ظروف تشتمل على مساوي الأشياء ومحاسنها ، ولا تعطيك إلا ما ادخرته من بواطنها . وهي كالرياح العاصفة ، والبروق الخاطفة . فمن يرد الله به خيرًا يفتقه في عمارتها بالأعمال الصالحة ، ذوات الموازين الراجحة » .

أما الذين كتب عنهم أو إليهم فكثيرون ، ومنهم أمراء وعظماء كالمملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأخويه الملك الظاهر والملك العادل ، والأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل ، والأمير مظفر الدين سنقر أمير الحج العراقي ، والأمير علاء الدين بن الأمير مجاهد العماد ، وابن شداد قاضي قضاة حلب ، وابن رافع قاضي القضاة بالشام ، والصاحب صفى الدين محمد بن شكر وزير الملك العادل ، وديوان الخلافة ببغداد وسواهم .

وتتناول رسائله شتى الأغراض الترسلية من نهنثات وشفاعات وتمزيات وتقاليد أميرية ومباسطات إخوانية وما إلى ذلك مما كان شائعاً في ترسل ذلك العصر .

والذي يراجع هذه الرسائل يرى فيها ما قد يزكي أقوال المؤرخين في منشئها . ويظهر أن حياته لم تكن دائمة الهناء ولعل ذلك لاضطراب الأحوال السياسية من جهة ثم لعدم كياسته في معاملة الناس من جهة أخرى . وإذا أخذنا يقول ابن خلكان معاصره نجد أنه لما كان وزيراً للملك الأفضل بدمشق وصارت أمور الناس تترد إليه لم يحسن عشرة أهلها ، فلما أخذت دمشق من الملك المذكور وانتقل إلى مصر خدّمه المدمشقون بقتل ابن الأثير فهرب مستخفياً إلى مصر . وكذلك خرج من مصر بعد أن أقام فيها مدة من الزمن . ولما انتقل بخدمه الملك الأفضل إلى حصن سميساط على الفرات قصد إلى هناك ثم فارقه لخدمة أخيه الملك الظاهر في حلب فلم يطل مقامه ولا انتظم أمره ، وخرج مغاضباً إلى الموصل . وفي الموصل أيضاً لم يستقم حاله فتركها إلى إربل ثم إلى سنجار ولم يوفق فيها فعاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته وكان قد بلغ الستين من عمره . ومما يكن من أمره فقد كان مشهوداً له بالترسل وبكفي أن يكون له « المثل السائر » الذي يدل على غزارة مادته البيانية وتمكّنه من النقد والبلاغة . وبرغم ماله من الميل إلى الإشادة بنفسه والاعتداد ببلاغته كان له مقام عال بين أدباء عصره .

قال ابن خلكان : « ولقد ترددت الى الموصل أكثر من عشر مرات وهو مقيم فيها وكنت أدت الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المودة الأكيدة فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقيمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة . ثم بلغتني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة » .

ومع علي أن الكثيرين من قراء هذه المجلة قد درسوا ابن الأثير وأطلعوا على أدبه فاني أغتنم هذه الفرصة لأثبت فيما يلي أنموذجاً من ترمُّله كما ورد في إحدى رسائل المخطوطة التي نودُّ تحقيقها ونشرها . وهي كما يقول كاتب المخطوطة : « كتاب كتبه عن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف الى السلطان الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل رحمه الله يسأله عن هزيمة هزيمها . . . . . وذلك انه خرج الى نصيبين وحصر قلعتها وأشرف على أخذها وهي يومئذ لابن عمه الملك المنصور قطب الدين ابن أتابك صاحب سنجار . ثم انه عاد عنها بغير سبب ولا مزعج إلا لأمر يريد به الله . فاستنجد صاحبها الملوك المجاورين له كصاحب جزيرة بني عمر وصاحب دارا وصاحب ماردين وصاحب آمد وديار بكر . فتنزلوا نصيبين بالحملة الكبيرة . وطلب صاحب نصيبين من صاحب الموصل المصاف<sup>(١)</sup> فأجابه اليه واتفق أن يكون بين نصيبين والموصل على قرية تعرف يوشزى » . وبؤخذ من تنمية هذه المقدمة ان صاحب نصيبين وحلفاءه سبقوا الملك العادل الى المصاف . واحتلوا المكان المناسب فيه . وأمرى اليهم الملك العادل آخذاً ثلاث مراحل في مرحلة واحدة . فلما وصل كان جيشه متعباً فلم يعطه خصومه فرصة للراحة بل يادروه بالقتال فكان ذلك سبب الهزيمة . قال ابن الأثير - بعد أن افتتح رسالته بكلمة حكيمة على لسان الملك الأفضل مخاطباً « المجلس السامي العادلي » أي الملك العادل - :

(١) المصاف جمع مصف . والمصف مكان التقاء الصفوف للقتال .



وقد تقابل الخادم بأن «المجلس» نور والله كفيل باتمامه ، وصادف عن اظلامه ، ولم تكن هذه الحادثة إلا شحذاً لغربه ، وصقلاً لعزمه وقلبه . وكما أن - وقد النار زائد في رونق النصار ، فكذلك وقد الأحوال ( زائد في رونق )<sup>(١)</sup> الرجال والتجارب معيار . وفي الرجال درهم ودينار . وواحد من ساجلته الأيام وساجلها ، وقاتلته وقاتلها . فليلق هذا الأمر بالاعتزام والاهتمام . وليتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام . فقد نال العدو منه منالين اثنين ، كيوم أحد ويوم حنين . ولم يكن ذلك نقضاً لأمره ، بل امتحاناً لصبره . وينبغي للمجلس ان يصدف عما فات ، وينظر بما هو آت . وأن يركب في جيش من عنزية الصبر ، وسعة الصدر ، فانها أقوى مدداً ، وأقوى عدداً ، وأغنى في تشتيت شمل الأعداء ولو كانوا لبدا . ولا تظهر فضيلة الرجل إلا عند مكافحة الشدائد ، وتورّد ما يتورده الرجال من الموارد . والخادم يقول ما يقوله من علمه - وقد يشهد الطّرف الوغى وهو محبوب - وهؤلاء الأعداء رؤوس متعددة ، وهمم متبددة متغايرة ، وآراء متنافرة . وعلى ما بلغ الخادم فانهم لم يكونوا كفواً لرجاله ، ولا كانت رماحهم كرماحه ولا نصالهم كنصاله . لكن المجلس أمرى اليهم على بعد المسرى ، وأطلق عليهم وخيله حسرى . وما ذلك من طريق الكيد الذي يدب صاحبه الخمر ، ولا من طريق الأبد يجهز به ولا يضربه ان جهز . . . الى أن يقول :

«والآن فلا ينبغي للمجلس ان يعرج على طريق الندم ، ولا يجعل نبوة السيف سبباً لنبوة الهمم . ويكفيه فضلاً انه لم 'ينل' منه لأمر يرجع الى تقصيره . بل لأمر يرجع الى تدبيره . فليقتل الأعداء تنوهم ، وليهلوا رؤوسهم . فللمجلس في قلوبهم داء لا يهدأ له ، ولا ين سقمه . وقد أوقدوا ناراً وسيكونون لها حطباً ، وزرعوا شوكة وسيجنون منه شوكة وسيجنيه المجلس

(١) ما بين قرسين غير واضح في الأصل .

عنها . وملاك هذا الأمر أن 'يُجَرَّد' له سيفان صبراً ومُخْذَماً ، وينفق فيه مالان راباً ودرهماً <sup>(١)</sup> . وأما الخادم فانه للمجلس من الوقاية بمنزلة الجفن من الناظر ، وفي المساعدة بمنزلة الجناح من الطائر . ولما بلغ المملوك خبر هذه الواقعة ودّ لو اصطلى حرّ شفارها ، ولم يصطل حرّ أخبارها . وقد أقسم انه لا يزال أشعث أغبر إلى أن يدرك ثاره ووتره ، ويستعيد نصره . فلا يقلّم ظفراً ، ولا يقصّر شعراً ، ولا يزيل درّناً ، ولا يغسل ثوباً ولا بدناً . وهذه من سنّة المحرم إذا دخل في إحرامه ، وقد سلكها الخادم عند دخوله في ثوب اعتزامه . وما ينقّس كربه وقد أخذ بكظمه ، وكظّ على همه . إلا ما يعلمه من عنزم المجلس الذي يردّ الخطوب تدمي ، ويبصر خفايا عواقبها والبصائر عنها تغمي . وإذا جدّت شكك السيوف فراق مضاجعها وبكت الرماح تحطّم اضالعها . فأهون بالخطوب إذا جاذبته ، فكيف بالأعداء إذا حاربتهم . فلا يرعّ ما احتمل السيل من زبدٍ فانه يذهب جُفَاءً ، ويمضي عَفَاءً والمجلس هو الذي يمكث في الأرض ، ويعود على ما أيرموه بعوادي النقض .

ويستمر على هذا المتوال حتى يختم الكتاب بقوله - « والله تعالى يؤيد المجلس بالجندين جند الدماء وجند القتال ، وينصره على الجيشين جيش الأعداء وجيش الليال ، وللآراء العالية مزبد العلوّ ان شاء الله تعالى » .

هذا ما رأيت ان أعرضه من هذه المخطوطة القديمة وعسى أن أحظى على صفحات مجلّتنا الغراء بما يسهل على مهمة التحقيق ، وسلفاً أقدم الشكر لكل ذي يدٍ وبالله التوفيق .

أنيس المقرسي

— ٢٠٢٤ —

(١) كذا في الأصل والأشبه ان يكون الصواب « ان يُجَرَّد له سيفين وكذلك ان 'ينفق' فيه مالين » .

## منتخبات من معجم الكواكبي

- ٢ -

## ٥ Abscisse فصيل .

( من اللاتينية abscissus : المنفصل ، المقطوع ) . لغة : الفصل : الحاجز بين الشئين = فطم المولود كالاتصال ، والامم الفصال = الحجز = القطع ) .  
الفصيل : حائط قصير دون سور البلد .

فتا : في المصطلحات الهندسية : أحد الخطين البيانيين اللذين بهما يتعين موضع منحن سطحي ، وهو الخط الأفقي . أما الآخر العمود على الفصيل فهو ( الرتبة ordonnée ) .

## ٦ Absolu صرف = مطلق .

( من اللاتينية ab, solutus : غير مقيد = كامل ، تام ) . لغة :  
الصرف : الخالص من الخمر ونحوها . صرف الشراب : لم يمزجه وهو مصروف .  
الصريف : اللبن ساعة حلب ... المطلق : من ( طلق يده بخير يطلقها  
كأطلقها : فتحها ... أطلق الأسير : خلاه ) .

( - alcool : غول صرف : غول لا يشوبه ماء مطلقاً وهو بعبارة ١٠٠ درجة ) .

( - température : الحرارة المطلقة : التي يعبر عنها بدرجات مئوية على

سلم صفرها ( - ٢٧٣ ) مئوية أي الصفر المطلق الذي هو أدنى درجة من  
الحرارة يمكن نظرياً بلوغها وينعدم عندها كل تنفسان ذري<sup>(١)</sup> . عملياً أمكن  
الوصول إلى ( - ٨٧ و ٢٧٢ ) درجة تحت الصفر في عام ١٩٣٤ ) .

## ٧ Abstrait مختصة .

( من اللاتينية abs, traherer : سحب ، جذب || استخراج ، استخلص ) .

(١) agitation moléculaire

لغة : خَلَصَ خَوْصًا وخَالِصَةً : صار خالصًا : .. الخالص : كل شيء أبيض .  
 خُلَاصَةُ السمن ( بضم الخاء وكسرهما ) ما خُلِصَ منه ... أخلص السمن :  
 أخذ خلاصته ... خُلِصَ تخليصًا : أخذ الخلاصة || فلانًا نجاه فخلص ...  
 خالصة : صافاه ...

استخلصه لنفسه : استنصه .

فنا : في فن الصيدلة : خلاصة تتحوق تعادل ضعفي وزن العقار المهيأة منه .  
 وليست هي ( الخلاصة extrait ) ذلك الشكل الصيدلاني المعروف الذي هو محصول  
 تبخير ، لدرجة معلومة ، للمحلولات المستحصلة من معالجة مادة نباتية بسواغ  
 بخور \* كالماء والقول والأثير .

٨ Acclimatation أقلمة .

( من اليونانية Klima : الميل ، الميلان ) .

لغة : الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة .

فنا : تعويد الكائن الحي من حيوان أو نبات على العيش في بيئة غير التي  
 كان فيها باتباع جملة قواعد موضوعة لهذا الغرض ، فكأنما يجعل بهذا ميثالاً  
 ( ذا ميل ) للعيش في البيئة الجديدة التي تنقل إليها .

٩ Acclimater أقلم .

من ( الأقلمة ) الآتية الذكر : عوّد الكائن الحي على العيش في بيئة غير  
 التي كان فيها .

١٠ Acclimater ( s' ) تأقلم .

من ( الأقلمة ) الآتية الذكر : تعوّد على العيش في بيئة غير التي كان فيها .

١١ Accumulateur مذكخرة .

( من اللاتينية accumulare : التكديس = الجمع = الخزن ) .

لغة : ذَخَرَهُ ذُخْرًا وأَذْخَرَهُ : اختاره واتخذ . ... الذخيرة : ما ذخّر كالدُّخْر .



فتا : آلة كهربائية تُخزن ( تَـذخِر ) فيها القدرة الكهربائية حيناً لتستعمل بعده تياراً كهربائياً . وتتألف من صفيحتين من الرصاص مغمومتين في ماء حمض متوازيين ومتقاربتين جداً . أحدهما كقطب ايجابي والاخرى كقطب سلبي . تملأً يربط القطبين ببطارية أو بتيار حتى تنشحن بالكهرباء ، فيقطع اتصالها بالتيار فتكون مهتأة للاستعمال بوصل قطبيها بما يراد ( التيار الجديد يعاكس الأول ) .

( ١٢ ) *acescence* خلل .

لغة : عرض يعرض في كل حاو فيغير طعمه الى الحموضة .  
فتا : مرض يصيب الأشربة الفولية كالنبيذ وغيره فيجعلها حامضة ، لتحول الفول فيها الى حمض الخل بفعل الخميرة المسماة ( الفطور الأدمية الخلية *Mycoderma aceti* ) . هذه الفطور تسطو ترجيحاً على الخمور الحديشة والقليلة الفول . يحال دون حدوثه بالنظافة التامة وبسلفنة \* الدنان *sulfitation* .

( ١٣ ) *Acétificateur* مُخَلِّلَة .

( من اللاتينية *acetum* : الخل ) .

لغة : خللات الخمر وغيرها حُمُضَت وَفَسَدَت والعصير صار خَلًّا .  
فتا : دولاب مؤلف من صفيحة مُخَلِّلَة \* (١) من الصاج وعليها قطع من خشب الزان حتى اذا دار الهواء والخمر فيها تكَوّن حمض الخل بسرعة وبكافة زهيدة .

( ١٤ ) *Acétification* تَخْلِيل .

لغة : خَلَّ الخمر جعلها خَلًّا ، لازم متعد .

فتا : تخصيصاً ، العمل الذي يتم معه تحويل مادة ما الى حمض الخل .

( ١٥ ) *Acétifier ( s' )* تَخَلَّل .

وكذا أُخْتَلَّ . من الكلمة الآتية الذكر .

- (١٦) Acétolat خلالة .  
 لغة : وزان فعالة ، من الخل .  
 فنا : دواء يهياً بتقطير نقاعة النباتات في الخل .
- (١٧) Acétolature مستخللة .  
 لغة : من (استخل) . فنا : دواء يهياً بنقع النبات الطازج في الخل .
- (١٨) Acétolé خللية .  
 لغة : (من الخل) . فنا : دواء يهياً بخل المواد المختلفة في الخل . والخللية ،  
 غير المستخللة ، من الوجهة الصيدلانية .
- (١٩) Acétolyse خلسمية .  
 لغة : فتحاً من (خل ، إماعة) . فنا : عمل يتم فيه تحليل مادة ما في حمض  
 الخل ، مثال : خلصة السلولوز ، بمزيج من حمض الكبريت وبلا ماء حمض الخل .
- (٢٠) Acétomel خلسل .  
 لغة : فتحاً من (خل ، عسل) . فنا : دواء مؤلف من شراب العسل ممزوجاً  
 بالخل وهو المعروف بالفارسية (سير كتنشكبين) ادغماً من كلتين (مِرْكَة :  
 خل) و (أنكبين : عسل) .
- (٢١) Acétonémie تتخلون الدم .  
 (من Acétone : الخلون ، ومن اليونانية haima : الدم) .  
 لغة : اشتقاقاً من معرب الكلمة الافرنجية : (الخلون acétone) ،  
 ذلك الجسم العضوي المعروف .  
 فنا : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في الدم .

(يتبع)

الكواكبي

## مخطوطات قيمة تهدي إلى دار الكتب الظاهرية

لا تزال بعض بيوتات العلم في المشرق العربي تحتفظ في خزائنها الخاصة بمخطوطات كثيرة ثمينة ورثها الخلف عن السلف ، فزانونا بها دورهم ، وعمرؤا بها صدورهم . على أن هذه المخطوطات تظل في أغلب الأحيان محجوبة عن أنظار جبهة الباحثين ، ومعرضة للسرقه والتلف والإهمال وعوادي الزمن إذا آلت إلى أيدي الجاهلين ، فمن الخير كل الخير أن نودع المخطوطات الخاصة بدور الكتب العامة ، حفظاً لها وتيسيراً للاطلاع بها .

ومن أعظم بيوتات العلم في دمشق أسرة آل حمزة ، انتهت إلى الكثيرين من أبنائها : المتقدمين والمتأخرين ، نقابة الأشراف والفنّاء في الشام ، وضمت خزائنها نوادر المخطوطات العربية التي عكفوا على جمعها السنين الطوال ، وأنفقوا في تحيُّرها النفيس من الزمن والجهد والمال ، وقد أعانهم على ذلك انصرافهم إلى التبحر في العلم كايّراً عن كايّ ، وحرصهم على التكثر منه والتعمق فيه . وعميد هذه الأسرة اليوم هو السيد سعيد حمزة تقيب السادة الأشراف في الشام ، وأحد أكابر رجال الفضل والعلم فيها .

اختار السيد سعيد حمزة من خزائنه العاصرة ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة ، فأهداها إلى دار الكتب الظاهرية منذ أيام ، وانكب العاملون فيها على دراسة هذه المخطوطات ووضع فهرس لها يشتمل على وصف كل منها والتعريف به ، حتى يستفيد رواد الظاهرية من هذه المخطوطات . وإنا لنترجو أن يتاح لنا سرّد أسماء هذه المخطوطات وبيان ما فيها في العدد المقبل من مجلّتنا هذه . نوّهت بهذه المأثرة الحميدة كبريات الصحف السورية ، وبعثت المجمع العلمي العربي للمهدي الكريم ، رسالة يشكر له فيها جميل صنعه ، ويرجو أن يأتسي المخلصون الغيور به ، ويسيروا على هديه .

## فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والثلاثين

| صفحة |                                                                                    |
|------|------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٥٣  | مع حافظ ابراهيم . . . . . للأستاذ خليل مردم بك . . .                               |
| ٣٧١  | الشعر الأندلسي . . . . . للأستاذ عبد الله كتون . . .                               |
| ٣٩٧  | الاصطلاحات الفلسفية (٣) . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .                         |
| ٤٠٩  | أفكار أبي حنيفة الديتوري في العلوم الطبيعية . . . . . للدكتور محمد حميد الله . . . |
| ٤١٦  | ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (١) . . . . . للدكتور حسني سبيع . . .             |
| ٤٢٧  | إيرانية البحري (٣) . . . . . للرحوم الشيخ عبد القادر المغربي . . .                 |
| ٤٣٧  | التكية السليمانية في دمشق (٢) . . . . . للأمير جعفر الحسني . . .                   |
| ٤٥١  | أبو القتح بن جني (٧) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس . . .                         |

## التعريف والنقد

|     |                                                                              |
|-----|------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٧٣ | خريدة القصر وجريدة مصر ( قسم شعراء ) { للأستاذ عبد الهادي هاشم . . .         |
| ٤٨٠ | طبقات الأطباء والحكام . . . . . للدكتور أسعد الحكيم . . .                    |
| ٤٨٣ | أعيان الشيعة . . . . . { للأستاذ عز الدين التوخي . . .                       |
| ٤٨٧ | الثائرون في التاريخ . . . . . { للأستاذ عز الدين التوخي . . .                |
| ٤٨٨ | ردّ على ميخائيل نعيمة في « مرداد » . . . . . للدكتور حكمة هاشم . . .         |
| ٤٩١ | المدخل إلى تاريخ الحضارة ( الجزء الثاني ) . . . . . للأمير جعفر الحسني . . . |
| ٤٩٤ | محاضرات في القانون المدني اللبناني . . . . . للدكتور عدنان الخطيب . . .      |
| ٤٩٦ | أراء دمشق في الإسلام . . . . . للأستاذ محمد أحمد دهمان . . .                 |

## آراء وأنباء

|     |                                                                            |
|-----|----------------------------------------------------------------------------|
| ٤٩٨ | ولاه. الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي . . . . .                           |
| ٥٠٢ | وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي . . . . .                            |
| ٥٠٤ | وفاة الأستاذ كارل بروكمن . . . . .                                         |
| ٥٠٩ | ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية . . . . . { للأمير مصطفى الشهابي . . .   |
| ٥١٣ | ملاحظات على وضع بعض المصطلحات . . . . . { للأمير مصطفى الشهابي . . .       |
| ٥١٤ | رسائل ابن الأثير . . . . . للأستاذ أنيس المقدسي . . .                      |
| ٥٢١ | متنجات من معجم الكواكي (٢) . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي . . . |
| ٥٢٥ | مخطوطات قيمة تهدى إلى دار الكتب الظاهرية . . . . .                         |



## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ — محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثاني )
- ٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثالث )
- ٤ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ — المستجاد من فعلات الأجداد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ — غوطة دمشق ( الطبعة الثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ — ديوان ابن حيّوس ( الجزء الأول ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ — ديوان ابن حيّوس ( الجزء الثاني ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) : وضعه  
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء الممشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( القسم الأول من المجلد الثانية ) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور  
صلاح الدين المنجد
- ٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترمتين .
- ٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الامتانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب ( قسم شعراء  
الشام ، الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٤ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة
- ٣٥ — ديوان ابن أبي حصينة السلي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس
- ٣٦ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٧ — المتقى من أخبار الأصفهاني للإمام الربيعي
- ٣٨ — تكملة لإصلاح ما نغلط به العامة للجوابي
- ٣٩ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٦

٢٥ صفر سنة ١٣٧٦

## حافظ ابراهيم علي سجيته

الاسكندرية في ١٥ نيسان سنة ١٩٢٦ و ٢ شوال سنة ١٣٤٤

ذكرت في آخر مقالي السابق <sup>(١)</sup> عن حافظ ابراهيم أنه قال لي : ستراك في الاسكندرية قريباً ولعل ذلك يكون في العيد .

لقد وفي بما قال ، فزار الاسكندرية ومعه حسين الحسيني في عيد الفطر سنة ١٣٤٤ منتصف نيسان سنة ١٩٢٦ ، فقضيتا معه نهراً بطوله ووصلنا به ليلة طويلة . وكان حافظ في هذه التوبة مرسلأ نفسه على سجيته في كل ما يقول ، وكثيراً ما يؤثر الدعاية على الجدة ، ويرتاح لإيراد النكت والفكاهات البلدية مما يكن نوع الحديث .

كان الموعد أن نجتمع في الصباح بقوة نلسون ، فلما أقبلت عليه قال لي : خشيت ألا تهتدي الى المكان ، وأن يلتبس عليك نلسون بولسون ، فالانظان

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٥٣ مجلد ٣١

متقاربان ، على أن أحدهما قائد الأسطول الانكليزي والآخر الرئيس الأميركي .  
ثم قال : قل لي هل أفطرت ؟ فأنا لم أفطر بعد ، سأطلب فطوراً لي ولك ،  
قلت : شكراً لك لقد أفطرت . قال ماذا أكلت ؟ قلت الخبز والجبين . قال  
هل كنت في القسم <sup>(١)</sup> ؟ فهذا أكل رجال البوليس . ما أعجب شأنكم يا أهل  
الشام ، تبلّون ثريدكم بـاء الحمص بدلاً من ماء اللحم وترشون على وجهه حبات  
من الحمص <sup>(٢)</sup> بدلاً من اللحم ، أهكذا يكون الثريد ؟ لست أدري أنا أكلون  
مثل هذا الطعام نقشفاً وزهداً أم على سبيل الحمية ؟

والتفت بمنة فقال : أتريد أن تعرف رجلاً لم يأكل ولم يمت منذ ثلاثين سنة ؟  
هذا هو إنه مقبل علينا ، فلما قرب قال له : أين كنت يا أستاذ ؟ أكلت  
تأكل ؟ فقال : لا والله ما أكلت (ش) . قال إذن كنت قائماً ، فقال : لا والله  
ماتت (ش) . قال لي أرايت ؟ هذا الشيخ عبد العزيز البشري صديقي منذ  
ثلاثين سنة ، لم أره مرة - وما أكثر ما أراه - إلا قال لي ما أكلت (ش)  
ولا نمت (ش) . ثم التفت إليه وقال : سأطلب لك فطوراً ، قال ما تشتهي  
نفسى الطعام ، قال ماذا وصف لك الأطباء ؟ قال وصفوا لي من المقبلات  
فراخ الطير ، وتأبى نفسي أن أفجع أمهات الطير بفراخها فضلاً عن إبلام الفراخ  
بالدج لكي أشمذ شهوتي الى الطعام ، فما أقسى الإنسان وما أشد ظلمه . فقال  
حافظ : إذا عجز الأطباء عن علاجك ، أما في الحي عندكم واحدة من أولئك  
العجائز اللواتي عندهن لكل داء دواء ؟ فقال البشري عندنا عجوز في صدرها  
دائرة معارف ، يجيب قبل السؤال ، وتعالج جميع الأمراض ، وتسفه الأطباء  
وتنكر عليهم علمهم ومعرفتهم ؛ ولم يبق عليّ إلا أن أذهب اليها . وسأله حافظ  
عن ولديه فقال : هما بخير والحمد لله وبأيتهما لم يأتيا لهذه الحياة التي كلها آلام ،

(١) يعني المختبر .

(٢) يريد بذلك ما يسمى في دمشق ( لتقية ) .



وأنا الجاني عليهما . فقال له حافظ : هون عليك فالحياة أهون من أن يهتم لها الإنسان ، رحم الله محمد البابلي فقد كان يسخر من الخطوب ولا بأسى على ما فاتته أو خسره من عرض الدنيا ، أعسر مرة فاستدان مبلغاً من المال ورهن ملكاً له عند الدائن ثم باع الملك ، فسمعتة يروي حديثاً موضوعاً في هذا الشأن - وكثيراً ما كان يضحك الأحاديث على سبيل التظرف - فيقول : « خيركم من رهن ثم باع » قلت له ولماذا ؟ قال لأنه يقبض الثمن مرتين . هذا الرجل الذكي الأملعي المتوقد الذهن الوفي الذي كان حديثه بهجة النفوس وتزفة الخواطر ، أنكره المصريون يوم وفاته فلم يشيع جنازته غير بضعة أشخاص ، لم أر بلداً أقل وفاء وأكثر هضمًا لحقوق رجاله من مصر .

وسكت حافظ متأثراً فاغتنم هذه الفرصة حسين الحسيني وقال لي : الأستاذ البشري صاحب مقالات ( في المرأة ) التي تنشر في ( السياسة الأسبوعية ) ، فأسرع البشري وقال بلهجة المستغني عن التقريظ والثناء : بعضها بعضها . ثم التفت إلي حافظ وقال : متى ضرب الافرنسيون دمشق ؟ قلت في تشرين الأول سنة ١٩٢٥ . فقال : لا مؤاخذه إذا قلت لك ترجم فلقد نسبنا نحن في مصر أسماء الأشهر المعربة وأضعضا استعمال الحساب العربي وأصبحنا لا نعرف الأشهر إلا بالأسماء الافرنجية ، فنقول ابريل ومايو ويونيو وهكذا . . . وهذا مما يؤسف له . ولكن دعنا من مسأله الحساب الآن وخبرني عن غرام السوريين بالثورات ، بالأمس ثرتم على الأتراك فأنكر عليكم المصريون ذلك وعدوا عملاكم خرباً من الخيانة ؛ أما أنا فقد عذرتكم ، لأن التركي في حكمه لا يطاق « عشرة <sup>(١)</sup> » وأنا سيدك » هكذا هو ، وأنا اتفاظ ( اغتياظ ) من الأتراك لهذا الصلف العجيب . وما كدتم تتخلصون من الأتراك حتى ابتليتم

(١) مثل عامي مصري يصف الشحاذ التركي في مصر ، يطلب منك عشر بارات ويقول لك أنا سيدك ، يقابله في أمثال العرب « أتق في السماء واست في الماء »

بالإفرنسيين وهم أدهى وأمر ، جمعوا الى الصلاف الغرور والى الأناثية الحق والى  
 القسوة الظلم وهم أشد الناس خفةً وطيشاً وأكاد أقول جنوناً ، ولعل الله ابتلاك  
 بهم لمشابهم لكم من بعض الوجوه ؛ على أن الشامي معروف عند المصريين  
 بالبرودة فيقال برد شامي ، ولقد رأيت مرة بعض أصحابي مع شامي فقلت له  
 ما الجامع بينكما ؟ فقال أبرد يرودته . ولا شك في أن أقوى الشعوب اليوم  
 في العالم ثلاثة وهم الإنكليز والألمان والإفرنسيون ، ولي فيهم قول مأثور  
 صنفهم ووصفهم وصفاً صادقاً يصور على إيجازه كلاً منهم في نفسه وفي حكمه لغيره :  
 فالإنكليزي يعلم ويرحم ، والألماني يعلم ولا يرحم ، والإفرنسي لا يعلم ولا يرحم .  
 أما نحن وأنتم وبقية المسلمين فصائمون دايمون نائمون ، أضعنا ما بأيدينا ولا  
 نكاد نعلم من أمور الدنيا شيئاً ، لقد خسرنا الدنيا ونطمع بالجنة في الآخرة ،  
 وأخشى - إن تحقق أملنا - أن نحتاج للأوربيين حتى في الجنة ، لأنه لو طرأ  
 عطل هناك على شيء من أدوات الترف والنعم ، لما كان بين المسلمين من يقوم  
 بإصلاحه ، ولاحتاجوا الى استدعاء بعض الأوربيين من النار .

واتقلنا من قهوة نلسون الى مطعم على البحر ، وروى حافظ آتخذ خبراً قريباً قال :  
 لما كان السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريس زارهما أمير  
 عربي ، وذكر لهما أن إبراهيم بك المويلحي حصل على وثائق من عنده بحيلة ، وفي  
 هذه الوثائق ما بغضب فرنسة على الأمير ، وأن المويلحي أنذره بأنه اذا لم يدفع  
 له ألف ليرة ذهباً سيسلم الوثائق الى الحكومة الافرنسية ، وذكر الأمير أنه  
 في ضيق لا يملك هذا المبلغ من المال ، ورجا منها أن ينجيه من شر المويلحي ،  
 فاستشاط السيد جمال الدين غضباً ، وكان حاد المزاج ، وقال : ينبغي زجر  
 المويلحي وتأديبه واحتراد الوثائق منه . فقال الشيخ محمد عبده : لا فائدة من  
 أخذه بالشدة بل ربما كان في الشدة ضرر ، فدع هذا الأمر إليّ لعلني أتمكن  
 بالرفق واللين والحيلة من استرداد الوثائق . وبعد أيام زار الشيخ محمد عبده

ابراهيم بك المويلحي في الغرفة التي هو نازل فيها وتكررت الزيارات بينهما حتى أنست صاحبة الدار بالشيخ ، فجاء يوماً ولم يكن المويلحي في الدار ، ففتحت له الغرفة وتركته وحده ، فأخذ الوثائق وقعد قليلاً ثم خرج وأمرع بها الى صاحبها الأمير ؛ فلما علم المويلحي بالأمر جن جنونه وذهب الى الشيخ وقال له : ان ما فعلته يا أستاذ خلاف الأمانة ؛ فضحك الشيخ وقال له : والذي فعلته أنت ما هو ؟ أمانة ؟

قال حافظ : رحم الله الشيخ فقد ملي علماً وعقلاً وسروءاً ، وقد قدت مصر بوفاته ركناً عظيماً ، وكاننا الشاعر عناء ساعة دفنه بقوله :

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

وكان المطعم مزدحماً جداً ، فلم نكد نقرغ من الطعام حتى غادرناه وركبنا عربة قاصدين قهوة نجلس بها بعد الطعام ، فلما نزلنا من العربة وقف حافظ ابراهيم وسلم على رجل من عامة الناس قصير القامة مكنتر الجسم زري اللبس وصافحه وهز يده طويلاً وهش له ، فقال له الرجل القصير : أنت نسيت أصحابك يا حافظ بك ، فأجابه : لا والله ولكن أين أراك ؟ فقال له : أسأل عني ثري . . . . . فودعه ضاحكاً . ثم دخلنا قهوة صغيرة وأقبل بعد قليل بهي الدين بك بركات وقعد بجانب حافظ ابراهيم ، وجاء خادم القهوة ووجه الكلام لحافظ واحتفى به وسأله عما يريد من المشروب ، فقال له حافظ مالك تحتني بي هل تعرفني ؟ قال : كيف لا أعرفك ، أنت شاعر مصر الكبير . قال حافظ : يعني العجوز ، قال : لا والله ما قصدت هذا ، فسر حافظ بذلك وضحك .

ونشأت في السماء سحابة وسقطت منها قطرات من المطر ، فرفع حافظ بصره الى السماء وقال : يعجبني قول الشاعر في مثل هذه الحال يعني سقوط المطر غير المنتظر :

عليّ وإلاً ما بكاء الغائم وفيّ وإلاً ما نواح الحمام -  
وعني أنار الرعد صرخة طالب بشارٍ وهز البرق صفحة صارم -

وردد الشطر الأول غير مرة وقال : إذا كان المطر في غير وقته فما هو إلا  
بكاء الغائم عليه وعلى أمثاله من الشعراء .

ثم قال : والشئ بالشئ ، بذكر وان كان لا دنى ملابسة ، يعجبني قول شاعر  
عامي في مطر شديد مستمر وفيه دعاية ونكته :

أقلمي بالله عنهم وارحمهم يا سما ما هم من قوم نوح .. إنهم من قوم لوط  
وكان يردده مخاطباً السماء ويضحك .

وهيت هذه اللوحات من الشعر حديث الشعر في نفسه فقال : جاءني وأنا في  
شبابي رجل من دعاة الشيخ أبي الهدى الصيادي ، وزين لي أن أذهب الى استانبول  
بقصيدة أمدح بها الشيخ وأكون ضيفاً عليه وأكون شاعره ، ومناني كل ما نصبو  
اليه النفس من عرض الدنيا ، وبقيت مدة بين المقدم والمجسم ، وكنت أجيئ  
الدعوة ، ثم انصرفت نفسي عن الإجابة فاعتذرت ، وأحمد الله على أنني لم أسلك  
ذلك المسلك ، ولو فعلت لكنت مثل غيري من الشعراء المداحين الذين كانوا  
يتهاقون على أبواب الملوك والأمراء والرؤساء ، وإذا سئل عنهم قيل من في  
الباب من الشعراء ، كأنهم من الخدم ، ولما أتيح لي أن أعنى بالشعر الاجتماعي ،  
وأشارك في نقل الشعر من الهزل الى الجد ومن المواضيع التافهة الى المواضيع  
ذات البال .

وعلى ذكر الشعر قال : دعيت مرة لإشاد قصيدة من شعري في حفلة  
جامعة ، فلما اكتمل الجمع وصعدت المنبر وشخص الناس بأبصارهم إليّ وحبسوا  
أنفاسهم مصفين منتظرين ما سأقول ، أنشدت البيت الأول من القصيدة كأحسن  
ما ينشد شاعر . ويظهر أنه كان بجانب مكان الحفلة اصطبل فنهق فيه حمار  
نهيقاً منكرأ تردد صدهاء في قاعة الحفلة ، تقطعت الإشاد حتى سكنت الحمار  
فضحك الناس ، ولما عدت الى الإشاد عاد الحمار الى النهيق ، فقلت للحاضرين :  
إما أنا أو هو ، فضجّ الناس بالضحك والتصفيق ، فقلت لهم : أنا جاد ولست



يهازل ، لأن لم تسكنوه لأترككن المتبر ، ولما أقصي عن المكاتب أتممت  
إنشاد القصيدة .

ولم يكذب يتم هذه الفكاهة حتى نهض وكان الوقت بعد الغروب بقليل .  
والذي لاحظته أن بهي الدين يركب منذ جاء إلى أن انصرف ظل ساكناً  
سكوتاً طويلاً .

وتركنا هذه القهوه وذهبنا لتعشى في دار الدكتور أحمد قنري إجابة  
لدعوته ، فلما بلغناها بالغ صاحب الدار بالحفاوة بحافظ إبراهيم ، فكان يقول له  
عقب كل كلمة يقولها حافظ : أمرك سيدي ، تأمر ، مرني بما تشاء ، فلما طال  
ذلك على حافظ قال له على سبيل الدعابة : أمرك أن تسكت ، ما هذه المبالغة  
في الحفاوة ؟ قال : لأن الله اختصك بموهبة لا يختص بها إلا القليل النادر  
من عباده هي موهبة الشعر ، فقال حافظ : اسكت يا شيخ أنت عالم ، ثم قال  
سأختبر علمه في الطب ، فان جعل ناقني تسير بي نحو المنزل الخالي شهدت له بالحق .  
وبعد قليل قدم للحاضرين ما يقدم عادة قبل الطعام من المقبلات ، فتناول  
حافظ كأساً جرع منها جرعة أغمض منها عينيه والتهم شيئاً من النفل بمسح  
به حرافة الجرعة ، وكانت التي تقدم المقبلات فتاة تركية وسيمة ، فأشار إليها  
بعض الحاضرين أن تجوز على حافظ إبراهيم بمعاطة الكؤوس ، فكانت تقدم له  
الكأس تلو الأخرى ، تعطيه الملائى وتأخذ الفارغة . فقال لها : بس ؛  
فقل لها إنها لا تفهم العربية ، ونظاشرت هي بأنها لم تفهم ما قال ، فقال لها :  
( نودر ) والتفت إلى الحاضرين وقال : لقد كلمتها بالتركية ، وهل التركية غير  
( در ودن وده ) وما إلى ذلك من الأدوات . و ( no ) أصبحت تركية بعد  
أن ذُبت بـ ( در ) .

ثم قال لي أنشدني شيئاً من شعرك ، قلت : لا أعني بحفظ شعري . قال  
أذكرني بقولك هذا قصة سأقصها عليك ، لما كنت في المدرسة اتفق أن جاء

مفتش ونحن في درس اللغة الافرنسية. وبدأ يختبر معرفة التلاميذ بها ، فاستدعاني إليه وقال لي « Parlez-vous français » فأشرت إليه برأسي ( لا ) فقال لي : ولا ( non ) يا شاطر . أتريد أن تعمل مثلي لست بباركك ، ولك عليّ أن أجبر لك برأني من غير موارد . فقرأت له قصيدة عنوانها ( شهيد ايرلنده ) أولها :

أبي رق الحياة فمات حرا وأبلغ نفسه في ذاك عذرا

فقال بعد أن سمع البيت الأول « طيب يا واد » وكرر هذه الجملة عقب كثير من أبيات القصيدة ؛ فلما انتهيت قال اسمع : « لن تكون كالمتني ولكنك كالبحثري » فشكرته وحملت مقاله على المبالغة في المجاملة .

وكأنما تنبه في نفسه حديث الشعر والأدب ، فذكر كتاب الأغاني وقرظ طبعه الجديدة وقد صدر منها الجزء الأول ، وقال لا أدري متى ينتهي طبع بقية الأجزاء لأننا في دار الكتب ندقق في تحقيق الأصل وتصحيحه وقد تبقى حروف المألزة مصفوفة في المطبعة شهراً أو أكثر لأنه إذا توقف المصححون في دار الكتب بشيء عرضوه على أهل العلم الثقات كأحمد تيمور باشا وأضرابه .

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب وأثنى على كتابه ( المكافأة ) وقال : لقد استظهرت كثيراً من كتاب المكافأة .

وذكر الجاحظ وأثنى عليه كثيراً وقال : إنه بليغ هذه الأمة وأحسن البلاء بياناً ، فضلاً عن سعة العلم ورجاحة العقل وخفة الروح ، وروى عن الجاحظ هذه الحادثة قال : « وضعت حلقة من حديد في النار حتى صارت حمراء ، ثم ألقيتها على الأرض ووضعت في وسطها غلة ، ووقفت أنظر ما تصنع الغلة ، فمشت الغلة إلى جهة الشرق فلما أحست بوهج النار انكفأت إلى جهة الغرب فلما أحست أيضاً بجر النار عادت وقصدت إلى كل جهة من جهات الحلقة فلما لم تجد مخرجاً وقفت في أبعد مسافة عن النار » قال حافظ فانظر إلى الجاحظ كيف عبر عن مركز الدائرة الذي لم يكن معروفاً وقتئذ بأبعد مسافة .

وأورد من دعاياته وفكاهاته ما يلي قال : سأل بعض الناس الجاحظ أنت يعطيه كتاب توصية الى بعض العمال ، فدفع الجاحظ اليه كتاباً مختوماً ، وبدا لهذا السائل أن يفض الكتاب فاذا فيه : « هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك » فلما سئل عن ذلك قال : هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعطني به ، فقال المكتوب لأجله : أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف . . . . . وأم من يسأله حاجة . فلما استنكر منه ذلك قال : هذه علامتي فيمن أشكره . فضحك الجاحظ . كانت حائط يروي هذه القصة بنفسه ويديه معاً ويغرب في الضحك .

وانتقل الى الكلام عن سعد باشا زغلول واستقلاله بعظام الأمور ، وقيامه بالشؤون الهامة في الحزب والحكومة ومجلس النواب ، حتى إذا ذل الصعاب ولم يبق غير الأمور اليسيرة ترك كرمي الرياسة واستدعى نائبه فقال « تعال يا نحاس » قال حافظ ذلك وقام من كرسيه نصف قيام محاكاة وتثيلاً لسعد . وسألني عن الأستاذ محمد كرد علي فقلت له : إنه بخير وبذكرك بالخير ، فقال : هذا رجل عظيم . ثم سألتني عن الشيخ فؤاد الخطيب وقال : إنه شاعر ، قد ألف ووقف على الراء بقوة .

وكأنما استبطأ الدعوة إلى المائدة فقال :

قد جن أصحابك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة  
ثم قمنا الى المائدة فبدأ يهدير بكلامه هدرأ وألماء الكلام عن الطعام وتندر على المصريين والشاميين ، قال : للمصري فهم عجيب ومنطق أعجب ، وقف مرة فلاح مصري أمام قاضٍ في المحكمة ، فسأله القاضي الأسئلة المعتادة عن الاسم والسن والحال والصناعة والبلد ، فكان جوابه عن سنه « سنة زرع أفندينا

القطن» فزاده القاضي سؤالاً وقال «متزوج أنت أم عترب» فقال : «نعم يا أفندم متزوج امرأة» فنهرو القاضي وقال : ما هذا الكلام الفارغ ، وهل يتزوج أحد غير امرأة ؟ فقال «نعم ... أختي ... أختي متزوجة راجل» وحملق في وجه القاضي كمن أقام الحجة الدامغة . وكان حافظ يغرب في الضحك من جواب المصري ويقول أجاب جواباً لا يرد .

وقال : أراد أن يسافر فلاح مصري من قريته إلى القاهرة ، فجا إلى المحطة وسأل قاطع التذاكر عن الأجرة ، فذكر له تفاوت الأجرة باختلاف الدرجات ، وزيادة في الإيضاح قال له : يعني فوق أعلى من تحت ، وتحت أرخص من فوق ، فقال له الفلاح : احفر لي أسفل من تحت وخذ مني أرخص ، ثم قال : لا تظن أن الشامي يقصر عن المصري في هذا الباب ولعله يفوقه ، اسمع هذه القصة : جاء مرة رجل شامي إلى الاسكندرية في طريقه إلى القاهرة ، فركب القطار من الاسكندرية ومعه عباءته وخرجه ، فسار القطار ولما وقف في المحطة الأولى بسيدي بشر ، ثار الشامي من مكانه وعلى كفيه العباءة والخروج وهم بالنزول وسأل حارس القطار : وصلنا مصر سيدي ؟ فأجابه : كلا أين أنت من مصر عد إلى مكانك . وكان كلما وقف القطار على محطة فعل الشامي ما فعله في محطة سيدي بشر . فلما ضاق به الحارس قال له : مالك يا أخي ، اقعد في مكانك ، هل مللت من الركوب ؟ فقال له الشامي : إي والله سيدي مللت أريد أن أصل إلى مصر . فقال له الحارس : إذا كنت مللت ولم تمض عليك ساعات في القطار ، فماذا أقول أنا ، أنا في هذا القطار من ثلاثين سنة . ففتح الشامي فمه وجهظت عيناه وقال للحارس : «من أي محطة أنت راكب سيدي ؟»

والتفت يمينه ويسرة ونظر تجاهه فوجد القاعدين مشغولين بالطعام ، فرفع بصره إلى الفتاة التركية الواقفة على المائدة وقال لها : (بو — وأشار إلى القاعد عن يمينه — غيبوبت ، وبو — وأشار إلى القاعد عن شماله — غباوت ، والضيف



— وأشار إلى نفسه — ضايع در ) فميج الحاضرون بالضحك وقالوا له : ختمت اللغة التركية ؛ وغلب على الفتاة الضحك حتى كاد ينزلق صحن الطعام من بين يديها على كتفيه ، فقال : قلت لها أطعمني ولم أقل لها أطعمني ثيابي . وصبت له في كأسه ماءً فظنه من الأثرية الحارة فقال لها : أنا مسلم <sup>(١)</sup> صيني لا أشرب غير الماء والأثرية الحلوة .

وكان الليل قد مضى أكثره فانصرف الحاضرون ولسان حالهم ينشد :  
نود أن سواد الليل دام لنا      وزيد فيه سواد القلب والبصر

\*  
\*\*

### ذيل

( في ما روي لي من أخبار حافظ ابراهيم ولطائفه )

حدثني حسين الحسيني قال : حافظ ابراهيم عصبي المزاج يكره الخلقة ولا يصبر على الحلاق وعمل أدواته في الشعر ولا سيما المقص منها ، ولا يكاد يذهب إلى الحلاق إلا اضطراراً ، وقع يوماً بحكم الاضطرار بين يدي حلاق ، فأعمل برأسه المكنة والمقص والمومى ثم انحاز إلى قفاه وبدأ مقصه يحول ويستسقي علواً وسفلاً ، وطال الأمر على حافظ ابراهيم ، فقال له : متى تنتهي ؟ قال لم يبق إلا جهة الشمال . فنفض حافظ ونزع الفوطة من عنقه واتجه نحو الباب وهو يقول : نكتفي الآن بجهة اليمين وفي المرة الآتية تكمل الباقي في جهة الشمال .

(١) يريد بالمسلم الصيني : المسلم الجلد النقي . وقد كنت أظن هذا القول مما يمثل به في مصر ، سألت عنه مرة الدكتور عبد الوهاب عزام فقال لي : لا أعرفه قلت سمعته من حافظ ابراهيم ، قال : كان حافظ يضع الأمثال لنفسه .

وقال : المشهور عن حافظ أنه جواد كريم ، والواقع كذلك وليس للمال قيمة في عينه ، سهر مرة في القاهرة يلعب الطاولة مع أصدقائه ، فلما طال أمد اللعب نبيه بعض الحاضرين الى أن آخر قطار يسير من القاهرة إلى حلوان ( حيث يسكن حافظ ) قد دنا وقته ، فلم يلتفت إليه حافظ حتى إذا انتهى من اللعب بعد فوات وقت القطار طلب الى الشركة أن تجهز له قطاراً خاصاً من القاهرة الى حلوان ، وكان الأمر كذلك ودفع الأجرة الضخمة المعينة لمثل هذه الحال .

وقال : سألته مرة كيف ينظم الشعر وكما يتأقلم أن ينظم في اليوم ؟ فقال : ليس هناك قاعدة ثابتة ، فقد تمضي الأيام والشهور ولا أجد نفسي تنشط لقول الشعر ، وقد يستعصي عليّ إذا طلبته في مثل هذه الحال فلا أقدر على نظم بيت واحد أرغضه ولو حادته طول يومي ، أما إذا ارتاحت نفسي الى الشعر وكان الباعث عليه بلائم هواي فأقول الأبيات في اليوم الواحد من غير كد ولا جهد .

وقال : يظن بعض الناس أن حافظ ابراهيم من المولعين بالشراب ، وليس كذلك ، وإنما هو مولع بالسيكار وبأجود أنواعه ، ولو فقدت ذخيرته منه وقيل له ثمن كل واحد جنيه لاشتراه .

وقال : قال لي حافظ ابراهيم : كان لأولي أزمات الصبا التي كانت مني ، تأثير عجيب في نفسي ، فقد خشيت أن يعجل الله لي العذاب كأن ينسف بي الأرض أو يسقط عليّ كسفاً من السماء ، وخيل إليّ أنني إذا ظهرت بين الناس لم يخف عليهم ما افترفت من الإثم ، فبقيت واجماً ولزمت الدار مدة لا أخرج منها إلا لأمر لا بد منه ، فلما توالى الأيام أطمعني حلم الله ورجاء عفو .

وحدثني الشيخ نوّاد الخطيب قال : كانت قهوة سيلندبار في القاهرة أشبه بندوة لكثير من الأدباء يجلسون بها في العشايا ويتناشدون الأشعار ، وكان رئيس القوم في تلك الندوة اسمعيل صبري باشا شيخ الشعراء المشهور بنفوذ

بصره ورهافة سمعه وصحة ذوقه في نقد الشعر بعرض الشعراء عليه قصائدهم ومقطعاتهم  
ويسألونه رأيه فيها ؛ وكان حافظ يحضر تلك العشايا ويشبع فيها المرح بفكادته  
ودعابته ، وحافظ مشهور بثقيف شعره وإعادة النظر فيه وعرضه على إخوانه  
والإصغاء إلى ما أخذهم عليه ، جاء ذات عشية وأنشد قصيدة سياسية رنانة في  
وداع اللورد كرومر واستقبال خلفه السير غورست مطالعها :

بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد  
فاستحسنها اسمعيل صبري باشا وكان مما أخذه عليه بها لفظة ( ارتفع ) في قوله :  
إذا ارتفع الصباح فلا تلحنا فإن الناس في جهد جهيد  
قال وما أقول مكانها ؟ قال هذا ليس من شأني ، عليّ أن أنتقد وعليك أن  
تتلافى . فقال حافظ : موعدنا عشية غد ، وجاء في الوقت المعين ووجهه يطفح  
بشراً وأنشد :

إذا اعلولى الصباح فلا تلحنا فإن الناس في جهد جهيد  
فقال صبري باشا : أحسنت ماشئت ، فكان حافظ يكرره ويكاد يرقص طرباً .  
وقال الشيخ فؤاد : كنت ليلةً وحافظ إبراهيم سائرين في أحد شوارع  
القاهرة ، فسمعنا وراءنا وقع حوافر خيل وإذا بعربة فخمة تقف بجانبنا ، وإذا  
بالراكب فيها السيد توفيق البكري بناديننا لتركب معه ، فقال له حافظ :  
إلى أين ؟ قال إلى الدار حيث نسمر معاً هذه الليلة . قال حافظ : رحم الله  
من قال ( جوعٌ وأحاديث ) نحن لم نعيش بعد ، فهل تعيش أنت ؟ قال نعم  
وهذه خمسة جنيهات لعشائكما وسأسبقكما إلى الدار ، فتعشيا سيفي أحد المطاعم  
ثم اقصداني في الدار فأنا بانتظاركما ، قال ذلك وذهب ، وبقيت مع حافظ ،  
واختلفنا في أي المطاعم نأكل فالمبلغ يخولنا أن نأكل في أنخم المطاعم ثم نركب  
إلى دار السيد البكري أنخم العربات ، وشرع حافظ ييذر في القهوة والمطعم  
بين ثمن المشروب والمأكول وسلمان الخدم وثن السيكار ، وفكاهاته لا تنقضي

الواحدة إلا بأخف منها حتى لم يبق من المبلغ شيء حتى ولا أجرة عربية وكاد الليل ينتصف وبقي السيد البكري بانتظارنا وما أشك في أنه هجانا .  
وقال الشيخ فؤاد : لحافظ ابراهيم قصيدة طويلة في (عمر بن الخطاب) هي أطول قصيدة قالها ، وهي من عيون شعره تشتمل على سيرة عمر أولها :

حسب القوافي وحسي حين ألقيا      أني إلى ساحة الفاروق أهديها

وكان حافظ في سنة ١٩١٧ آخذاً في نظم هذه القصيدة لم يفرغ منها بعد ، وكنا كلما اجتمعنا إذ ذاك نركب عربية ويقول حافظ للسائق : اذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الضجيج ، ويبدأ حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها إلى المكان الذي انتهى إليه ، وكان من أحسن خلق الله إنشاداً للشعر ، فإذا أسرع السائق قال له حافظ « يا أسطه واحده واحده » يعني خفف السير .  
وركبنا مرة وأخذ حافظ على عادته ينشد القصيدة ، وأسرع السائق بعد برهة فقال له ( يا أسطه واحده واحده ) وتكرر ذلك عدة مرات فغزت السائق في ظهره وقلت له أما نسمع ما يقوله لك ، فالتفت إلي وأشار إلى حافظ بعينه وفيه وكأنه يقول : هذا محشش وانت مالك ؟ فضحك حافظ طويلاً .

وحدثني المرحوم عمر الفاخوري قال : لما زار حافظ ابراهيم بيروت ذهبت مع جماعة من الأدباء في ضحوة من نهار للسلام عليه ، وكان كل واحد منا يذكر له اسمه حين يصافحه ، ولما انقضى وقت الزيارة نهضنا للانصراف فودع الجميع وطلب إلي أن أبقى ، فسررت لإيثاره لي على جميع من كانت معي ، وتلاحق المسلمون عليه فكان كلما انصرف جماعة منهم استأذنه بالانصراف فيستبقيني ، ثم قال لي في آخر مرة هممت بالانصراف : نتخدى معاً يا أستاذ ، فازداد سروري لهذه العناية الخاصة ، وبقيت معه وتركت عملي في الحكومة ذلك النهار ، وتغدينا معاً وهو يرسل النكتة تلو النكتة ثم شربنا القهوة واستأذنته بالانصراف بعد أن شكرته بأساليب متعددة ، فوقف وقال لي : « شرفت



يا أستاذ ، أنت يا أستاذ ، هل يمكنك أن أعرف الاسم الكريم ؟ » فبهت  
وكدت أصمق ، وقلت في نفسي : يدعوني ، ويهزم علي ، ويؤثرني على جميع  
من زاره ولا يعرف من أنا ، وغالبت نفسي وقلت له ( عمر الفاخوري ) فقال :  
أهلاً وسهلاً يا أستاذ عمر ، أنا والله سعيد بلقائك ، باليتني عرفتك قبل الآن ،  
إذن لقل عتي على الزمان ، أندري لماذا احتفيت بك عن غير معرفة ؟ قلت لا ،  
قال اسمع إذن ، كنت أظن أن الله لم يخلق أتبع مني ، فلما رأيتك خاب  
والحمد لله ظني ، ووجدتك مثلي إن لم تكن أشد قبيحاً ، فكيف لا أكون  
سعيداً بلقائك ، فضحكت وضحك .

خليل مردم بك

# الاصطلاحات الفلسفية

- ٤ -

## الأصل

Origo في اللاتينية

Origine في الفرنسية

Origin في الانكليزية

الأصل أسفل الشيء ، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر اليه ولا يفتقر الى غيره ، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره ، ولا يبنى هو على غيره ، أو هو ما ثبت حكمه بنفسه وبني عليه غيره . والابتناء إما أن يكون حسيًا ، وإما أن يكون عقليًا . فالابتناء الحسي مثل ابتناء السقف على الجدار ، والابتناء العقلي مثل ابتناء الأفعال على المصادر ، والمجاز على الحقيقة ، والأحكام الجزئية على القواعد الكلية ، والمعلولات على عللها ، وما يشبه ذلك .

والأصل في اصطلاحنا عدة معان :

١ - الأصل بدء الشيء أي أول ظهوره ونشأته كما في قول ابن خلدون : « زعم أنه (الكلام على التوبندري) الفاطمي المنتظر تلييسًا على العامة هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته » (المقدمة ، ص : ٨٨) . وهذا البدء قد يكون زمانيًا ، كما في قول ابن خلدون أيضًا : « ان البدو أقدم من الحضرة ، وسابق عليه ، وان البادية أصل العمران ... ان الضروري أقدم من الحاجي والكالي وسابق عليه ، لأن الضروري أصل والكالي فرع ... وذلك يدل على أن أحوال الحضارة

ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها» . ( المقدمة ، ص : ٦٨ ) . وقد يكون مكانياً ، كما في قولنا ان نقطة الصفر تعتبر أصلاً بالنسبة الى تبدل قيم التحول ، وقد يكون مطلقاً كما في كلامنا على أصل الوجود ، أو مبدأ الوجود ، فهو لا يتضمن معنى زمانياً ، بل يشير الى ابتناء العالم كله على علة أولى قديمة .

٢ - وقد يطلق الأصل على أقدم صورة لشيء متبدل ، فيكون مبنى وأساساً لذلك الشيء ، كما في قول ( رينان ) : « يجب أن يشمل تاريخ أصول المسيحية على تاريخ العهد المظلم الذي امتد من أوائلها الى الوقت الذي أصبحت فيه حادثاً عاماً شائعاً ومعولماً لدى الجميع » ( E. Renan, Histoire des Origines du Christianisme, t. I introd. p XXX III ) . وكما في قول ( دور كهايم ) : « ان الدراسة التي شرعنا بها ضرب من اعادة النظر في مسألة أصول الأديان بشروط جديدة . لاشك اننا اذا عطينا بكلمة أصل بدءاً مطلقاً أول وجب استبعاد هذه المسألة لخلوها من أية صفة علمية ، فالمسألة المقصودة هنا هي غير هذه تماماً . اننا نريد أن نجد وسيلة لتمييز الأسباب الحاضرة دائماً ، وهي أسباب الضور الأساسية للتفكير والعمل الديني . فكلما كانت المجتمعات التي نشاهدنا أقل تعقيداً كانت ملاحظتها أسهل ، ذلك هو السبب الذي من أجله حاولنا التقرب من الأصول » : ( Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, p. 11 ) . وكما في قوله أيضاً : « أنت ترى أن لكلمة أصول عندنا معنى اضافياً ككلمة أوائل . ان هذا اللفظ لا يدل على البدء المطلق ، بل يدل على أبسط حالة اجتماعية معلومة ، لا يمكننا في الوقت الحاضر أن نرتقي الى حالة أبسط منها ، فاذا تكلمنا على الأصول أو على بدايات التاريخ أو على التفكير الديني ، فليفهم من هذه الألفاظ ما عطينا » . ( دور كهايم ، المصدر نفسه ، ص ١١ ) .

م ( ٢ ) :

٣ — الأصل هو الحالة القديمة التي تبدلت فخرج منها الشيء ، كما في قولنا : أصل المسيحية اليهودية والميلينية . وقد يطلق الأصل على مجرد الحالة القديمة كما في قولنا : الأصل في الأشياء الإيابة ، والأصل في الماء الطهارة ، والأصل في الأشياء العدم ، أي العدم فيها متقدم على الوجود .

٤ — وقد يطلق الأصل على المبدأ والقاعدة ، فإذا أطلق على المبدأ سمي أصلاً منطقيًا بخلاف الأصل الزماني والتاريخي ، وإذا أطلق على القاعدة دل على قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على جزئيات موضوعها ، ونسعى تلك الأحكام الجزئية فروعًا ، واستخراجها منها تقريبًا . وحمل المفهوم الكلي على الموضوع على وجه كلي بحيث تندرج فيه أحكام جزئياته يسمى أصلاً وقاعدة ، وحمل ذلك المفهوم على جزئي معين من جزئيات موضوعه يسمى فرعًا ومثالاً . والأصول من حيث أنها مبنى وأساس لفروعها سميت قواعد ، كما في قول الغزالي : « ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها » . ( المنقذ ، ص ٩٥ ) ، ومن حيث أنها مسالك واضحة لها سميت مناهج ، ومن حيث أنها علامات لها سميت أعلامًا . والعلوم الأصلية هي العلوم المشتملة على المبادئ والقواعد الكلية . قال ابن سينا : « وهذه ( الكلام على العلوم المتساوية النسب إلى جميع أجزاء الدهر ) منها أصول ومنها توابع وفروع ، وغرضنا هنا هو في الأصول ، وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة » ( منطق المشرقيين ، ص ٥ ) .

٥ — وقد يطلق الأصل على السبب كما في قولنا : « إن حب الذات أصل الخجل » . قال سيب أصل من جهة احتياج المسبب إليه ، وإبنتائه عليه ، والسبب المقصود أصل من جهة كونه بمنزلة العلّة الغائية ، كما في قول صاحب الرسالة الجامعة : « وأنا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على أول مبدع أبدعه وجعله أصلاً خلقه بما أفاض عليه من جوده » ( الرسالة الجامعة ، الجزء الأول ص ١٢ — ١٣ ) .



ولكن الأصل لا يطلق لغة إلا على العلة فتقول أصل هذا السرير خشب ولا تقول أصله الغابة التي صنع من أجْلِها .

٦ - وقد يطلق الأصل على الدليل بالنسبة إلى المدلول عليه كما في قولنا الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة . وقد يطلق على الراجع بالنسبة إلى المرجوح ، أو على ماهو الأولي ، كما يقال : الأصل في الإنسان العلم أي العلم أولى به من الجهل . وقد يطلق على المحتاج إليه كما في قولنا الأصل في الحيوان الغذاء . وقد يطلق على حادث كان سبباً في استئصال لفظ أو حدوث خطأ ، أو نشوء عادة ، أو اكتساب نمط من أغماط الفعل . وقد يكون الأصل مرادفاً للتكوين (راجع هذه الكلمة) . وقد يدل على الوالد بالنسبة إلى الولد ، كما في قولهم ليس له أصل ولا فصل ، فالأصل الوالد والفصل الولد ، وقيل الأصل الحسب ، والفصل اللسان ، والأصيل المتمكن في أصله .

٧ - ويستعمل الأصل في منطوق كثير من المسائل الفلسفية . من هذه المسائل :

(أ) مسألة أصل تصوراتنا أو أصل معارفنا ( *Problème de l'origine* )

( *des idées ou de l'origine de nos connaissances* ) : يطلق الأصل هنا إما على نشوء التصورات والمعارف بالنسبة إلى الفرد ، وإما على نشوئها بالنسبة إلى الإنسانية عامة ، أو يطلق في نظام أحوال النفس (على الأحكام البديهية ، والمفاهيم التي لا يمكن إرجاعها إلى الاحساس) ، أو يطلق في تقدم مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها وأصلها المنطقي (على الأسباب الفاعلة أو الظرفية المؤثرة في تكوين معارفنا) ، أو يطلق في نظرية المعرفة (على المبادئ القبلية الموجودة في الإدراك الحسي والتفكير) .

(ب) مسألة أصل الأنواع ( *Problème de l'origine des espèces* ) :

هل الأنواع الحية ثابتة على حالها لا تتغير منذ القدم ، أم هي متبدلة تنتقل من

صورة الى صورة على التعاقب ، واذا صح أنها متبدلة فما هي أسباب تبدلها وما هي مراحلها .

( ج ) مسألة أصل الحياة ( Problème de l'origine de la vie ) : هل الحياة مجرد تفاعل فيزيائي - كيميائي ، أم هي ظاهرة أصيلة دائمة ، واذا كانت ظاهرة أصيلة فكيف حدثت في الماضي على كوكب كالأرض لم يكن شتملاً على جميع الشروط اللازمة لحدوثها .

( د ) مسألة أصل اللغة ( Problème de l'origine du langage ) ، وهي مسألة عويصة : هل تولدت اللغة من وحي إلهي ، أم من غريزة أروحي طبيعي ، أم هي نتيجة نواطؤ واختراع أم نتيجة تطور تاريخي ! ( انظر كتاب رينان : Renan, origine du langage ) .

( هـ ) مسألة أصل الشر ( Problème de l'origine du mal ) ، وهي أعوص من المسألة السابقة : لماذا وجد الشر في عالم خلقه إله خير كامل . أفلا يتعارض وجود الشر ووجود الله ، ألا يبطل أيضاً وجود الخير إذا كان الله غير موجود . ينتج من هذه المسائل أن لكلمة ( أصل ) معنيين أساسيين ، فهي تطلق أولاً على الأصل المطلق ( Origine absolue ) الذي تربد الفلسفة الوضعية أن تجتنب البحث فيه ، وهي تطلق ثانياً على معنى اضافي نسبي ، أي على مجموع العوامل التي توضح نشوء الشيء : كالمواد السابقة ، أو الأسباب والظروف التي أدت الى حدوثه . وهذا المعنى الثاني لا يتعارض وشروط البحث العلمي . على أن في هذا المعنى الأخير التباساً ، لأنك اذا بحثت عن الأصل ولم تعين البدء الزماني انقلب بحثك عن التاريخ الواقعي الى البحث في تاريخ خيالي مجرد ، كببحث فلاسفة القرن الثامن عشر عن « الحالة الطبيعية » التي اعتبروها أصلاً للاجتماع الانساني ، ولأنك اذا بحثت أيضاً عن الأصل تضمن بحثك بالضرورة إشارة الى أصل واحد تفرعت عنه الأشياء ، أو إشارة الى حالة قديمة لم يكن الشيء المبحوث عن أصله

موجوداً فيها ، كببحث ( جان جاك روسو ) مثلاً عن أصل التفاوت بين الناس .  
ان العقل العلمي الفلسفي يبحث دائماً عن الوحدة ، ويريد أن يرجع الأشياء  
الى أصل واحد ، أو الى مبدأ واحد معين . وهذا أمر بعيد المنال ، لأن  
هناك في الواقع أحوالاً ثابتة دائمة لا يمكن تعيين أصل لها ، كما أن هناك  
لكل حالة حاضرة أصولاً كثيرة أثرت في تركيبها .

### الإضافة

Relatio في اللاتينية

Relation في الفرنسية

Relation في الانكليزية

الإضافة في اللغة نسبة الشيء الى الشيء مطلقاً ، وفي الاصطلاح نسبة اسم  
الى اسم جر ذلك الثاني بالأول نيابة عن حرف الجر أو مشاكلة . وقيل الإضافة  
ضم شيء الى شيء ، ومنه الإضافة في اصطلاح النحاة ، لأن الأول منضم الى  
الثاني ليكتسب منه التعريف والتخصيص .

وللاضافة عند الفلاسفة عدة معان :

١ - الإضافة هي المقولة الرابعة من مقولات أرسطو ، وهي جمع تصورين  
أو أكثر في فعل ذهني واحد كالموابة ، والمعينة ، والتعاقب ، والمطابقة ،  
والسببية ، والأبوة والبنوة وغيرها . والإضافة تلحق جميع المقولات ، وذلك  
إنها تعرض للجواهر كالأبوة والبنوة ، أو تعرض للكم كالضعف والنصف والقليل  
والكثير ، أو تعرض للكيف كالشبه والعلم والمعلوم ، أو تعرض للآئين  
كالتمكن والمكان ، أو تعرض لمتى كالمقدم والمتأخر ، أو تعرض للوضع كاليمين  
واليسار ، أو توجد في الفعل والاتصال . قال ابن رشد : « والفرق بين هذه  
الخمس ( الكلام على المقولات ) التي تنقوم بالنسبة وبين الإضافة التي أيضاً

وجودها في النسبة ان النسبة المأخوذة في الاضافة هي نسبة بين شيئين تقال ماهية كل واحد منهما بالقياس الى الثاني مثل الأبوة والبنوة . وأما النسبة المأخوذة في الأولين ومتى وسائر تلك المقولات فانما يقال ماهية أحدهما الى الثاني فقط .<sup>١٥</sup> ومثال ذلك ان الأولين كما قيل هو نسبة الجسم الى المكان ، فالمكان مأخوذ في حده الجسم ضرورة ، وليس من ضرورة حد الجسم أن يوجد في حده المكان ، ولا هو من المضاف ، فان أخذ من حيث هو متمكن لحقته الاضافة ، وصارت هذه المقولة بجهة ما داخله تحت مقوله الاضافة . وكذلك سائر مقولات النسب . . . . . وقد تلحق الاضافة سائر لواحق المقولات مثل التقابل ، والتضاد ، والعدم ، والملكية . وهي بالجملة قد تكون من المقولات الأول ومن المقولات الثاني كالإضافة التي بين الجنس والتوع . ( ابن رشد ، كتاب مابعد الطبيعة ، ص : ٨ - ٩ ) .

٢ - والإضافة هي إحدى مقولات ( كنت ) الأربع التي تتضمن نسبة العرض الى الجوهر ، ونسبة العلة الى المعلول ، ونسبة الاشتراك ( أي التأثير المتبادل بين الفاعل والمنفعل ) . وتنقسم الأحكام عند ( كنت ) من حيث الإضافة الى ثلاثة أقسام : (١) المطلقة ( Catégoriques ) وهي التي لا يتقيد الاسناد فيها بشرط أو فرض ، (٢) الشرطية المتصلة ( Hypothétiques ) كقولك : اذا كانت الجوز معتدلاً ، خرجت من البيت ، (٣) الشرطية المنفصلة ( Disjonctifs ) كقولك : اما أن يأتي ، واما ان لا يأتي .

٣ - والضافة هي نسبة بين شيئين تصور احدهما يمنع التصديق بالآخر ، ولكنه لا يمنع التفكير فيه ، وذلك لأنها يتضمنان تصور شيء ثالث يربط بينهما . قال ( هاملين Hamelin ) « كل إثبات لشيء يمنع إثبات عكسه ، وكل تصديق برأي يمنع التصديق بصدده ، ولا معنى للرأيين المتضادين إلا اذا



حال أحدهما دون الأخذ بالآخر . وهذا المبدأ الأول ' يتسم بآخر ليس أقل ضرورة منه ، وهو أنه لما كان لا معنى لأحد المتضادين إلا بالنسبة إلى الآخر وجب أن يكون المتضادان متصورين معاً لأنها جزآن لكل واحد . ولذلك يجب أن نضيف إلى المرحلتين اللتين وجدناهما في التصور الذهني مرحلة ثالثة ، وهي مرحلة التأليف ، فالرأي وضده والتأليف بينهما قانون عام ، وهو في مراحله الثلاث أبسط قانون للأشياء ونحن نطلق عليه اسم الإضافة » . ( Hamelin, Essai sur les éléments principaux de la représentation, I, § 1. )

( انظر الفرق بين هذا الرأي ورأي هيل في كلمة تضاد ) .

٤ ( الإضافة هي علاقة بين شيئين من شأن أحدهما أن يتبدل بتبدل الثاني ، كتبدل التابع بتبدل المتحول ، أو كتبدل كمية محصول الأرض بتبدل كلف الشمس ( رأي جيفونس Jevons ) . وتسمى الإضافة في هذه الحالة علاقة ، وتطلق على كل قانون يعبر عن رابطة بين شيئين أو عدة أشياء متحولة ، كما في قول كورنو : « يجب معارضة مسلمات الملاحظة بالاضافات ( أي بالعلاقات ) التي عرضتها النظرية » ( Cournot, théorie des Chances Ch. XII, p. 261 ) .

وتقسم الإضافة إلى ما يختلف فيه اسم المتضايين كالأب والابن ، وإلى ما يتوافق فيها الاسم كالأخ مع الأخ ، وإلى ما يختلف فيه بناء الاسم مع اتحاد مآمنه الاشتقاق كالعلم والمعلوم والحاس والمحسوس . وإمارة اللفظ الدالة على الإضافة التكافؤ من الجانبين ، فان الأب أب للابن ، والابن ابن للأب . ومن شرائط هذا التكافؤ أن يراعى فيه اتحاد جهة الإضافة حتى يؤخذ كله بالفعل أو كله بالقوة . ومن خواص الإضافة أنه إذا عرف أحد المتضايين محصلاً به عرف الآخر أيضاً كذلك ، فيكون وجود أحدهما مع وجود الآخر لا قبله ولا بعده . ( راجع الغزالي ، معيار العلم ، ص ٢٠٥ ) .

## الاعتقاد

Croyance في الفرنسية

Belief في الانكليزية

ولفظ ( Croyance ) الفرنسي محرف عن ( Créance ) واصله في اللاتينية ( Crēdentia ) وهو مشتق من فعل ( Credere ) اللاتيني ومعناه ( اعتقد ) .

\* \* \*

الاعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم القابل للتشكيك بخلاف اليقين .  
وقيل هو إثبات الشيء بنفسه ، وقيل هو التصور مع الحكم . والفرق بين الاعتقاد والافتناع واليقين ان الافتناع حكم ذهني جازم لا يقبل التشكيك ، وان اليقين افتناع مستند الى أسباب وحجج ثابتة . والفرق بين الاعتقاد والعلم أن العلم حكم جازم لا يقبل التشكيك كلافتناع واليقين ، في حين ان الاعتقاد يقبله . ولكن بعضهم يطلق الاعتقاد تارة على العلم وتارة على اليقين ، وتارة على التصديق مطلقاً ، ويجعله أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم ، مطابقاً أو غير مطابق ، ثابتاً أو غير ثابت . الا ان الاعتقاد بمعنى اليقين غير مشهور وبمعنى التصديق مشهور . واذا كان الاعتقاد مطابقاً للواقع كان صحيحاً ، واذا كان غير مطابق له كان فاسداً .

وللاعتقاد معنيان آخران أحدهما عام والآخر خاص . فالاعتقاد بالمعنى العام يطلق على الرأي والظن ، ويشتمل كالرأي والظن على درجات متفاوتة من الرجحان . والاعتقاد بالمعنى الخاص يطلق على الثقة برأي الشاهد أو على الركون الى قول عالم حصل التصديق بقوله لأسباب خارجية دون أي تفحص مباشر .

ويطلق الاعتقاد كما في اصطلاح ( كنت ) ومدرسته على كل تصديق تام لا يقبل التشكيك دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أو منطقية . فاما

أن يكون هذا التصديق مستنداً الى عوامل فردية أو عواطف أو مصالح عملية  
تفعية ، واما أن يكون مستنداً الى مبادئ كلية مشروعة كما في الأخلاق ،  
وعند ذلك يكون الاعتقاد فعلاً إرادياً مبنياً على عوامل مقبولة تصلح للتفاهم  
إلا انها مباينة لمفهوم الشيء المصدق به .

وقصارى القول ان الحكم يتضمن الاعتقاد ، وهو تصديق مطلق لا يشترط  
فيه أن يكون مستنداً أو غير مستند الى حجج منطقية ، فاذا استند الى هذه  
الحجج أصبح علماً لا اعتقاداً .

واذا قلنا ان الحكم فعل ارادي حر كان الاعتقاد المستقل عن العوامل المرجحة  
دالاً على حرية الاختيار ، ويسمى الاعتقاد في هذه الحالة ايماناً .

ولقد زعم الفلاسفة الاسكوتلانديون أن مبادئ المعرفة اعتقادات أو تصديقات  
فرضت بالضرورة على العقل دون أن يستطيع العقل تسويتها وتعليلها . وزعم  
(مين دوبران) ان الاعتقاد اقتناع مستقل عن التأمل والانتباه ، وانه مضاد  
للحكم ، لأنه فعل غريزي ، ولكن الاعتقاد تابع لأسباب حيوية ونفسية واجتماعية ،  
فاذا نظرت اليه من ناحية المنطق بحثت عن كونه صحيحاً أو فاسداً ، مطابقاً أو  
غير مطابق ، واذا نظرت اليه من الناحية النفسية بحثت عن الأسباب المؤثرة  
في تكوينه . وهذه الناحية النفسية أغلب على الاعتقاد من الناحية المنطقية .  
فاذا قلت ان لبعض هذه الأسباب المؤثرة قيمة كلية أصبح الاعتقاد ذا قيمة  
أخلاقية عامة ، وان كان ذاتياً شخصياً . واذا كان اليقين كما يقول (هاميلتون)  
مستنداً الى تصديقات لا يمكن البرهان عليها كان الاعتقاد أساساً لكل يقين ،  
واذا صح ان التصديق كما يقول (رينوفيه) لا يحدث بدون عوامل انفعالية  
وإرادية كان الاعتقاد ممازجاً لليقين دائماً ، وكان اليقين المحض غابة مثالية  
أو حداً نهائياً ، لا حالة واقعية .

## الاقتصاد

Economie في الفرنسية

Economy في الانكليزية

Oikonomia في اليونانية

الاقتصاد مأخوذ من القصد ، والقصد استقامة الطريق . والاقتصاد ، فيما له طرفان افراط وتفریط ، محمود على الاطلاق ، وقد يمكن به عما تردد بين المحمود والمذموم كالواقف بين الجور والعدل .

ومبدأ الاقتصاد ( Principe d'économie ) هو المبدأ القائل ان الطبيعة لا تسلك لبوغ غاياتها أعوص الطرق بل تسلك أبسطها . والمقصود من أبسط الطرق ، الطرق التي تستلزم الأقل من المواد والجهد والاختراع والمبادأة وهو مبدأ مختلف فيه لأنه خال من الضبط . ( راجع مبدأ الفعل الأقل في كلمة فعل ) . وطريقة الاقتصاد ( Méthode d'économie ) في الاستظهار هي الطريقة التي اخترعها ( اينغوس ) لحساب مدة بقاء الأثر في النفس بعد التعلم ( راجع لفظ استظهار ) .

وعلم الاقتصاد السياسي ( Economie politique ) علم يبحث في ظواهر توزيع الثروة ونتاجها واستهلاكها ، ويحاول الكشف عن قوانين هذه الظواهر . والثروة في الاصطلاح تطلق على كل ما ينفع به ، أو تطلق على كل ماله قيمة تبادل . فالعمل بهذا المعنى ثروة ، وعامل من عوامل الثروة معاً . لذلك صحيح بعضهم حدة هذا العلم بقوله انه النظر في قوانين التبادل . قال ( ج . ب . سي - J. B. Say ) : ان علم الاقتصاد السياسي هو علم قوانين انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها . وتصحيح كتب علم الاقتصاد هذا التعريف بإضافة بحث رابع الى موضوع هذا العلم ، وهو تداول الثروة . ولكن بعض العلماء يعتقد ان هذه



الاضافة زائدة ، لأن التداول حالة من حالات التوزيع . نعم ان فكرة التبادل لعبت دوراً هاماً في تطور هذا العلم ، ولكن قيمتها عند المعاصرين أقل مما هي عليه عند المتقدمين . ثم ان مفهوم الانتاج والاستهلاك يتضمنان معاني كثيرة لا علاقة لها بالاقتصاد ، كـ بعض المعاني الصناعية الداخلة في مفهوم الانتاج أو كـ بعض المعاني الفيزيولوجية أو الاتنوغرافية والاخلاقية الداخلة في مفهوم الاستهلاك . فالانتاج والاستهلاك متصلان بمفهوم التوزيع وعلاقتهما به كـ علاقة المعلول بالعللة . ومهما يكن من أمر فان لعلم الاقتصاد السيامي تعريفات كثيرة تختلف باختلاف المذاهب الاقتصادية . فهناك مدرسة تعتقد ان هذا العلم استنتاجي ، لأنه يمكن تأليف الظواهر الاقتصادية من عدد محدود من المعاني البسيطة ( من هذه المدرسة الاستنتاجية الفيزيوقراطيون الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، وريكاردو ، والمدرسة النمسية : كـ منجر - K. Menger ، وبوم بافرك - Böhm-Bawerk ، ومن هذه المدرسة أيضاً علماء أخذوا بالطريقة الرياضية في دراسة الظواهر الاقتصادية ، كـ كورنو - Cournot ، وستانلي جيفونز Stanley Jevons ، وفالراس - Walras ، وباريتو - Pareto ، وبانتاليوني - Pantaleoni ) . وهناك مدرسة تاريخية تعتقد ان هذا العلم لا يوصل فيه الى علاقات ضرورية كلية ، وانه من الخير له ان يكتب بوصف العلاقات الاقتصادية ويبيان اختلافها باختلاف الزمان والمكان ( روشر - Roscher ، وشمولر - Schmoller ) .

وأخيراً ، ان اصطلاح ( علم الاقتصاد السيامي ) اصطلاح غامض ، فقد استعمله ( انطوان دومونكريتيان - Antoine de Mont - chrétien ) لأول مرة في كتابه : ( Traité de l'économie politique ) سنة ١٦١٥ . للدلالة على فن ادارة أموال الدولة ، واستعمله كذلك ( آدم سميث ) بمعنى قريب من هذا في كتابه ( Richesse des Nations ) ، وهو من حيث الاشتقاق يدل على فن تدبير الدولة ، لأن معنى السيامي الاداري ، ومعنى الاقتصاد تدبير المنزل أو ترتيب أجزائه الكل

ترتيباً يحقق غاية مقصودة . وأول من استعمل هذا الاصطلاح للدلالة على علم نظري الفيزيوقراطيون ، ساقهم الى ذلك مذهبهم القائي ، فقالوا ان العناية أو الطبيعة ترتب ظواهر العالم الاقتصادي ترتيباً يحقق انسجام المصالح والمنافع ، وان علم الاقتصاد السياسي يدرس العلاقات السببية والضرورية التي هي في الوقت نفسه علاقات غائية . ولا يكفي لتصبح هذا الاصطلاح أن نستبدل به اصطلاحاً آخر كعلم الاقتصاد الاجتماعي ( Economie Sociale ) لأن هذا الاصطلاح يدل عند بعض الكتاب الفرنسيين على البحث في حياة العمال المادية والخلقية ، وعلى الوسائل اللازمة لتجسين شروط حياتهم . وهذا الموضوع يختلف عن موضوع علم الاقتصاد السياسي . وقد فرق ( فالراس ) بين موضوع علم الاقتصاد السياسي وموضوع علم الاقتصاد الاجتماعي فقال : ان علم الاقتصاد السياسي يبحث في قوانين الحياة الاقتصادية كما هي ، أما علم الاقتصاد الاجتماعي فيعين للنظام الاقتصادي مثلاً أعلى ويبين ما هي الوسائل المؤدية الى تحقيقه .

ومن الأصلح لنا في اللغة العربية أن نحذف كلمة ( سياسي ) من اسم هذا العلم ، وأن نسميه بعلم الاقتصاد أو العلم الاقتصادي . وليس هذا العلم في نظرنا سوى قسم من علم أعم منه ، وهو علم العلاقات الاجتماعية .

### الاكتساب

في اللاتينية Acquisitio

في الفرنسية Acquisition

في الانكليزية Acquisition

الاكتساب في اللغة العربية مرادف للكسب ، تقول اكتسب مالا أو علماً طلبه وربحه ، وكسب الشيء جمعه وكسب الاثم تجمله . ومن فرق بين الاكتساب والكسب قال الكسب ينقسم الى كسب الانسان لنفسه ، والى كسبه لغيره ، ولهذا قد يتعدى الى مفعولين فيقال : كسب فلاناً

علم أي أناله إياه . أما اكتساب الانسان فلا يكون إلا لنفسه ، فكل اكتساب كسب ولا عكس . وفرقوا أيضاً بين الاكتساب والكسب من ناحية أخرى فقالوا : ان الاكتساب يستدعي العمل والمحاولة والمعاناة ، أما الكسب فيحصل بأدنى ملاسة ولذلك خص الشر بالاكتساب ، والخير بالكسب .

ويطلق الكسب أيضاً على طريقة تحصيل المجهول من المعلوم كما في قول ابن سينا « ان من شأن النفس ادراك ماهية الكمال بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل » ( النجاة ، ص : ٤٨٢ ) .

واختلفوا في جواز الكسب بغير النظر ، فمن جوزه جعل الكسبي أعم من النظري ، ومن لم يجوزه قال النظري والكسبي متلازمان . والاكتساب علم يحصل بالكسب . وهو مباشرة الأسباب بالاختيار ، كصرف العقل والنظر في الاستدلالات ، والاصغاء ونحو ذلك في الحسيات . فالأكتسابي أعم من الاستدلالي ، لأن الاستدلالي هو الذي يحصل بالنظر في الدليل ، فكل استدلال كسبي ولا عكس .

وأما الضروري فانه اذا دلّ على ما ليس تحصيله مقدوراً لمخلوق كان مقابلاً للأكتسابي ، واذا دلّ على ما يحصل بدون نظر وفكر في دليل كان مقابلاً للاستدلالي . ولذلك جعل بعضهم العلم الحاصل بالحواس أكتسابياً أي حاصلًا بمباشرة الأسباب بالاختيار ، وبعضهم جعله ضرورياً أي حاصلًا بدون الاستدلال . وفرقوا بين الكسب والخلق فقالوا ان الكسب مختص بالانسان ، والخلق مختص بالله ، هذا اذا كان الخلق بمعنى الابداع . فالأفعال منسوبة الى الله تعالى خلقاً ، والى الانسان كسباً . لذلك قال الأشاعرة ان الكسب عبارة عن تعلق قدرة الانسان وإرادته بالفعل المقدور . قالوا ان أفعال الانسان واقعة بقدرة الله وحدها ، وليس للانسان تأثير في خلقها ، بل الله أوجد في الانسان قدرة واختياراً ، فاذا لم يكن هناك مانع أوجد الفعل المقدور للانسان مقارناً

لقدرته واختياره ، فيكون الفعل مخلوقاً لله احداثاً وابداعاً ، ومكسوباً للانسان .  
أما الجبرية فقد زعموا أن المؤثر في فعل الانسان قدرة الله ، ولا قدرة  
للانسان أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة .

وأما الماتريدية فقد أسندوا الى الانسان كسباً باثبات قدرة مرجحة ،  
وكذلك الصوفية . لكن قدرة الانسان عند الصوفية مستعارة ، وعند الماتريدية  
مستفادة .

وذهب امام الحرمين الى أن القدرة الحادثة مع الدواعي توجب الفعل ،  
فالله تعالى هو الخالق لكل بمعنى انه هو الذي وضع الأسباب المؤدية الى دخول  
هذه الأفعال في الوجود ، والانسان هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله  
القدرة والداعية القائمتان به . ان نسبة الأثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون  
ذلك الأثر منسوباً الى مؤثر آخر بعيد ثم الى أبعد الى أن ينتهي الى سبب  
الأسباب وفاعل الكل .

ولكن جمهور المعتزلة يقولون ان أفعال الانسان واقعة بقدرته وحدها  
بالاستقلال والاختيار . وان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل القدرة على  
الفعل والترك الناشئة عن الاختيار هي التي توجبه .

ويطلق الاكتساب عند بعض الفلاسفة المحدثين على طريقة تحصيل المعرفة  
وعلى طريقة تثبيت العادات . فالمعرفة عندهم تكتسب بالحواس ، والعادة تثبت  
بتصحيح الأخطاء ، وبتكرار التمارين وتفريقها . ويسمى قانون تكون العادات  
بقانون الاكتساب ، وهو مطابق لقانون الفعل الذي يمثل بمنحنى على شكل S  
( راجع الألفاظ الآتية : العادة ، الكسب ، التعلم ، المعرفة ، الكسبي ،  
والمكتسب ) .

جميل صليبا



# الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي

سيدي معالي الرئيس ، سادتي حضرات أعضاء المجمع !  
يسعدني جداً أن أحرز الشرف الرفيع بأن أحيي هذا المجمع الجليل أجل  
تحيةة . نحن مسرورون جداً إذ أتيحت لنا فرصة الاتصال بهذه المؤسسة العلمية  
التي لما أثر ظاهر في الشعب العربي وثقافته الجليلة ، ونحن نعرف أنها قد لعبت  
دوراً هاماً في انبعاث حيويته الروحية والعقلية التي صنعت أجدادكم الأديبة  
وعبقريتهم الثقافية .

وقد أسدى هذا المجمع الكريم خدمة هامة في دراسة تاريخ لغتكم وآدابكم  
وماضيكم المجيد . وقد صدق حضرة الأمير جعفر الحسني ، الذي كان في  
السنة الماضية ضيفاً في بلادنا مع وفد المجمع العلمي العربي ، لما قال في إحدى  
مقالاته الرقيقة : إنه لا يمكن عزل المستقبل عن الماضي . « فال حاضر هو امتداد  
الماضي ، كما أن المستقبل هو وليد الحاضر . وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو  
على اتصال وثيق بالحاضر . »

نحن نرى أيضاً أنه صعب علينا أن نفهم الحاضر بلا معرفة الماضي ، ولذلك  
ندأب على دراسة تاريخ بلادنا ولغتنا وآدابنا . وقد اتضح لنا في مجرى هذه  
الدراسات أن معرفتنا للماضي لن تتم وتكتمل إن لم نطلع على ما انطوت عليه  
من أخبار بلادنا خزائن الكتب بلغات مختلفة وخصوصاً باللغة العربية .  
ونظراً لذلك نحن ندرس تاريخ العرب وآدابهم ولا سيما اللغة العربية ، هذه  
اللغة الواسعة القوية التي كانت يوماً تعلم أوربا ، والتي هي جذيرة بأن تكون في  
الوقت الحاضر إحدى اللغات العالمية الكبرى في الحضارة الراهنة .

إن لدراسة اللغة العربية والحضارة العربية تقاليد قديمة في بلادنا . فثمة عدد كبير من شعوب بلادنا مثل شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ربطتها بالشعوب العربية منذ العصور القديمة روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وقد بقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات وغير ذلك من الآثار الثقافية ، لا بلغات بلادنا فحسب ، بل كذلك باللغة العربية .

وأقدم هذه الآثار يعود إلى القرن الأول الهجري ، فمنها مثلاً رسالة على الرق أرسلها صاحب صغد في طاجيكستان ديواشتي إلى القائد العربي الكبير الأمير الجراح بن عبد الله سنة ٩٩ - ١٠٠ للهجرة ، أو مثلاً نقش عربي عثر عليه منذ أمد قريب على مقربة من تبليسي على حجر من أحجار الأميال يعود إلى القرن الأول الهجري ، وقد كتب على الحجر ( بسم الله الرحمن الرحيم ، ثلاثة أميال من تفليس ) . هذا فضلاً عن الآثار الكثيرة العائدة إلى مرحلة زمنية أقرب إلينا .

إن كثيرين من ممثلي شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ساهموا في القرون الوسطى مساهمة كبيرة في إنشاء الحضارة العربية والحضارة الإسلامية ، القائمة على اللغة العربية . ومن هؤلاء مفكرون كبار كالموارزمي والبيروني وابن سينا لا تفخر بهم الشعوب التي أنجبتهم وحسب ، بل تفخر بهم البشرية التقدمية كلها . وقد بقيت التقاليد العربية في بلادنا حتى الآونة الأخيرة ، فقد كانت العربية اللغة الأدبية الوحيدة في شمال القفقاس طيلة فترة طويلة . لقد نشأت في شمال القفقاس تقاليد أدبية وآثار أدبية خاصة هي فرع من الآداب العربية فريدة في بابها .

ولا غرو أن يُظهر العلماء في بلادنا منذ الزمن القديم اهتماماً خاصاً بدراسة هذه الآثار .

ففي أول القرن الثامن عشر ( إذا ضربنا صفحاً عن المحاولات التي جرت قبل

هذا التاريخ في هذا الاتجاه) ابدأ تدريس اللغة العربية في موسكو من قبل المستشرق ع. يا. كير المعروف في زمنه. وفي أواسط القرن الثامن عشر طبع القرآن في بطرسبرغ بحروف جرى صياها على أساس كتابة خطاط من كبار الخطاطين المسلمين في ذلك العهد، وغدت فيما بعد أساساً لنماذج طبعات القرآن في قازان، النماذج التي انتشرت سواء في روسيا أو في الغرب، والتي شرع المسلمون في البلدان الأخرى بقلدها في البدء في القرم وتركيا، ومن ثم في مصر والمند. وبعد هزيمة من الزمن شغلت اللغة العربية المكان اللائق بها في برامج الدراسات الشرقية في مختلف معاهد روسية ومدارسها.

وبعد صدور «النظام الجامعي» سنة ١٨٠٤ نشأت في خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبرغ وغيرها من المدن مراكز للدراسات الشرقية، وجهت للغة العربية انتباهاً كبيراً. ونشأ بعد ذلك القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ ومعهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وغيرهما من المدارس، التي لعبت دوراً كبيراً في تطور الدراسات العربية الروسية والعالمية.

وبعرف عالم العلم أسماء العلماء الكبار: دورن وبولديريف وفريهن وغيرهم وروزين وقوقوفسوف وميدنيكوف وكريمسكي وكراشكوفسكي وغيرهم. وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى استمر العمل بدأب في المراكز القديمة: لينغراد وموسكو، ونشأت عدا ذلك مراكز جديدة. لقد نشأت في لينغراد مدرسة جديدة للمستعربين، على رأسها علامة بلادنا الكبير، وأحد كبار المستعربين في العصر الراهن، عضو المجمع العلمي العربي، الأكاديمي إغناطيوس كراشكوفسكي، الذي كان، يوماً مشهوراً في الشرق العربي بأهم غنطوس الرومي. وواصل العمل النشط في موسكو العضو المراسل في المجمع العلمي العربي البروفيسور يارتيلش والبروفيسور خ. ق. باراتف والبروفيسور إي. ١٠. يلايف والبروفيسور ب. م. غرانده والمدرسة المساعدة كثوم نصر عوده وأميليفا (وهي عرقية من الناصرة) وغيرهم.

وقد ترأس الدراسات العربية في كيبف الاكاديمي اغافانجيل كريمسكي الذي اشتهر بمعرفة الشرق والأدب العربي، ومعاونته توفيق بن جبرائيل كزما ( وهو عربي أيضاً من دمشق ) .

ويعمل في خاركوف نيليز البروفيسور كريمسكي آ . ب كوفاليفسكي . وفي طشكند البروفيسور ا . اي شميدت الذي اشتهر بمؤلفاته في ميدان تاريخ الاسلام والفقه ، و ا . ا . سيميونوف مشهور بعميق معرفته لآسيا الوسطى وم . ا . ساليه مترجم « الف ليلة وليلة » الى اللغة الروسية وغيرهم .

وأسس تلاميذ الاكاديمي كراشكوفسكي مدرستهم للدراسات العربية في تبليسي ( في جورجيا ) .

وقد قام المستعربون السوفياتيون بعمل كبير في دراسة اللغة العربية . يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب المدرسية التي أصدروها في الآونة الأخيرة . ومن أروع ما وضع في هذا الحقل كتاب قواعد اللغة العربية الفصحى للبروفيسور ن . ف . بوشمانوف . ويشغل هذا الكتاب من حيث تفرد ودقته مكاناً مرموقاً بين الكتب المدرسية العربية ، وكتاب في نحو اللغة العربية الأدبية الحديثة للبروفيسور ن . ف . سيميونوف ، ومختارات في اللغة العامية السورية للبروفيسور سيميونوف أيضاً .

وخلق بنا أن نؤبّه بأول مختارات الادب العربي الحديث التي أصدرتها ك . ف . عوده فاسيليفا بمقدمة الاكاديمي كراشكوفسكي ، والتي ترجمت إلى عدد من لغات الغرب . واستخدمت المختارات نفسها بصفة كتاب مدرسي في المراكز العلمية كلندن ونيويورك وبرلين وأوبسالا وهامبورغ والجزائر .

ووضع البروفيسور خ . ق . بارانوف قاموساً عربياً روسياً جمع لأول مرة مفردات اللغة العربية الأدبية الحديثة بصورة وافية . ولم يصدر في الغرب قاموس من هذا النوع إلا منذ أمد قريب جداً وهو قاموس لمانس فهر العربي الألماني .



أما البروفيسور و . م . غرانده في موسكو فقد أصدر كتاباً عرض فيه مجموعة نماذج لصيغ الأفعال .

وفي المختارات العربية لليف ز . يساريفسكي ( لينغراد ) عرضت نصوص من « ألف ليلة وليلة » ، وكذلك من الكتب التاريخية .

وقد أصدر توفيق جبرائيل كزما في كيف قواعد اللغة العربية الفصحى بصورة بسيطة .

وقد صدرت في تبيليسي مجموعة منتخبات أدبية عربية ، تتضمن جزئياً بعض نصوص عربية لم تكن قد نشرت قبل ذلك ، أو نصوصاً مستقاة من المخطوطات العربية مثل « أخبار بلاد الكرج » لمكاربوس البطريك الانطاكي ومؤرخ مدينة ميافارقين ابن الأزرق الفارقي وغيرهما من الكتاب .

وصدر عدا ذلك أول قاموس عربي - جورجي ، يتضمن فيما يتضمن بعض مفردات نادرة وغير واردة في قواميس عربية أخرى .

وقد نشر مدرس اللغة العربية في الجامعة التبليسية ا . س . ليقياشوبلي كتاب نماذج لأشكال صيغ الأفعال في اللغة الأدبية العربية ، عرض فيها جميع صيغ تصريف الأفعال على اختلافها في اللغة العربية الفصحى . وهذه المجموعة تفوق من حيث الحجم جميع ما سبق أن نشر في هذا الموضوع من قبل .

وقد وضع المستعربون السوفييتيون في باكو وتشكند وقازان وغيرها من المدن كتباً مدرسية وأدوات تعليمية كي يوفرها للطلاب المستشرقين المواد اللازمة . ولكن المستعربين السوفييتيين لم يقتصروا على إعداد الكتب التعليمية ، بل وجهوا الانتباه اللازم لدراسة المسائل الهامة في تاريخ بلاد العرب واللغة العربية وآثار الحضارة المادية ، وقد ترأس الأكاديمي كراتشكوفسكي في الاتحاد السوفييتي المباحث العلمية في ميدان الدراسة العربية . وخلف نحو خمسمائة من المباحث الكبيرة والصغيرة تتناول في معظمها دراسة اللغة العربية والحضارة العربية .

ومن هذه المباحث عدد من الدراسات ذات الأهمية اشتهرت في العالم ، منها مثلاً دراسة ديوان شعر أبي الفرج محمد بن احمد القسائي الملقب بالوأواء الدمشقي الذي حققه وأعاد طبعه عضو النجمع العلمي العربي الدكتور سامي الدعاه ، ويعرف الجميع دراسات الأستاذ كراتشكوفسكي للشاعرين العريين النابغين : أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري . ولا بد لنا من أن نؤبّه بنشره مقدمة رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وترجمتها ومبحثها ، وبإصدار نص كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز ، ويميّحه عن العالم المصري الذي كان يدرس اللغة العربية في جامعة بطرسبرغ الشيخ محمد عياد الطنطاوي وغيرهم .

ويعرف الحضور مباحث كراتشكوفسكي هذه ، كمباحثه الكثيرة الأخرى . ولكن ترك كراتشكوفسكي بعد موته عدداً من المباحث الهامة لم تطبع بعد ، وما تزال محفوظة بين مخطوطاته . ويشغل بينها مكاناً مرموقاً بحث دام يتناول المؤلفات الجغرافية العربية .

وقد أبدى الأستاذ كراتشكوفسكي الاهتمام الكبير بمؤلفات العرب الجغرافية منذ بدأ نشاطه العلمي ، ففي سنة ١٩٠٩ أثناء جولته العلمية في الشرق العربي سمع في جامعة القاهرة محاضرات ألقاها ، باللغة العربية ، في تاريخ علم الفلك العربي ، الاختصاصي الكبير في حقل علم الفلك وجغرافية العرب الرياضية ، العالم الايطالي المشهور ك . نالينو ( C. Nallino ) الذي استفاد المؤلف ، على نطاق واسع ، من دراسته في مبحثه هذا .

وبعد ذلك شرع كراتشكوفسكي إثر عودته إلى بطرسبرغ يلقي المحاضرات في القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ في مختلف مسائل اللغة العربية والحضارة العربية . وقد قرأ كراتشكوفسكي خلال سنوات ١٩١٠ - ١٩١٢ في جامعة بطرسبرغ محاضرات ، شغل بينها مكاناً مرموقاً « استعراض المؤلفات الجغرافية مع قراءة

مختارات» . وقد جدد فيما بعد في سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ الأكاديمية تحت اسم «المؤلفات التاريخية الجغرافية العربية»

وعند قراءة هذه المحاضرات استُخدمت للمطالعة أشهر المؤلفات العربية الجغرافية التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وكان المؤلف يقدم مع الطلاب بترجمة مختارات من النصوص العربية الى اللغة الروسية بقصد دراستها . وقد ضم العالم هذه النماذج من المؤلفات الجغرافية العربية إلى بحثه لوصف أسلوب وطريقة عرض هذا المؤلف أو ذاك .

وقد نما هذا البحث من المحاضرات التي ألقاها الأكاديمي كراتشكوفسكي عن مؤلفات العرب الجغرافية . وفي غضون أربعين سنة ونيف كان هذا البحث يكتمل ويتم تبعاً لظهور معلومات ومكتشفات جديدة ، للمؤلف نفسه في ظهورها أياً بيضاء .

وكان كراتشكوفسكي ينوي أن يتم استعراض المؤلفات الجغرافية حتى أيامنا ، ولكن الموت لم يتح له تحقيق نيته ، وقد وفق الى عرض المؤلفات الجغرافية العربية حتى القرن التاسع عشر فقط .

ومن المعروف أنه قد كرس لمؤلفات العرب الجغرافية عدد كبير من الاستعراضات العامة والدراسات الخاصة ، ابتداءً من بحث رينو (Renaud) الكلاسيكي . وخلال عقود السنين الأخيرة اكتسب هذا العمل نطاقاً واسعاً ، واغتنى جداً بفضل المباحث الرائعة التي وضعها بارتولد (Barthold) ومينورسكي (Minorsky) وكراميرس (Kramers) وروسكا (Ruska) وفيران (Ferrand) وغيرهم من كبار الاختصاصيين في جغرافية العرب التاريخية .

ولكن مبحث الأستاذ كراتشكوفسكي الذي يعد للطبع يشغل مكاناً خاصاً بين جميع هذه المباحث .

يعرف كراتشكوفسكي في عالم العلم بوصفه عالماً من المستعربين واسع الأفق

جداً . كان مهم كل الاهتمام بوقائع إبداع العرب الثقافي ، الكبيرة منها والصغيرة ، ابتداءً من روائع المتنبي وأبي العلاء المبري ، وانتهاءً بالحكايات البسيطة من الناصرة ، وكان يعتقد أن ثقافة الشعب تتألف من جميع هذه العناصر ، وأن دراسة هذه الثقافة كما ينبغي ، تقتضي تحديد مكان كل ظاهرة في التطور العام وإقامة التسلسل بينها .

وكان كراتشكوفسكي يعتبر المؤلفات الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من الآداب العربية بوجه عام ، كما كان يعتقد أن فهمها على الوجه اللازم يتطلب النظر إليها من وجهة نظر تاريخ الآداب ، والحضارة العربية بمجموعها . وقد أشار في مجتهده إلى أن طريقته الأساسية هي طريقة دراسة الأدب ، وأنه لا يضع نصب عينيه مهمة إعطاء تاريخ علم الجغرافيا عند العرب أو المكتشفات الجغرافية ، وهو يوجه ذات الاهتمام للمؤلفات العلمية والشعبية التي تمت للجغرافيا بأية صلة بما في ذلك الأقاليم والرحلات التي تحمل الطابع الأدبي أو الأسطوري الصرف .

وبالرغم من ذلك يتفق له طبعاً أن يتناول تاريخ علم الجغرافيا ومكتشفات العرب الجغرافية ، وقد أعطى في مجتهده صورة واضحة عن هذا النوع من فروع العلم عند العرب وعن دهرهم البارز في تطور علم الجغرافيا .

وقد بين المؤلف ذلك بجملة مستشهداً بالخوارزمي وألخ بك والبيروني وربان فاسكو داجاما أحمد بن الماجد ، الذي اكتشف كراتشكوفسكي نفسه نسخ مؤلفاته الثلاثة في معهد الاستشراق ، وبكثيرين غيرهم من ممثلي علم الجغرافيا .

لقد عرض كراتشكوفسكي المؤلفات الجغرافية العربية عرضاً منتظماً ، ابتداءً من ظهور التطورات الجغرافية الأولى عند العرب ، هذه التطورات التي نجد ما يشير إليها في الآثار القديمة وفي القرآن . واستناداً على المصادر الأولى ، وعلى كل ما توصل إليه العلم الحديث ، يتتبع المؤلف ظهور الجغرافيا عند العرب ، ويتتبع صلاتها بالعالم اليوناني والهندي ، ويجري تشوئ مختلف فروع العلم الجغرافي ،



( الجغرافيا الوصفية والرحلات والخطط والجغرافية البحرية والجغرافية العامة والجغرافية الإقليمية الخ ) ومراكزها ومدارسها العلمية واتجاهاتها ومختلف ألوانها .

هذا ويعطي المؤلف وصفاً لمعظم المؤلفين الأساسيين والنمذجيين من مثلي جميع ألوان التأليف الجغرافية العربية واتجاهاتها ، مع تبيان صلاتهم بعضهم ببعض وتأثيرهم بعضهم على بعض . وبنتيجة التحليل المفصل لعدد كبير من المؤلفين يزيد على مائتين وستين بقرر كراتشكوفسكي مبلغ صحة المعلومات التي يذكرها المؤلفون وأهميتها باعتبارها مصادر لدراسة الجغرافية التاريخية للبلدان التي تحدثوا عنها .

ويتضمن البحث إلى جانب ذلك قائمة وافية تقريباً بالكتب المتعلقة بالموضوع ، ابتداءً من القرون الوسطى حتى أيامنا ، مع انتقاد النصوص المنشورة والدراسات الخاصة المكرمة لهذا الأمر . ويحمل هذا الطابع الفصلان ( ١٦ و ٣١ ) المكرسان للمؤلفات الجغرافية الفارسية والتركية التي جرى عرضها بمقدار صلاتها بالتقاليد العربية .

إن هذا البحث الذي أتمه كراتشكوفسكي قبيل انتهاء نشاطه العلمي ، والذي يضم هذه الوفرة من المواد ، سواء فيما يتعلق بالمصادر الأولى أو الدراسات العلمية الموضوعية عنها ، لا يوجد في جميع الدراسات العربية نظير له ، ونحن نأمل أن يصبح نموذجاً لمباحث كثيرة في نواحي تاريخ الأدب العربي الأخرى .

إن الاستنتاجات الأساسية التي تستخلص من دراسة البحث بانتباه هي التالية :

الأول : لقد دقق المؤلف كما لم يوفق أحد من قبل وأثبت بوضوح استناداً إلى كمية كبيرة من المستندات ، الأمر الذي هو معروف للجميع ، مبلغ أهمية الحضارة العربية في التاريخ العالمي ويبرهن أن العلم الجغرافي العربي يشغل في هذا الميدان مكاناً من أمكنة الصدارة .

الثاني - لقد دقق ويبرهن المؤلف بوضوح أنه قد ساهم مساهمة نشيطة في إنشاء هذه الحضارة ، عدا العرب ، ممثلو العالم الثقافي في آسيا الوسطى والقفقاس وإيران

وثر كية وعدد من البلدان الأخرى التي أنجبت عدداً من موصلي تقاليد العلم الجغرافي العربي المجيدة .

والاستنتاج الثالث — هو استنتاج منهجي ، فدراسة جميع آثار التأليف الجغرافية العربية الأساسية دراسة مفصلة تظهر أن الباحث المدقق يستطيع أن يجد حتى في الوصف الخيالي لمختلف البلدان والمدن وحتى فيما يسمى بالعجائب ، ما قد يطابق الحقيقة لهذا الحد أو ذاك ويمكن أن يكون ذا نفع في دراسة مسائل الجغرافية التاريخية ومسائل علم الآثار وعلم عادات الشعوب وغيرها من العلوم . ولكن أهمية بحث كراتشكوفسكي تتعدى ذلك ، فقد طُرقت فيه قضايا كثيرة تتطلب من علمنا الحل العاجل ، واعتقد أن صدوره سيكون حافزاً لظهور مباحث عديدة تجميل من بحث كراتشكوفسكي نقطة الانطلاق . وعمما قريب ستصدر أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي بحث كراتشكوفسكي هذا ، فيجد الباحثون الامكانية التامة لتقويم أهميته للعلم .

ومن الآثار الأخرى التي تركها الأكاديمي كراتشكوفسكي والتي تجذب الاهتمام الكبير ترجمة روسية موجودة بين مخطوطاته لمؤلف عبد الله بن المعتز : « كتاب البديع » أحد أكبر المصادر لدراسة تاريخ علم البلاغة العربي . وحري بنا أن نذكر أيضاً ترجمة كراتشكوفسكي للقرآن وأهميتها من وجهة نظر العلم لفهم كتاب المسلمين المقدس .

لقد وضع معاونو كراتشكوفسكي وتلاميذه وكذلك المستعربون السوفياتيون الآخرون ، عدداً كبيراً من المباحث والمقالات في دراسة تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وتاريخ اللهجات الدارجة ومختلف الألفاظ العربية .

ولقد وجد تاريخ الاسلام والخلافة في بلادنا باحثين جدداً تابعوا ذلك العمل الذي قام به بتجاح كبير في حينه مؤرخ الشرق الكبير الأستاذ ف . ف . بارتولد : . إن مؤرخنا م . ن . تيخومиров قد أعار انتباهاً كبيراً الى المصادر

الشرقية ، ومنها العربية ، في مؤلفه « مصادر تاريخ الاتحاد السوفياتي » ، وقد صدر منذ أمد قريب. مبحث البروفيسور ن . ا . ميمونوف عنوانه : « حول الأبحاث المتعلقة بالاسلام في الاتحاد السوفياتي » ، وبمطينا هذا المبحث صورة واضحة عن العمل الذي تم عندنا في هذا الحقل ، من العصور السالفة إلى أيامنا .

وقد كرست البروفيسور ن . ف . يفوليافسكايا جملة من المباحث الهامة لتاريخ العرب مباشرة قبل ظهور الاسلام ، مستندة على المصادر السريانية . وتتناول مباحث البروفيسور ي . ا . يليايف تاريخ صدر الاسلام ومسائل علاقات الخيفية ومصلحة من اليامة بالاسلام .

وقد تناول البروفيسور يا كوفوفسكي والبروفيسور شميدت وعدد آخر من العلماء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلافة ، وأعاروا انتباهاً خاصاً لكتاب « الخراج » لأبي يوسف يعقوب ، وهو أحد المصادر الكبرى لدراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد العربية في القرون الوسطى .

ويمجدد بنا أن نشير إلى مباحث علمائنا المتعلقة بالمصادر العربية المتصلة بتاريخ أوروبا الشرقية وجنوب روسيا والقفقاس وآسيا الوسطى .

وقد تناول الأكاديمي آ . غوردليفسكي في مؤلفه الكبير « تاريخ الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى » ( موسكو ١٩٤١ ) المصادر العربية بالتفصيل ، ولا سيما معلومات السائح العربي المشهور ابن بطوطة .

إن لنشر المواد المتعلقة بتاريخ التركانيين وتركمانستان بما فيها المواد العربية ، مرفقة بمقالة ف . اي . يليايف عن تطور تاريخ علم الجغرافية العربية ، أهمية كبرى ، لا من وجهة نظر دراسة تاريخ تركمانستان وحسب ، بل كذلك من وجهة النظر المنهاجية .

وقد أصدر كوفاليفسكي ترجمة جديدة لرسالة أحمد بن فضلان عن سياحته إلى بلغار الفولغا . وقد وضع الترجمة على أساس مخطوطة مشهورة ؛

ويجري الآن إعداد طبعة جديدة تضاف إليها الشروح المطولة والدراسة العامة ، وسيكون صدورها مفيداً جداً لبحث هذا الأثر النفيس من التأليفات الجغرافية العربية .

لقد نشر تلميذ ف . ف . بارتولد اي . اي . ادمياكوف جملة من المقالات القيمة عن خارطة العالم لمحمود الكاشغاري وعن الخزر والأتراك ، على أساس معلومات الجغرافي إسحاق بن الحسين وغيره من المؤلفين .

وللمباحث التي وضعها البروفيسور آ . يو . ياكوبوفسكي وب . ن . زاخودير عن الروس على أساس معلومات المصادر العربية أثر ظاهر في هذا الحقل . وقد وجه علماؤنا انتباهاً كبيراً أيضاً لتاريخ البلدان العربية الحديث ، فقد خصص لبلدان الشرق العربية مكان هام في المؤلف الكبير المطبوع في موسكو سنة ١٩٥٣ بعنوان « التاريخ الحديث لبلدان الشرق الأجنبي » .

وعدا ذلك فقد تناول البروفيسور ب . ف . لوتسكي وم . ف . تشوراخوف وغيرهما من العلماء جملة من المباحث في التاريخ الحديث لمصر وسورية ولبنان وأفطار الشرق العربي الأخرى .

وقد نشرت نخ . اي . كيلبيرغ مبحثاً عن ثورة عرابي باشا في مصر . ولها أيضاً ترجمة بمقدمة نخ . ف . بارانوف لمؤلف أمين سعيد المعروف : « الثورة العربية الكبرى » .

ونشرت ل . ن . فاطوطينا مبحثاً بعنوان « مصر المعاصرة » ، وجملة من المقالات الأخرى تناولت فيها تاريخ البلدان العربية المعاصر .

ويوجه المستعربون الشباب في موسكو وليننغراد وتبيليسي وغيرها من مراكز بلادنا انتباهاً خاصاً لتاريخ بلدان الشرق العربي المعاصر .

وتدرس دراسة خاصة عندنا المصادر العربية الموضوعة في شمال القفقاس ، وفي الآونة الأخيرة قام - اي . يو . كراشوفسكي و آ . ث . غينكو



وبارابانوف وت . مارغويلاشوبلي وغيرهم من علماء بلادنا بنشر عدد كبير من هذه الآثار وترجمته ومجته . وقد وجه العلماء في بلادنا مثل هذا الانتباه للنواحي التاريخية المساعدة . ويجدر بنا أن نشير بهذا الصدد إلى جملة من المباحث الكبيرة وإلى العدد الكبير من المقالات التي كتبها زوجة الأكاديمي إي . كراشفوفسكي البروفيسور فيرا أليكساندروفا كراشفوفسكي في حقل علم الخطوط والكتابات العربية وكذلك في حقل الفن الإسلامي ، فابتداءً من سنة ١٩٤٧ بإدارتها نشر مجلة خاصة «خطوط الشرق وكتابه» . تنشر فيها كثير من الكتابات والنقوش العربية التي عثر عليها في شتى أنحاء الاتحاد السوفياتي .

وفي الآونة الأخيرة نشر ر . ر . فاسمير وآ . آ . بيكوف وغيرهما من العلماء كثيراً من النقود عليها كتابات عربية .

وقد اكتشفت في دمانيس (قرب تبيليسي) نقود عليها نقش عربي ، مكن من اكتشاف دار جديدة لضرب السكة في دمانيس ، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد كانت مجهولة سابقاً .

وقد نشر ف . إي . يليايف مقالاً كبير الأهمية بصدد مجموعة أوراق البردي العربية في الاتحاد السوفياتي ، التي تجد بينها وثائق تعود إلى القرن الأول الهجري .

ومن الأحداث الهامة في تاريخ الدراسات العربية ميث أصدره في طشقند البروفيسور آ . آ . سيمونوف ، ووصف فيه مجموعة المخطوطات الشرقية المحفوظة في أكاديمية علوم جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية (وقد صدر المجلد الأول سنة ١٩٥٣ وصدر المجلد الثاني سنة ١٩٥٤) .

وقد وضع العلماء السوفياتيون جملة من المباحث القيمة في تاريخ العلوم ، وحسبنا أن نشير إلى المجموعة المكرمة لمفكر من كبار المفكرين في القرون الوسطى : أبي الريحان البيروني ، وإلى ترجمة مبحثه المشهور «كتاب الجماهر في معرفة الجواهر» ، فقد ترجمه إلى اللغة الروسية آ . م . ييلينيتسكي وليلين .

وخلق بنا أن نشير إلى أول ترجمة روسية لسفر وضعه مفكراً آخر من كبار مفكري الشرق هو أبو علي بن سينا : « القانون في الطب » ، وتصدرها الآن أكاديمية العلوم في ازبيكيستان باشتراك المترجم م . آ . صاليه الذي اشتهر بترجمته « ألف ليلة وليلة » إلى اللغة الروسية .

تشغل بلادنا في حقل دراسة الأدب العربي مركزاً مرموقاً ، وذلك بفضل المباحث التي وضعها البروفيسور اي . كراتشوفسكي . وفي سنة ١٩٤٩ أصدر البروفيسور اي . فينيكوف كتاباً بعنوان « ايغناطي يوليانوفتش كراتشوفسكي » ذكر فيه جميع مباحث هذا العالم ؛ ولذلك لن أطيل الكلام عن هذه المباحث ، وحسي أن أقول إن الأستاذ كراتشوفسكي هو الأول بين العلماء الغربيين الذي بدأ دراسة الآداب العربية الحديثة بصورة منتظمة .

ولقد كتب أي . كراتشوفسكي سنة ١٩٢٣ في مقال من مقالاته : « إن الماضي المجيد قد حجب العرب عن أنظار الأوربيين ، فهم يقرنون باسمهم دون تردد القرآن وألف ليلة وليلة ، ولكن في ما يخص الحاضر تنصب جملة من الصور الشاحبة الخيالية الغامضة ... »

« ووراء هذه الصور متجيب تماماً حقيقة الواقع . فلا يزال مجهولاً وجود صحافة دورية غزيرة تصدر في أربع أو حتى في خمس من قارات العالم ، ووجود عدد من الأحزاب الاجتماعية والسياسية تختلف اتجاهاتها الفكرية كل الاختلاف . وتبقى البلدان العربية حتى في الوقت الحاضر عاملاً اقتصادياً كبيراً ، حلقة من الحلقات الضرورية في التداول العالمي مع شواطئ البحر الأبيض المتوسط . والعرب أنفسهم بالمعنى البشري العام أرقى شعوب الشرق الأدنى ثقافة وزعيم العالم الاسلامي كما كانوا زعيمه في القرون الوسطى . وهم في الوقت نفسه طليعة التأثير الأوربي . ولقد نشأ عن هذا اللقاء بين الغرب والشرق تشابكات خارقة . ومن جميع وجوه الحضارة الراحنة يمكننا أن نجد أوضح موضوع للدراسة ، الأدب الذي يحدد تاريخ انبعائه ، يسر كبير ، بأوائل القرن الثامن عشر » .

وقد بذل أي . كراتشكوفسكي نفسه جهوداً كبيرة لبحث هذا الأدب الذي كان يتطور خلال عقود السنوات الأخيرة ، في الاتجاه الذي تحدث عنه الأستاذ المرحوم منذ أوائل قرنتا .

وقد وجه مثل هذا الانتباه الكبير لدراسة مسائل الأدب العربي : حديثه وقديمه ، عالم آخر من علماء بلادنا ، هو الأكاديمي كريمسكي الذي وضع كتاباً في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وقد أخرجت الحرب صدوره . وقد وجه عدد آخر من علماء بلادنا انتباهاً كبيراً ، وأظهروا اهتماماً بالأدب القديم ، والأدب العربي في الأندلس ، وكذلك بالأدب العربي في شمال القفقاس ، والأدب العربي المعاصر .

ويستحق الذكر بهذا الصدد المبحث الذي وضعه البروفيسور برتيلس عن الشعر العربي للفضولي ، وكذلك مبحث د . ف . سيميونوف للمكرس لتحليل الرواية الحديثة للكاتب المصري إبراهيم المازني والمباحث الأخرى .

ويوجه اللغويون السوفييتيون انتباهاً خاصاً للغة العربية وبنائها وتاريخها وتطورها . ولا بد من إشارة خاصة إلى مباحث المرحوم ن . ف . بوشمانوف الذي كان كبعض العلماء العرب ، يعتبر أن الجذور العربية كانت في الأصل تتركب في معظمها من حرفين ، أما الحرف الثالث أو الرابع في الأصول الثلاثية والزباعية فهو عنصر زائد في اشتقاقه ، وكان يستعمل للإشارة إلى نوع الأشياء كحرف الراء للإشارة إلى أقسام الجسد ( مثلاً في الكلمات ظهر وصدر وشعر وغيرها ) أو حرف الباء للإشارة إلى نوع الحيوانات كما في الكلمات : ذئب وعقرب وثعلب وأرنب الخ ) .

وقد كرس آ . س . ليقياشويلي ، وهو لغوي من تبليسي ، جملة من المباحث تناول فيها قضايا بناء الجذور العربية ، وهو يعتبر كذلك أن أغلب الكلمات ترجع في اشتقاقها إلى جذور ذات حرفين ، وأن الكلمات العربية حركية من

جذر ذي حرفين ومن ثالث إضافي ينشأ على الصعيد اللفظي ، أو لتحديد الأصول أو هو باقية من كلمة أخرى مستقلة .

وقد اتفق المستعربون في بلادنا في بحثهم هذا الموضوع مع ما توصل إليه بعض علماء العرب الذين يثبتون أيضاً فضل الثنائية على المعجمية وتفوقها على نظرية « الثلاثية » (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ص ٧٧٠ - ٨٨ ، ١٩٥٣ - ١٩٥٤) .

وقد وجه اللغويان س . س . ميزل و ف . ب ستاربنين ( موسكو ) بحثهما إلى قضايا قلب الحروف أي تأخيرها وتقديرها في العربية ودورها في تكوين الأصول . وقد أعد العالم اللغوي فرادي المرحوم يا . س . فيلنشتيخ قاموساً عربياً روسياً كبيراً لل لهجة سورية ، يشتمل على مواد وافية من المخطوطات والمطبوعات .

وقد توصل العلماء السوفياتيون بنتيجة دراستهم لل لهجات العربية إلى اكتشاف لهجات عربية جديدة وبحثها في آسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقاً .

ويعيش في الوقت الحاضر في مقاطعتي ينخاري وقاشقاداريا في آسيا الوسطى أكثر من خمسة آلاف عربي يتكلمون العربية . ولا نستطيع أن نجزم بما إذا كان هؤلاء العرب أحفاداً لأولئك العرب الذين تغلبوا في آسيا الوسطى تحت أوبة الإسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، أو أنهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الرابع عشر بعد أن تقام قيصورلنك من سورية والعراق إلى هذه الأقطار . ولكن مما بكن من أمر فإن كون بعض عرب آسيا الوسطى ظلوا محنفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون منذ نزوحهم إلى هذه البلاد ، هو واقع ذو أهمية كبيرة جداً .

وقد دلت البحوث على أن اللغة العربية المستعملة في آسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كاللأطية ، وتشغل مكاناً خاصاً بين اللهجات الأخرى ، على الرغم من أنها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الأخرى باللهجات البدر في أواسط شبه الجزيرة العربية .



وقد ثبت عدا ذلك بنتائج الدراسات أنه توجد في آسيا الوسطى في الوقت الحاضر على الأقل لهجتان مستقلتان تختلف إحداهما عن الأخرى اختلافاً يبيّن بحث لا يفهم عرب بخارى وقاشقاداريا بعضهم بعضاً .

وقد وقعنا في مجرى دراستنا للعربية في آسيا الوسطى على شيء أعجبنا غاية الإعجاب ، وهو أننا وجدنا اسم بطلة القصيدة الجورجية المعروفة التي وضعها الشاعر الجورجي الكبير شوتا روستاويلي محفوظاً بين القبائل العربية في آسيا الوسطى ، فقد وضع شوتا روستاويلي في القرن الثاني عشر قصيدة كبيرة في نحو من ستة آلاف وستمائة وثمانين بيتاً أطلق عليها اسم « ذوبدة النمر » أي « فارس سيف يردة النمر » ، وقد أطلق الشاعر على إحدى بطلات قصيدته اسم « نيستان داريجان » ، وكنا حتى الآونة الأخيرة لا نعرف من أين أخذ الشاعر هذا الاسم ، وكان العلماء يفترضون أن الاسم فارسي المنشأ ، ولكن لم يكن معروفاً استعماله في النصوص الفارسية ، وإذا بنا قد عثرنا على هذا الاسم في الحكايات العربية بشكل « نسطارجهان » ، وما من شك في الوقت الحاضر في أن الاسم فارسي ومعناه « لا نظير لها في الدنيا » أي « الغادة التي لا نظير لها في الدنيا يهاها » ، وقد وجدوا بعد ذلك هذا الاسم في التأليف لفخر الدين البنداري الاصبهاني المسمى « يزبدة النصره ونخبة العصر » ، ووجدوه بعد ذلك أيضاً في شعر نظامي كنجوي وفي بعض النصوص الأخرى ، ولكن قد تلاقت بطلة القصيدة الجورجية باسمها لأول مرة بين عرب آسيا الوسطى .

يرى كراتشكوفسكي في اكتشاف لغة العرب في آسيا الوسطى وبحسبها أساساً لتعديل النظر المقرر حول اللهجات العربية تعديلاً محسوساً ، وذلك نظراً لحصول مصدر جديد لدراسة اللغات السامية لم يكن معروفاً في السابق .

وتنشر عما قريب نصوص كثيرة ومواد أخرى سجلت بين عرب آسيا الوسطى ، وكذلك نتائج بحوث هذه اللغة .

ولذلك نأمل أن نساهم ، ولو بتصيب متواضع ، في دراسة لغة العرب وحضارتهم الجليلة .  
ولم يقتصر المستعربون في بلادنا على البحوث العلمية النظرية بل أبدوا اهتماماً كبيراً لترجمة نخبة من الآثار الأدبية الفنية .

فقد ترجمت إلى الروسية والاكرائية والجورجية والازبيكية وغيرها من اللغات الأخرى - عدا القرآن وألف ليلة وليلة - كلية ودمنة وكتاب بلوهر ويوداسف وكتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ وطوق الحمامة لابن حزم ولامية العرب للشنفرى ومعلقات امرئ القيس وزهير وليد والناطقة الديباني وغيرهم ، وترجم شعر الأخطل والنزدي وجريز الذي كرس له حضرة الرئيس خليل مرديم بك منذ أمد قريب مقالة شيقة ، كما ترجم شعر الخنفي ، وأبي العلاء المعري ، وترجمت كذلك نخبة نماذج الآداب العربية من مؤلفات جرجي زيدان وعبد الرحمن الكواكبي وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وعمر الفاخوري ومحمود تيمور وغيرهم من كتاب الحاضر والماضي .

ولقد قدمنا صورة مختصرة جداً عن عمل العلماء السوفياتيين في حقل دراسة لغة العرب وحضارتهم ، وإن كان المستعربون في بلادنا أقل عدداً من الممثلين عن الفروع الأخرى لدراسة الشرق ، غير أن الأعمال التي قاموا بها ، عظيمة القدر ، ولم تغب عن أذهانهم ، لدى دراستهم الآثار العربية القديمة ، أهمية العرب في الحضارة الحديثة .

ونحن نتابع تقدمكم بمطف كبير ، ونتمنى لكم بحرارة قلوبنا النجاح الأكبر دائماً في عملكم الشريف لصالح علمكم وآدابكم وحضارتكم الجليلة .  
اقبلوا منا فائق الاحترام ودمتم مناراً للأدب والعلوم بين أبناء العرب .  
والسلام عليكم .

هينوري جي تشيرشيلي

# ايوانية البحرى

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

- ٤ -

( ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جنسي )  
( ذاك ) إشارة الى المذكور في البيت الذي قبله ، من إعائه ربوع كسرى  
بدموعه التي حبسها على الصباة والأسى . أي أنت هذا كل ما عندي لتلك  
الربوع ، وكل ما يمكنني أن أعينها به ، حالة كونها ليست هي داراً لي  
فأقرب منها وأتبعاً لي من مقاصيرها مسكناً . ولا جنس الفرس الذين كانوا  
يعمرونها بالسكنى فيها من جنسي وعنصري العربي : هم فرس آريون . وأنا  
عربي سامي . إذن لماذا تبكي ؟ فأجاب بقوله :

( غير نعى لأهلها عند أهلي غرسوا من زكائها خير غرس )  
المراد بالنعى هنا اليد البيضاء أي المنة والفضل والمعروف تصبطه الى  
آخر ، يقول انه بكى على الربوع التي ليست بداره ولا أهلها عرباً من جنسه  
ونجاره ، غير أن هناك بدءاً وصنيعاً قديماً اصطنمها أهل تلك الدار وهم الفرس  
عند أهلي وقومي وهم عرب اليمن . والزكاه بالزاي بمعنى السخاء والخصب ،  
يقال زكت الأرض إذا كانت طيبة التربة خصبة . وضمير زكائها يرجع الى  
النعمى فهو قد جعلها نباتاً ونسب اليها الزكاه والخصب . أي أنت الفرس  
غرسوا من زكاه النعمى التي صنعوها عند قومي خير غرس . كأنه يقول  
إن معروفهم عندنا غير ضائع ، بل هو يبقى زاكياً نامياً مفروساً في نفوسنا خير

غرس لكونه مصطنعاً عندنا نحن العرب الذين يحفظون الجميل ، ويعرفون  
للمحسن إحسانه . وقد عني البحرى بأهله الذين أسدى اليهم الفرس معروفاً  
قبيلة طيىء التي ينتسب هو اليها كما ينتسب اليها أيضاً أستاذه (أبو تمام) ولذلك  
يطلق عليهما أحياناً اسم (الطائيين) .

وطيىء من كهلان . وكهلان أخو حمير . ينتميان كلاهما الى قحطان  
وقحطان جدُّ عرب اليمن . كما أن عدنان جدُّ عرب الحجاز . وقد هاجرت  
طيىء من اليمن عقبَ حادثة سبل العرم فنزلوا نجداً في جبلى أجبأ وسلى المشهورين .  
واشتهرت طيىء قديماً عند السريان والفرس حتى غلب اسمها على (العرب)  
فسموا كل العرب طيئاً . أما اليوم فجبالاً (طيىء) وهما أجأ وسلى سمياً جبَل  
تَمَر . وبقايا طيىء سموا أيضاً شَمَر بامم الجبل . بقي أن نعرف ما هي المنة التي  
أسداها الفرس الى عرب اليمن قوم البحرى ؟ لقد أشار اليها البحرى نفسه بقوله :

(أيدوا ملكنا وشدوا قواه بكُماة تحت السنور خمسـ)

(وأعانوا على كئائب (أربا ط) بطعن على النحور ودغسـ)

ضمير (أيدوا) يرجع الى أهل الإيوان يعني بهم الفرس . وقوله (ملكنا)  
أي معشر أهل اليمن . و(الكُماة) جمع كمي البطل المدحج بالسلاح .  
والسنور بفتح السين السلاح عامة أو هي الدروع من قِدة أي جلد . وخمس  
بضم الحاء جمع أحسن وهم الشديدون في دينهم الأقوياء في الدفاع والمقاومة  
إذا اعتدي عليهم معنداً وأرباط أول قائد نزل بلاد اليمن واستولى عليها  
من قبل (أصحمة) نجاشي الحبش . ودغس بمعنى طعن ، معطوف على طعن  
عطف تفسير . يقول إن النعمى واليد البيضاء التي للفرس علينا معشر العرب  
اليانين هي تأييدهم ملكنا بأبطالهم وإعمالهم الرماح في أافية جيوش (أرباط)  
الخبشية . هذه هي النعمى ملخصة . أما ما قاله المؤرخون في تفصيل هذه الحادثة  
أو النعمى فنيه ما يدلُّ على خطأ البحرى في قوله (أرباط) وكان الصواب



لو قال (مسروق) . ذلك أن ملوك حمير ظلموا نصارى بلادهم فأرسل (أصحمة) ملك الحبش (والحبش نصارى) جيشاً مع أحد كبار قواده المسمى (أرباط) ومعه قائد آخر اسمه (أبرهة) ففتحوا بلاد اليمن وأذلوا ملوكها من حمير . وكان ذلك في أوائل القرن السادس للميلاد . ثم وقع خلاف بين (أرباط) و (أبرهة) فقتل (أرباط) واستبدَّ (أبرهة) ببلاد اليمن ، فجارو ظلم وأنزل بأهلها المحن . وبني كنيسة سميت (القليس) بمعنى الكليس والكليس هي (الكنيسة) أي الكنيسة . وأراد صرف وجوه العرب عن الكعبة إليها أي إلى القليس ، فجاء شيطان من شياطين عرب الحجاز فتغوط فيها فغضب أبرهة وزحف إلى الحجاز ليهدم الكعبة المشرفة ، فردّه الله بأن أرسل عليه الطير الأبايل في قصة مشهورة تلخصتها سورة الفيل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة . ثم هلك (أبرهة) وخلفه ابنه (مسروق) . وفي زمنه نشأ سيف بن ذي يزن الحميري فماله ما تزل بقومه . فذهب إلى قيصر مستنجداً به على الحبش فلم يفعل قيصر شيئاً لأن الحبش نصارى . فحول سيف وجهه إلى فارس ، واستنجد بكسرى . فتعلل يبعد بلاد اليمن وقلة فائدته من فتحها . وذهب له مالاً ثفرج سيف من لده مفضياً ونثر المال بيننا وشمالاً على رؤوس الخدم . فاستاء كسرى واسترجعه وسأله عن السبب في استهائه بعطيته . فقال إنا جئتك لتدفع عني الظلم . وإلا فإن بلادني تنبت الذهب والفضة . فتأثر كسرى واستمهله أياماً . واستشار وزراءه . فأشار عليه كبيرهم بأن يرسل إلى نصرته المساجين في مملكته فشحنهم في ثمانين سفن . غرقت منها اثنتان ونجا الباقون . حتى بلغوا اليمن . فتزلوا ساحلها وأحرق قائدهم (وهرز) السفن . كما فعل طارق بن زياد بعد أن وطئ أرض الأندلس . وقال وهرز لقومه : إما الفتح وإما الهلاك . أما الرجوع فلا . ثم التفت إلى (سيف بن ذي يزن) وقال له : وما لنا عندك ؟ قال (لك مني رجلٌ عربي ودمٌ عربي) ثم قتلوا مسروقاً وطرّدوا الحبش من

اليمن . وولوا سيفك ملك آباءه ، فجاءت وفود العرب تهته وفي جملتهم سيدنا عبد المطالب . ( جد النبي ﷺ ) ومعه أمية ابن أبي الصلت شاعر قریش يومئذ فقال في مدح ( سيف ) القصيدة التي منها :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في قصر غمدان داراً منك محلاً  
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا  
وهكذا انتصر الفرس<sup>(١)</sup> لعرب اليمن وأعادوا اليهم ملكهم فحفظت العرب هذه اليد لهم ومجّلوها بلسان شاعرهم الطائي البائي فقال :

أيدوا ملكنا وشدوا ( عراه ) بكماة تحت السنور خمس  
وأعانوا على كتاب ( مسرو ) بطعن على النحور ودعس  
ثم ان البحتري ختم ( ابوانيته ) بهذا البيت العامر بمعاني الإنسانية فقال :  
( وأراني من بعد أكلف بالأشرف من كل منخ وأس )  
( كلف ) به : أحبه وأدلع به . و ( السنخ ) بكسر أوله و ( الأس )  
مثلث الأول كلاهما بمعنى الأصل . يقول أري نفسي بعد أن كان ما كان  
من مساعدة أشرف فارس وأحارها لقومي العرب كلفاً مولماً يجب الأشرف  
من أي جنس كانوا عرباً أو عجماً ومن أي أرض نبثوا في جزيرة العرب أو  
في بلاد فارس أو غيرها بشرط أن يكونوا أشرفاً أحراراً ذوي مصروءة ونجدة .  
هذه هي قصيدة البحتري أو معلقته في وصف إيوان كسرى ، وأرى أن  
نسميها ( الإيوانية ) كما تسمى كل قصيدة قيات في وصف الأبنية التاريخية أو  
الأثرية القديمة ( إيوانية ) ومجموع تلك القصائد ( الإيوانيات ) . من ذلك  
( إيوانية ) أحمد شوقي الذي عارض بها ( إيوانية ) البحتري مذ كان في

(١) وبما هذا الجيش الفارسي توطنوا بلاد اليمن ونزلوا فيها وسما أولادهم  
( الأبناء ) حتى إذا قيل في ترجمة أحد اليانين انه من الأبناء أراحوم .

منفاه أيام الحرب • وزار قُرطبة وقصر الحمراء وسائر الآثار العربية الخالدة  
هناك فقال في مطلع ابوانيته :

( اختلافُ النهار والليل يُنسي      أذكر لي الصبا وأيامَ أنسي )  
ثم تشوق وطنه مصر ومما قاله في ذلك :

( وطني لو شغلتُ بالخلد عنه      تازعتني إليه في الخلد نفسي )  
إلى أن قال :

( وعظ البحترى إِيوانُ كسرى      وشفتي القصورُ من عبد شمس )  
يريد بقصور عبد شمس الأبنية التي شيدها ملوك أمية من سلالة جدهم الأكبر  
في الجاهلية وهو عبد شمس إلى أن قال :

( مشّت الحادثات في عُرف الحمراء مشي النعْي في دار عرس )  
ومنها قوله في الثلج الذي على قمة جبل شيرى :

( جَلَّ الثلجُ دونها رأسَ شيرى      فبدا منه في عصابِ برّس )  
ومنها في وصف بلاد اسبانية اليوم :

( لا تحسّ العيون فوقَ رُبّاهَا      غيرَ حورٍ حورٍ المرافش لُعس )  
ثم ختم ابوانيته بقوله :

( إمرة الناسِ همّةٌ لا تَنَاقِي      لجانٍ ولا تَسْنِي الجُبس )  
( وإذا ما أصابَ بنيانَ قومٍ      وهنيُ خُلُقٍ فإنه وهنيُ أَس )

وبلغنى أن أحد كبار شعراء فارس الموسوم بالخالقاني زار إِيوان كسرى  
منذ مائتي سنة كما زاره البحترى قبله ، ونظم - أي الخالقاني - في وصف الإِيوان  
قصيدة ( إِيوانية ) بديعة بالغة الفارسية • زعموا أنه أيرّ فيها على ( إِيوانية )  
البحترى • هذا والأمم الواعية اليوم إنما يتحقق وعيها بالمحافظة على تراث أجدادها  
ولا سيما ما خلدوه تحت الأرض أو فوقها من الآثار • وقد انتبهنا معشر العرب

أخيراً الى العناية بآثار الأجداد • لتكون درساً وذكرى للأبناء والأحفاد •  
وأبلغ ما نقل عن أسلافنا في الحضر على حفظ الآثار والنهي عن إضاعتها وتدميرها  
قول القاضي ( أبي يعلى المعري ) وهو :

( مررت بوسم في (سيات) فراعني به رَجَلُ الأُشْجَارِ تحت المعادل )  
( تناولها عَمَلُ الدِّرَاعِ كأنما رَمَى الدهرُ فيها يدينهم <sup>(١)</sup> حَرْبَ وائل )  
( أُنْتَفِيَا ؟ شَدَّتْ بِمِمْكَ خَلْهَا لمعتبر أو زائر أو مسائل - )  
( منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم أرَ أحلى من حديث المنازل )

\*\*  
\*\*

### قصيدة البحري

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَّاسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ  
وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ التَّيَاسًا مِنْهُ لَتَفْسِي وَنَكْسِي  
بُلُغٌ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي طَفَقَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ  
وَبَعِيدٌ مَا يَتَنَ وَارِدٍ رَفِيهِ عَمَلٌ شُرْبُهُ وَوَارِدٍ خَمْسٍ  
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ نَحْشُو لَأَ : هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ  
وَأَشْتِرَائِي الْعِرَاقَ خَطَّةٌ غُبْنٍ بَعْدَ يَمْعِي الشَّامَ يَتَعَّةً وَكَسٍ

(١) أي في ما بين عمل الدراع وبين أحجار تلك المدينة وآثارها . يقول ان هذا  
الضرب والهدم بينه أي بين عمل الدراع وبين الآثار كأنها حرب وائل أو  
أن المراد ان يفضله لها كالبيض الذي ثبت بسية حرب وائل وهي المشهورة  
بحرب البوس . وعمل الدراع أي مقول الساعد كناية عن قوة العامل في الهدم .



لَا تَرْزُنِي مُزَاوِلًا لاختباري      عِنْدَ هَذِي الْبَلَوَى قُتُنْكَرَ مَسِي  
 وَقَدِيمًا عَهْدَتِي ذَا صِنْمَاتٍ      آيَاتٍ عَلَى الدَّنِيئَاتِ شُمُسِ  
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ نُبُوَّ ابْنِ عَمِّي      بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأَنْسِ  
 وَإِذَا مَا جُنَيْتُ كُنْتُ حَرِيًّا      أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُنْسِي  
 حَضَرَتْ رَحْلِي لَهْؤُومٌ فَوَجَّهَتْ      إِلَى أَيْضِ الْمَدَائِنِ عُنْسِي  
 أَلَسَلَى عَنِ الْخَطُوطِ وَآسَى      إِنَحَلَّ مِنْ آلِ سَنَاسَانٍ دَرَسِ  
 ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخَطُوبُ التَّوَالِي      وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخَطُوبُ وَتُنْسِي  
 وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ      مُشْرِفٍ يُخْسِرُ الْعُيُونَ وَيُخْسِي  
 مُغْلَقٍ بِأَبْهٍ عَلَى جَبَلٍ الْقَبْضِ      إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمُكْسِ  
 حِلٌّ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدَى      فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مَلْسِ  
 وَمَسَاعٍ لَوْ لَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي      لَمْ تُطَقِّمَهَا مَسْعَاةُ عُنْسٍ وَعَبْسِ  
 تَقَلَّ الْأَهْرُ عَهْدُهُنَّ عَنِ الْجِدَّةِ      حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ  
 فَكَأَنَّ الْجِرْمَازَ مِنْ عَدَمٍ الْأَنْسِ      وَإِخْلَاقِهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ  
 لَوْ تَرَاهُ عَامِتَ أَنْ اللَّيَالِي      جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًّا بَعْدَ عُرْسِ  
 وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ      لَا يُشَابُ الْبَيَانُ فِيهِمْ بِلَبْسِ  
 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا      كَيْتَ أَرْتَتَ يَتَنَ رُومٍ وَفُرْسِ  
 وَالْمَنَاسِيَا مَوَائِلُ وَأَنْوَشِرُ      وَأَنْ يُزَجِّي الصَّقُوفَ تَحْتَ الدَّرَقْسِ

فِي أَخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرَسٍ  
 وَعِرَاكُ الرُّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِنْغَاضِ جَرَسِ  
 مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِي بِعَامِلٍ رَمَحٍ وَمُأَيِّجٍ مِنَ السَّنَانِ بِرُؤْسِ  
 تَصِفُ الْعَيْنُ إِنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا لَمْ يَنْتَهِي بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ  
 يَغْتَلِي فِيهِمْ أَرْتِيَابِي حَتَّى تَقْرَأُكُمْ يَدَايَ بِلُفْسِ  
 قَدْ سَقَانِي وَلَمْ يُصِرِّدْ أَبُو الْغَوْثِ عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ شُرْبَةُ خَاسِ  
 مِنْ مُدَامٍ تَقْرُلَهَا هِيَ نَجْمٌ ضَوْءُ اللَّيْلِ أَوْ مَجَاجَةُ شَمْسِ  
 وَتَرَاهَا - إِذَا أَجَدَّتْ سُرُورًا وَأَرْتِيَا حَا لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي  
 أَفْرِغْتَ فِي الزُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسِ  
 وَتَوَهَّهْتُ أَنْ كَسْرِي أَبْرُؤِي - زَ مُعَاطِيٍّ وَالْبَلْبُؤُذِ إِنْ سِي  
 حَامٌ مُطْبِقٌ عَلَى الشَّكِّ عَنِّي أَمْ أَمَانٌ غَيْرُنَ ظَنِّي وَحَدْسِي  
 وَكَأَنَّ الْإِيْوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ - مَةِ جُوبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جَاسِ  
 يُتَظَنِّي مِنَ الْكَآبَةِ إِنْ يَبْدُ لِعَيْنِي مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي  
 مُرْعَجًا بِأَلْفِرَاقٍ عَنْ أَنْسِ الْفِ عَزَّ أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِقِ عِرْسِ  
 عَكَّسَتْ حَظَّهُ الْإِيَالِي وَبَاتَ الْ - مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسِ  
 قَهْوٍ يُبْدِي تَجَلُّدًا وَعَاقِيهِ كَمَا كُلُّ مَنْ كَلَّ كُلَّ الْأَهْرِ مُرْسِي  
 لَمْ يَعْنَهُ أَنْ يُزْمِنَ بُسْطِ الدِّيبَاجِ وَأَسْتَلَّ مِنْ سُورِ الدَّمَقْسِ

مُشْتَخِرٌ تَعْلُو لَهُ تُرُقَاتٌ دُقِعتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقَدْسِ  
 لَا بَسَاتٍ مِنْ أَلْبِيَاضٍ قَمَا تُبْصِرُ مِنْهَا إِلَّا غَلَاثِلَ يَرْسِ  
 أَيْسَ يُدْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحْنِ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ حِنِّ لِإِنْسِ  
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ  
 فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوَى مَ إِذَا مَا بَلَّغْتُ آخِرَ حِسِّي  
 وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَشْرَى مِنْ وَقُوفٍ خَلْفَ الزَّحَامِ وَجَاسِ  
 وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسَطَ الْمُتَقَاصِيهِرِ يُرْجَعْنَ بَيْنَ حَوْزٍ وَلُغْسِ  
 وَكَأَنَّ الْإِلْقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْسِ وَوَشَكَ الْفِرَاقِ أَوَّلَ أَمْسِ  
 وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعًا طَامِعٌ فِي حُلُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ  
 عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعْزِي رِبَاعُهُمْ وَالْأَثَمِ  
 فَلَمَّا أَنْ أَعْيَنَّا بِدُمُوعِ مَوْقِفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ  
 ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِأَقْتِرَابٍ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي  
 غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَائِبِهَا خَيْرَ غَرْسِ  
 أَيْدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قَوَاهُ بِكَمَاةٍ تَحْتَ السَّنَوْرِ حُمْسِ  
 وَأَعَانُوا عَلَى كِتَابِ (أَرِيَا ط) بِطَمْنٍ عَلَى النُّحُورِ وَدَعْسِ  
 وَأَرَانِي مِنْ بَعْدُ أَكْفَ بِالْأَشْ—رَافٍ مِنْ كُلِّ سِنْعٍ وَأَسْ

# ما سمعت وما رأيت

## في بلاد السوفيت

- ٢ -

### موسكو :

وهي عاصمة الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية الاشتراكية (احدى الجمهوريات الست عشرة التي يتألف منها الاتحاد) وكانت من قبل عاصمة إمارة عرفت بمسكوفية (Moskovy) ومنه اشتقاق كلمة موسكوفا التي كانت تطلق على سكان هذه البلاد (الشعب الروسي) .

أثنا في هذه العاصمة معظم المدة التي قضيناها في بلاد السوفيت ، ولم تكن هذه المدة القصيرة كافية لزيارة معاهدها العلمية وأماكنها الأثرية ، إذ اقتصرنا زيارتنا على ما جاء في البرنامج الذي ذكر آنفاً مع ما أضيف اليه من مؤسسات متاحف خلال مقامنا القصير بين الرحلتين من هذه العاصمة الى ليننغراد وستالينغراد والعودة منها .

وموسكو ليست من المدن العربية في القدم إذ لم يأت لها ذكر قبل سنة ١١٤٧ ميلادية وليس لها من العمر إذن سوى ٨٠٠ سنة . وأول ما بنيت المدينة على رابية في ضفتي نهر موسكو (Moskova) وعظم شأنها منذ أن اشد أزرها ببناء الحصن الشهير فيها وهو الكرملين (Kremlin) صدى لغارات الغزاة ، واتسع البنيان حول هذا الحصن على مر الزمن اتساعاً على شكل دائرة تحيط به من الجهات الأربع ولذلك بقي في مركز المدينة كأنه قلبها الخفاق مع بقاء معظم الأبنية الهامة على الضفة اليسرى من النهر المذكور .



ولقد أتاح لموسكو موقعها الجغرافي أن جعلها بمعزل عن السبيل التي يسلكها  
 القزاة القادمون من الشرق ، كما ان مركزها في حوض نهري الدون والولغا  
 ساعدها على الازدهار ، لا سيما وهي العاصمة السياسية القديمة والعاصمة الدينية  
 (مقر الكرسي البطريركي منذ سنة ١٣٢٨) . على أنها لم تنج من صولة المغول  
 والتار عليها عدة مرات حتى اتخذها الأمراء الروس في القرن الخامس عشر  
 مركز الحشد لصد المغيرين وطردهم . وعرف ايفان ( يوحنا ) الثالث وايفان  
 الرابع بقيصري موسكو إذ ازدهرت في عهدهما المدينة واطرد فيها النمو  
 والاتساع في القرن السادس عشر مع ما أصابها من حرائق واسعة ( ١٤٩٨ و  
 ١٥٤٧ وغيرهما ) ومع احتلال البولونيين إياها . وبدأت حركة المقاومة من  
 موسكو سنة ١٦١٨ لتحرير البلاد حتى أطلق عليها اسم المدينة المقدسة . ورأى  
 بطرس الأكبر بعد أن أنشأ مدينة جديدة على الساحل وقام بالاصلاحات  
 الكثيرة أن ينقل العاصمة من موسكو الى تلك المدينة ( وقد عرفت بمدينة  
 بطرس بتروصبورغ ثم بتروغراد وليننغراد حالياً ) مع احتفاظها بلقب المدينة المقدسة  
 حيث بتوج فيها القياصرة وبقاؤها مقراً للمجمع المقدس (السينود) والمقام البطريركي .  
 وغزاها نابليون سنة ١٨١٢ فتم له فتحها بعد معركة دامية عرفت بمعركة  
 موسكو ثم اضطر الى مغادرتها إثر الحريق الكبير الذي قيل إنه أوقده سكان  
 البلد بتحريض قادتهم والذي أتى على ما قيل على  $\frac{4}{5}$  المدينة وأصاب الروس فيه  
 زهاء ١٥٠٠٠ جريح ، وكانت مغادرته إياها في ١٩ من تشرين الأول . ونسف  
 الجنرال مورتيه ( Mortier ) الذي خلفه فيها قلعة الكرملين . ويفتخر القوم بالهزيمة  
 الشنعاء التي أوقعوها بالجيش الافرنسي الذي لقب في ذلك الحين بالجيش الذي  
 لا يغلب وتراهم منهوين بنقش أسماء الجنود الذين أبلوا بلاءاً حسناً في الدفاع  
 عن البلاد بنقش أسمائهم على لوحة تذكارية يراها الزائر في أحد جدران الكرملين  
 بعد أن كوفئوا بمنحهم لقب فرسان صليب القديس جورج ، كما أن متحف  
 الكرملين يضم البنادق الكثيرة التي غنمها الروس مع الأعلام العديدة .

وفي آخر سني الحرب العالمية الأولى دارت معارك قوية في معظم المدن الروسية وكانت موسكو مسرحاً للحرب الأهلية وبعد الثورة البولشفيتكية غادر بتروفسبورغ الى موسكو في الثامن عشر من آذار سنة ١٩١٨ قطار يقل أركان حكومة السوفيت الجديدة وأصبحت منذ ذلك التاريخ عاصمة الجمهورية الروسية وعاصمة الاتحاد معاً، وأقرت المادة ١٤٥ من الدستور السوفيتي اعتبارها العاصمة الوحيدة لبلاد الاتحاد وأصبحت القوانين والمراسيم والبلاغات لا تصدر عن الحكومة إلا وهي متوجة بالكلمتين الآيتين : الكرملين ، موسكو .

#### مساحة المدينة السطحية ونفوسها :

لقد اتسع نطاق موسكو مع مرور الأيام حتى قدرت مساحتها السطحية مؤخراً بما ينيف على ٣٠ ألف هكتار مربع وتبلغ المسافة بين أقصى الشمال والجنوب من المدينة زهاء ٢٥ كيلومتراً . أما السكان فان آخر إحصاء رسمي جرى سنة ١٩٣٩ ( قيل الحرب الأخيرة ) بلغ عددهم فيه ٨٦٦٣٠٠٠ نسمة ولا أظن أنها زادت على هذا الرقم كثيراً في الآونة الأخيرة . ومناخ موسكو لا يفترق عن مناخ بلاد الاتحاد السوفيتي الأخرى تهبط درجة الحرارة فيه الى ما دون الصفر في الشتاء وتجمد مياه الأنهر ١٣٥ - ١٦٠ يوماً في السنة ودرجة الحرارة الوسطى في كانون الثاني - ١٠ بينما ترتفع في تموز الى ١٩ و٢ وسطياً وقد شاهدناها تهبط في آخر تشرين الثاني الى - ٨ . لذلك يسترها الثلج في معظم الشتاء وارتفاع موسكو عن سطح البحر يختلف بين ١٦٥ و ٢٨٥ متراً والرياح الغالبة فيها جنوبية وجنوبية غربية .

#### نظرة عامة :

إن من الصعب على من أقام في موسكو تلك المدة القصيرة التي أقناها أن يفي وصف العاصمة حقه مع كثرة ما فيها من معالم ومعاهد ومؤسسات فلا

غرو إن اجتزأت بذكر بعض ما سمعت وما رأيت وما قرأت عنها ، قبل ذكر المؤسسات والمعاهد العلمية .

تعد موسكو ولا شك من أعظم مدن العالم دع عنك شأنها السيامي في هذه الآونة باعتبارها عاصمة بلاد تبلغ مساحتها سدس اليابسة ، وحاملة لواء المعسكر الشرقي ضابط التوازن الدولي ، وهي من المراكز الصناعية الهامة تحوي المعامل الكثيرة لمختلف الصناعات ، ناهيك بمرکزها الثقافي والعلمي وكثرة ما فيها من معاهد وان جامعتها التي سيأتي وصفها تعد من أكبر جامعات العالم ( ان لم تكن أكبرها فعلاً ) .

فظاهر المدينة تدل على عظمتها في شتى النواحي والقادم اليها من المطار يخترق الى قلب المدينة شوارع فسيحة حسنة الإضاءة ليلاً على غاية من النظافة بما لا ترى له مثيلاً في العواصم الأخرى ( ولا أنقرده بهذه الشهادة بل سبقي إليها غير واحد من الغربيين الذين زاروها ) . ولا غرابة اذا علمت ان هذه النظافة وهذا النظام البديع الذي تسير عليه المرافق العامة مردهما الى تضافر العمل بين زهاء نصف مليون من العمال والمهندسين والفنيين يشرفون على تسير شؤون العاصمة والسر على تحقيق ما تحتاج اليه من صيانة الطرق وتنظيفها الذي لا ينقطع حسبما تستلزمه فصول السنة ، وضمان حسن السير فيها وتعمد الأشجار والنباتات المختلفة المفروسة في جوانبها وفي حدائقها العامة ، وما لا ندحة عنه لرفاه الفرد والمجموع من كهرباء وماء وغاز وتدفئة وغيرها .

ويضفي على تلك الشوارع الفسيحة الأبهة والمظمة ما يحيط بجوانبها من أبنية شائعة بيضاء لا أثر فيها للسواد الصادر عن دخان المعامل الذي يملأ جو مثيلاتها من العواصم الأوروبية . وانه لمن الخطأ أن يظن ظان ان لبس في موسكو سوى هذه المناظر البهيجة التي تأخذ بمجامع القلوب إذا لم يخرج السائح الغريب نزول أحد الفنادق المخصصة للأجانب والتي تقع في قلب المدينة ، عن هذا

النطاق المضروب . ولكن متى صنعت لك ساحة وجزت تلك الدائرة المحيطة بك مشياً فان عينك ستري ولا شك مناظر تفيض ما تقدم : أزقة ضيقة ودوراً صغيرة من الآجر الأحمر وطرقاً سيئة التعميد لما تمتد إليها بد الإصلاح والتنظيم بعد . هذه هي موسكو القديمة من بقايا القرون الماضية وتلك موسكو الحديثة التي تم تنظيمها وفقاً لمشروع السنوات الخمس والسنوات العشر ، وهي إحدى المفارقات بين الماضي والحاضر . وهل خلت روما وباريز ولندن من مثل هذه الأحياء في يومنا هذا ؟

فقد سمعنا ان موسكو لم يكن فيها في مطلع هذا القرن سوى ٨٠٠ بناء عديد الطوابق ( يحوي أكثر من طابق واحد ) ولم يكن سوى دور مركز المدينة مجهزة بوسائل الراحة العصرية مما حمل إحدى الجرائد الإنكليزية سنة ١٩١١ على القول بأن موسكو تحتاج الى ٥٠٠ سنة لتصبح مظاهرها شحاى مظاهر عواصم العالم . إلا ان المنهاج الذي وضع لتجميل موسكو بعد أن أصبحت العاصمة وما بذله المهندسون من جهد عظيم قد أثمر أبتع الثمر والتطور فيها غدا مستمراً ، ومظاهره تطفئ على القديم بسرعة فائقة . وما هو قد تم لها في بضع عشرات من السنين ما ظن أنه يستغرق خمسمائة سنة . فقد شقت في هذه الفترة شوارع جديدة ووسع ما كان منها ضيقاً ( مع بقاء بعضها مائلاً للعيان الآن ، حتى قيل لنا ان ما كان منها بعرض ١٦ و ١٨ متراً أصبح عرضه ٤٠ أو ٤٥ متراً وإن منها ما بلغ من العرض ٧٠ متراً واضطر المشرفون على شؤون المدينة في سبيل هذا التوسيع والتعريض الى هدم ما ينبغي هدمه وإبقاء ما لا يجوز الاستغناء عنه فعمدوا حفاظاً عليه الى أن يعولوا على طريقة سبقهم إليها الغرييون ولكنهم اتقنوا التنفيذ وأحسنوه على نطاق واسع ، وهو أن يخزلوا ماتحت أرض البناء وأن يجملوا هذا يستند الى أعمدة حديدية متينة رصفت أفقياً ثم أن يدفعوا الى الوراء بالبناء الذي أصبح كأنه على عجلات - المسافة المطلوبة



دفعاً تدريجياً يستلزم مدة غير قليلة من الزمن . ونجا من الهدم على هذه الطريقة عدة أبنية ورأيت في شارع غوركي كيف ان المستشفى القائم هناك قد زحزح بضعة عشر متراً مع تغيير طفيف في الاتجاه فيه ، وقد روى الدليل أن أعمال المستشفى في أثناء ذلك لم تتوقف ولم ينوان الجراحون عن المثابرة على التوسط الجراحي خلال هذا النقل العجيب .

قلت إن موسكو القديمة آخذة بالزوال لتخلفها موسكو الجديدة التي حق لها أن تباهي بينائها الأبيض لكثرة استعمال الحجر الأبيض في البناء مع ما يستلزمه طراز البناء العصري من ميكانيكيات ضخمة رأيت بعضها في البنيان القائم إبان زيارتنا ورأيت نماذج مصغرة عن بعضها الآخر في أحد المتاحف التي زرناها . وإن من الأبنية الحديثة ما هو مخصص للسكن ومنها ما يبنى لانتخاذه مقراً لدوائر الحكومة والمؤسسات العامة . فما يبنى لأجل السكن بناؤه بمائل ، الشكل فيه على هيئة حرف U بحيث تترك الساحة بين الأضلاع الثلاث للفضاء تتعرض لنور الشمس ولا تجب هذا عن أجزاء البناء الرئيسية ، وتتخذ حديقة بماؤها النبات في جانب باحات الألعاب الرياضية فتصبح متعة لسكان تلك الدور ومرتع لعب ولهو لأطفالهم وبمثل وحدات السكن هذه قد حلت أزمة السكن <sup>(١)</sup> .

(١) لم يتح لي الاطلاع على حقيقة ماترويه المصادر النورية من اشتداد أزمة السكن في المدن السوفيتية الكبيرة وفي موسكو خاصة . وإن من غريب ما قرأته في دائرة المعارف البريطانية في مادة موسكو قولها : ان ازدياد عدد السكان الناجم عن تمرکز الحكومة في موسكو منذ ثورة ١٩١٧ واشتداد النزوح والهجرة من أنحاء الإمبراطورية الشاسعة كل ذلك قد أوجد أزمة في أماكن السكن لم تكن لتكفي حتى سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩٢٣ لم يكن سوى ٨ ٪ من السكان يملك غير غرفة واحدة أو أكثر و ٥٤٧ ٪ كان يعيش كل اثنين منهم في غرفة واحدة و ٣١٨ ٪ خمسة في كل غرفة و ٤٩ ٪ أكثر من ثمانية أشخاص في الغرفة الواحدة . وتفي دائرة المعارف فائلة وبالرغم من هذه الشروط القاسية فان تقدماً عظيماً قد طرأ على الحالة الصحية وعلى رعاية الأطفال مما أفضى الى نقص يتن في نسبة الموت . أقول ولا أظن أن احصاء دائرة المعارف المذكور ينطبق على حالة السكن وأزمته في الوقت الحاضر بعد ما رأيت الكثير من وحدات السكن تبنى على غير ما تقدم وهي مؤلفة من مئات من البيوت التي لا يتقصها شيء من وسائل الرفاء المعري .

وقد أدخل في برنامج التعبير سنة ١٩٤٧ تشييد الأبنية العديدة الطوابق (Multi-storied) نظير ناطحات السحاب في الولايات المتحدة ، وأشهر هذه الأبنية جامعة موسكو ويتألف جناحها المركزي من ٣٢ طابقاً (وسياتي وصفها في مقال آخر) وأبنية الوزارات في (Lermontov) و (Kotelnicheskaya) وغيرهما من الأبنية التي يزيد عدد الطوابق فيها على ٢٠ ويميل المهندسون السوفيت الى التفنن في المظهر الخارجي والتزيين ، وهي ولا شك من أجمل الأبنية وأحسنها مظهراً وإن شابهت في الظاهر مثيلاتها في البلاد الغربية . ونرى هذا التفنن والتوبيع في المظهر الخارجي في الأبنية العامة الأخرى كمحطات سكك الحديد ومحطات المترو خاصة . فبمثل هذه الأبنية وبوحدات السكن السالفة الذكر قد تغير وجه موسكو وبدأ يتطور سنة بعد سنة .

وتكثر التماثيل في شوارع موسكو وحدائقها العامة وهي في الغالب تماثيل شخصيات الثورة والعسكريين وكبار الأدباء والشعراء الذين هياؤا السبل لها أما تماثيل الزعميين لينين وستالين فلا تقع تحت حصر ناهيك باللوحات العديدة التي تمثلها في حالات مختلفة والتي لا يخلو منها أي مكان .

والشوارع كلها مفروشة بالأسفلت والرئيسية منها لها في جانبها رصيفات لا يقل عرض بعضها عن ١٠ أمتار مخصصة للمشاة أما السيارات فلها ثلاث طرق فما كان منها في الجانبين فهو للسيارات العامة كل واحدة منها لأحد الاتجاهين في السير والثالثة بينهما مخصصة لسير سيارات الاسعاف والحريق بحيث لا يخل مرور هذه بأقصى السرعة مرور السيارات الأخرى في الجانبين . وربما كان هذا الطراز من التنظيم هو الوحيد من نوعه ولم أر مثيله في العواصم الكبرى التي زرتها .

وطبيعي أن لا يعرقل سير السيارات على نحو ما ذكر ، سير المشاة الذين لا يتخلون أبداً عن الرصيف مع المحافظة التامة على نظام السير ، وما إن

يصل هؤلاء الى قرب مفترق الطرق إلا وتراهم شاخصة أبصارهم الى اشارات السير الكهربائية حتى إذا ما آذنت هذه بالمرور رأيت عشرات من الخلق بين رجال ونساء وأطفال تمر بنظام بديع .

ويتم تنظيف الشوارع بين كنس وغسل في الصباح الباكر من كل يوم وذلك بمعونة الآلات الضخمة العديدة حتى ان شارعاً كبيراً كشارع غوري لا يستلزم تنظيفه أكثر من ساعة ونصف الساعة . هذا في الصيف أما في الشتاء فان الآلات ذاتها تضاف اليها أجزاء جارقة تجرف الثلج عن الطرق في الصباح الباكر أيضاً . وقد سمعت أن في موسكو زهاء ألفين من هذه الآلات . وكثيراً ما رأيت قبيل منتصف الليل وأنا عائد الى الفندق مشياً من يقوم على ذر الرمل على الرصيف المستور بالثلج وفيهم بعض النساء تسهلاً لمرور المشاة .

والأشجار الباسقة في جانبي الطرق يبدو بعضها حديث العهد ، ويعني القوم بغرس الأزهار وتنسيقها تنسيقاً بديعاً ولا سيما في الحدائق العامة التي لا يكاد يتخلو منها أحد الشوارع الكبيرة يتم ترتيبها على ذوق سليم . ولعلّ حديقة بوشكين ( Pushkin ) التي أنشئت مؤخراً من أجل تلك الحدائق الغناء فيها البحيرات والنوافير الجميلة التي يسقط منها الماء على هيئة شلالات هيبجة ناهيك بالمرات الجميلة بين الخمائل والرياحين . وأنه ليزيد في جمال المنظر ما كان من الشوارع الفسيحة على ضفتي نهر موسكو أو القناة التي وصلت ما بين نهري الولغا وموسكوا حيث ترى جموعاً من المتنزهين والمتنزهات على تلك الأرضة الواسعة في جانب الجالسين والجالسات على المقاعد العديدة . وكان من أثر شق القناة المذكورة اتساع حركة العمران ووصل موسكو بالبحار الخمسة كما سيأتي بيانه وضمان ما تحتاج إليه العاصمة من ماء وقد قدر بمليون لتر في الدقيقة .

ومن طابع هذه البلاد الخاص أن لا ترى أسماء تشير الى أصحاب المخازن

الكبيرة والمتاجر المختلفة في جانب الشوارع ولا أسماء القائمين على إدارتها ، وتعرف متاجر المخازن والمتاجر لكل حرفة من الحرف بأرقامها المتسلسلة ، فالصيدليات مثلاً تجدد في الشارع الفلاني الصيدلية ذات الرقم ١١٠ وفي غيره الصيدلية ذات الرقم ١٥٠ وكذلك المكتبات والبقاليات ومخازن المأكولات لكل من هذه رقمه الخاص الذي يعرف به ، وواجهات متاجر المأكولات تحوي نماذج مصنوعة من الشمع تمثل الأصناف التي تباع في داخلها كاللحم والبيض والخضراوات وما إليها . والمدارس وقد زرنا إحداها في ضواحي موسكو كان رقمها ٧٠٢ وقيل لنا إن في موسكو ٧٢٠ مدرسة ثانوية مثلها .

وساعات العمل وأوقات الدوام في هذه المحلات التجارية وفي دوائر الحكومة والمؤسسات العامة موحدة تختلف في بلاد الاتحاد السوفيتي عنها في البلاد الأخرى . يبدأ العمل فيها كلها في الساعة العاشرة ويتوقف في تمام الساعة الثانية ليستأنف من من الساعة الرابعة حتى الثامنة . ويستثنى من ذلك باعة المواد الغذائية من ألبان ومشتقاتها ومخازن وما إليها فإن العمل فيها يبدأ من الصباح الباكر : وإن من المشاهد المألوفة في بلاد الاتحاد السوفيتي الكبيرة وأخصها موسكو أن ترى جمعا من الناس بين رجال ونساء ينتظمون أمام تلك المخازن والمتاجر وغيرها بما فيها دور اللهو والمسارح على شكل جبل ( ويسميه الغريوث ذبلاً Queue ) قد يبلغ من الامتداد والطول حداً كبيراً . فترى الجبل أمام بائع اللبن في الصباح الباكر وفي الشتاء القارس ، وترى مثله بعد الظهر أمام المخازن الكبيرة فيل وقت افتتاحها حتى إذا آن وقت هذا الافتتاح في تمام الساعة الرابعة على الضبط فتح الباب ودخل أفراد ذاك الجمع بكل هدوء وسكون ، ولو أتيح لك أن تتابع طريقة العمل في داخل أحد تلك المخازن لرأيت أن أولئك المشترين يذهب كل منهم الى قسم الصنف الذي يود شراءه وما هي إلا دقائق حتى تتألف جبال أخرى أمام البائع فيتقدم كل واحد ويشتري ما يريد.



(بالسر المحدود) فيعطيه المشرف على البيع ورقة تبين الصنف المشتري وثمنه فيحملها الشاري ليأتي أمام مكتب الصندوق فينتظم في حبل آخر منتظراً دوره حتى اذا بلغه دفع الثمن واسترد الورقة التي أشير فيها الى دفع الثمن وعاد الى بائع الصنف الأول واقفاً في عداد أفراد حبل آخر ليقدم في حينه الورقة الموقعة من الخازن ويستلم الصنف المشتري ويخرج بعدئذ من هذه الجولة غير القصيرة بسلام متأبطاً ما اشتراه ، وينتظم القوم في هذه الحبال أو الأذيال داخل المخازن أو خارجها مثنى مثنى ولا ترى أحداً يسابق الآخر . وإن وقوفهم الطويل وانتظارهم المديد وصبرهم على ذلك قد أصبح مضرب الأمثال بين الأمم الأخرى ومدعاة للتنكيت حتى قال أحد الظرفاء الأجانب عن الشعب السوفيتي أنه يقسم ساعات يومه أثلاثاً : ثلث للعمل وثلث للنوم والثالث للانتظام والوقوف في تكوين الحبال . وإن من أطول الحبال التي شاهدناها ( وكنا في عداد أفرادها ) ما كان مؤلفاً استعداداً لزيارة ضريح لينين وستالين في الساحة الحمراء وسيأتي وصفه حين ذكر الكرملين والساحة الحمراء .

وإن مما ينبه اليه الغريب عن هذه الديار أمارات الجذ والهدوء البادية في حركات أهلها وسكناتهم ، فانك لا ترى أبداً من يقهقه في قارعة الطريق حتى ولا من يتسم الليم إلا إذا كان حدثاً ، فضلاً عن أن ترى سكران أو معربداً ولو كان طوافك في المربع الأخير من الليل . وطابع الجذ الغالب عليهم يتجلى بأجلى مظاهره عندما تحضر إحدى المسرحيات الهزلية ، وأذكر أننا حضرنا مرة المسرح الذي يعرف بكوكلي ( Kokli ) ويعرف بالفرنسية بـ ( Marionette ) وأبطال التمثيل فيه دى كبيرة يحجم الإنسان الكهل يحركها ويسيرها من تحت المسرح فنانون مهرة حتى ان المشاهد لتلك الدى وهي تمثل الأدوار الدقيقة ( بما فيها العودة ) باتقان خارق ليشك في حقيقة أمرها ، وإن المفاجئات التي لا بد وأنت تتجلى ذاك التمثيل الهزلي لما يضحك

الشكلي ، ومع ذلك فانك إن سمعت أو رأيت في القاعة الفسيحة المكتظة بالحضور أحداً يضحك بلء فيه فتأكد أنه ليس من أهل البلاد بل هو أحد السياح الأجانب .  
ولباس أهل هذه العاصمة تغلب عليه البساطة فليس للأناقة فيه أثر إن في الشوارع أو في المسارح ( ولا سيما دور الأوبرا ) أو في الأعياد ( وقد شهدنا أحدها ) . فإذا ظننت ( ولك الحق ) أن من يقع عليه نظرك من المارة في الطرق هم عمال كادحون أو من ذوي الأشغال الذين ليس لهم أن يتأنقوا في الملابس ، فما بالك بشهود السهرات ولا سيما في الأوبرا حيث اعتاد الغريون أن يأخذوا أحسن زينتهم فيها ، واني لا أذكر في باريز مثلاً كيف يشترط على شهود بعض المسارح ولا سيما الأوبرا لباس السهرة الخاص بالرجال والنساء على السواء وسمعت رد المشرفين عليها من لم يلبس اللباس المطلوب وإعادة ما دفعوه اليهم . هذا في المجتمعات الغربية أما في المجتمع السوفيتي فلا أثر لما ذكر مطلقاً ، اللهم إلا أفراد بعض الجاليات الأجنبية إذ يحافظون على ما اعتادوا عليه من لباس خاص في مثل هذه المناسبات . ولا عجب فإن الطبقة الأرستوقراطية التي اشتهرت بها روسيا القيصرية قد انقضت عن بكرة أبيها وورثها كبار موظفي الحكومة والمبرزون من العمال لينعموا بنعاه أولئك .

وإن مما يسترعي الانتباه في هذه البلاد مظاهر الحشمة البادية في النساء وفقد الخلاعة ، وأن لا يرى ما أصبح مألوف المنظر في العواصم الكبيرة الأخرى من بنات الهوى اللواتي يتفنن في نصب الأشرار لتصيد طلاب اللذة الأثيمة ، شأن ما هو شائع في حي مونارتر بل وفي جميع شوارع باريز عندما يرخي الليل سدوله ، ودائرة يكدالي في لندن ، وجوار المحطة الكبيرة في روما ، نعم لا أثر للموسسات المحترفات في موسكو ولينفراد وغيرهما من المدن السوفيتية الكبيرة . وقد أعجبني ما كتبه القسيس الانكليزي ( Mervy Stockwood ) <sup>(١)</sup>

(١) في كتاب له عنوانه ذهبت الى موسكو ( I went to Moscow ) طبع في لندن

وقد أذهله ما لاحظته من فقد المرمسات في بلاد الاتحاد السوفيتي مقاييساً ذلك بما اعتاد أن يراه في لندن من كثرة بنات الهوى الآخذة بالزيادة سنة بعد سنة ، فسأل السفارة البريطانية في موسكو وقد أكدت له صواب ملاحظته بأن لا أثر ظاهراً للدعارة في هذه البلاد ويمضي قائلاً : لا أدعي أن من يود من الرجال استجابة رغبته الشهوانية أن يعدم الوساطة أو لا يجد السبيل إليها ، ولكن ليس بوسع أحد من الناس أن يظهر هذه الرغبة على ملأ الخلق . ولما سألت دليبي ( كلام القيس ) إلى أي شيء يعزو انطفاء جذوة البغاء في هذه البلاد أجابني بقوله إن على النساء أن يشتغلن أحد الأشغال ويقمن ببعض الأعمال ولا حاجة لمن للكسب من قارعة الطريق ، وإن الشرطة لتقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أي عمل يخل ليرسل إلى أحد مراكز التهذيب والتثقيف ، وأحر بنا ( كلام القيس ) أن نتعلم من السوفيت ، إن حالة لندن لمعبية ولا لوم على القرباء بكل ما يظنون بنا ، لقد حان الوقت للحكومة أن تسلك الخطة القوية ، وينبغي جعل البغايا في بيوت متاح لمن فيها التدريب ليخرجن منها وهن نائعات في المجتمع ، عوضاً من فرض العقوبة الطفيفة عليهن ، وعلى القصاص أن يكون وفقاً للذنب كالسجن مدى الحياة لمن يتخذ الدعارة مهنة تجارية . ويختم كلمته أخيراً بقوله اني لآسف ان حكومة لادينية قد فوجئت فيما أخفقت فيه حكومة مسيحية .

وانه لتدعم صيانة الأخلاق العامة بما رواه القيس نفسه بعد نزوله من الطائرة التي أقلته إلى موسكو عندما قُتلت حقائبه في المرفأ الجوي من أن التفتيش المذكور لم يقتصر على ما قد يحمله من بضائع تخضع لرسوم المكس بل تعداه إلى ما قد يكون في تلك الحقائب من كتب ومجلات وصحف ، ويقول القيس لم تكن الغاية من هذا التفتيش الخشية من الشؤون السياسية وحدها بل قد خصص بما اشتهرت به الصحافة الغربية من دناءة ( كذا ) ولا يسمح للصحف السوفيتية أن تذكر أخبار الجرائم الأخلاقية ولا أثر فيها للصور الشائع نشرها

في المجلات الانكليزية وقد أخبروني ( قول القيس ) عن الوصيات غير اللائقة التي يصمون بها صحفنا ولا سيما بعض الصحف الصادرة أيام الأحد . وطبيعي أن يعزو ( السوفيت ) استثمار الغريزة الجنسية الى الخطة الميكانيكية التي يسلكها رأسماليو الصحافة ( Press barons ) .

والموافق العامة من ماء جار بارد وحار وكهرباء وغاز وتدفئة غاية في الترتيب والنظام ولا سيما في وحدات السكن الحديثة ، فالتدفئة المركزية التي يعتمد عليها في التغلب على البرد القارس ، مصلحة عامة تشرف على توزيع الماء الحار الى الأبنية المختلفة بأنابيب تجري فيها تحت الأرض ولا حاجة إذن لاستعمال المراحل الموضعية المولدة للماء الحار ولا يقتصر توزيعها على الدور والمخازن فقد لاحظت التدفئة على أتمها في المراحض والمبازل العامة التي يغشاها الناس في شوارع المدينة . والكهربائية كثيرة الدروع للاستعمالات البيتية على اختلاف أشكالها ، وكذلك الغاز الذي لا يزال يعتمد عليه بالتدفئة في الدور القديمة التي لما يسعدنا الحظ بامتداد أنابيب الماء الحار اليها .

ووسائل النقل العام والمواصلات تتلاءم وعظمة العاصمة تماماً ففي جانب السيارات الصغيرة المعدة للأجرة ( تاكسي ) ولها مواقعها الخاصة في الشوارع الكبيرة ، والسيارات الخاصة الآخذة في الزيادة بعد أن تحول انتاج معامل السيارات من الانتاج الحربي الى الانتاج المدني ، في جانب هذه وتلك الباصات الاعتيادية والباصات المسيرة بالطاقة الكهربائية ( Trolley - Buses ) دون خطوط حديدية وعلى عجالات من المطاط والترام ( الحافلة الكهربائية ) ثم المترو ( Metro ) والبواخر الجوياري في الأنهار والقنوات . فالحافلات الكهربائية آخذة في الزوال ( شأن الحال في معظم المدن الغربية ) وتخلفها الباصات الكهربائية والباصات العادية ولكليهما الخطوط العديدة وكلها نظيفة وتسير بنظام دقيق . ويعد المترو من مفاخر هذه العاصمة إذ بذت به أمثاله في العواصم الأخرى قاطبة لا بنظافته ودقة العمل فيه



فحسب بل بفتخامة التصميم ومظاهر الترف الماثلة في محطاته البادية فوق الأرض وفي ممشيه الفسيحة المحفورة تحت الأرض . فقد بدى بإنشاء الخطوط الحديدية تحت الأرض في سنة ١٩٣٢ تخفيفاً للازدحام الذي بدأ في وسائل النقل المختلفة في جانب السرعة الفائقة في التنقل بين أجزاء المدينة المختلفة ورخص الأجرة . واقتصر امتداد الخطوط الأولى على ما وصل ما بين المرافق العامة كمحطات سكك الحديد والمحطات العامة والمسارح وبين مركز العاصمة بأقصر طرق الوصول وتم الانشاء سنة ١٩٣٥ واتسع بعدها نطاق شبكة المواصلات هذه حتى خلال الحرب الوطنية ( هكذا يسمون الحرب العالمية الثانية ) مما جعلهم يشيرون الى ذلك في بعض الأماكن من الخط المذكور . ومحطات المترو حري بها أن تدعى بالقصور لفخامة مظهرها وسعة الممشي تحت الأرض وما زينت به جدرانها من رخام وتمائيل ولوحات التصوير فاهيك بمحلات بيع المربطات وبيع الجرائد وبعض المأكول ، وانتظام السير في القطارات والنظافة البالغة في أماكن الجلوس ، والسرعة التي تبلغ فيها ٦٠ كيلومتراً في الساعة . وقد أحصى عدد الركاب اليومي فبلغ مليونين . وقد شاهدت هذا الترتيب البديع عندما ركبت فيه مع رفاقي من المحطة المركزية الى المحطة القريبة من المفوضية السورية ولم نلاحظ أثراً للوضاء التي ترى عادة في مثل هذه الحال ، ولاحظنا بين الركاب احترام الشباب والشابات للمسنين والمسنات وللأطفال وتركهم لهم المقاعد في حال الازدحام .

هذا وإن الصرامة التي تطبق بها القوانين والأنظمة المسنونة قد جعلت الناس يتحاشون المخالفة ، فلم أر ولم أسمع خلال إقامتي في هذه البلاد عن أي حادث اصطدام أو دهس أو سواه مما يكثر حدوثه في البلاد الأخرى . وقد علمت أن إجازة السير التي تعطى الى السائق يتقاضى فيها عن إتيانه بثلاث مخالفات مدى قيامه في العمل يكتفي حيال هذه الثلاث بالجزاء النقدي أو تنزيل المرتب

الشهري ، وفي الإجازة الممنوحة إليه ثلاث دوائر صغيرة يحق للشرطي أن يثقب كل واحدة منها إثر اقتراف السائق إحدى المخالفات ومتى تم ثقب الدوائر الثلاث وأتى السائق بمخالفة رابعة سحبت منه إجازة السوق فوراً وما عليه بعدها إلا أن يرقب مصيره الجديد بأن يكسب قوته من عمل شاق آخر إن في بلده أو في أقصى مجاهل سبيريا .

وترتبط موسكو بالبلاد الأخرى بشبكة من سكك الحديد عددها ١١ خطاً توصل بينها وبين أقصى البلاد في الشرق ، وإن من الخط الحديدي الذي دشّن في مطلع عام ١٩٥٤ ما يوصل بين هذه العاصمة وبكين . وتنتهي هذه الخطوط أو تبدأ من محطات أقيمت في إحدى الساحات العامة وعددها ٩ بناؤها . أشبه بالقصور ويختلف المظهر الخارجي في كل منها عن الآخر اختلافاً بيناً ، وإن من أقدم هذه المحطات محطة ( Leningradsky ) وقد صافرنا منها إلى ليننغراد ومضى على تشييدها أكثر من مائة عام وأحدثها محطة ( Kazansky ) وهي أوسعها وأشجعها تمتاز بما تحويه من غرف عديدة للانتظار مع وسائل الراحة الكاملة لآلاف من الركاب ولهذا المحطة فندقها الخاص في جانب المطعم الأنيق والمخازن المعدة لتنظيف الثياب ورفوها والوحدة الطبية التي تتألف من عدة أطباء وممرضات ومكاتب للبرق والهاتف والبريد وباعة المرطبات وغيرها .

ومحطات سكك الحديد لكل منها وسائل النقل المختلفة من حافلات كهربائية وباصات وخطوط مترو في جانب المواقف المخصصة لسيارة الأجرة العديدة . والخطوط الحديدية التي تربط العاصمة وخواحيها مسيرة بالطاقة الكهربائية ، بينما الخطوط الطويلة لا تزال تسير بالوقود واستبدال هذه بالكهربائية آخذ بالامتداد سنة بعد أخرى وسيأتي وصف داخل هذه القطارات عند ذكر سفرنا من موسكو إلى ليننغراد والعودة منها .

وينضم الى وسائل النقل البرية المذكورة وسائل النقل النهرية التي تنشط في فصل الصيف ففي سنة ١٩٥٢ افتتحت القناة التي توصل بين نهرى الولا ( Volga ) ودون ( Don ) وبها تم ربط موسكو ببهار أوروبا الخمة جاعلة إياها مرفأ لما . ومع شق هذه القناة فقد عمق نهر موسكو حتى أصبح صالحا للملاحة النهرية ، وتوفرت به المياه الفزيرة التي تحتاج إليها العاصمة لأجل شؤون المدينة أو لمعاملها المختلفة ، وبالسدود السديدة التي أنشئت أمكن توليد الطاقة الكهربائية المستعملة في الشؤون المختلفة ، وتوفر ثقل المحاصيل الزراعية والبضائع المختلفة بأقصر الطرق وأقلها كلفة .

( للبحث صلة )

الدكتور حسني صبح

# أهل الكهف

في غرناطة ودمشق وبزنطية

وجدتُ ، أثناء اشتغالي بوضع فهرس عام للمخطوطات العربية في اسبانية ، مخطوطاً في المكتبة الوطنية بمدريد ، اسمه « كتاب الجغرافية في مساحة الأرض وعجائب الأصقاع والبلدان »<sup>(١)</sup> لم يثبت اسم مؤلفه عليه ، ولكن تبين لي من قراءة المخطوط أنه أُلِفَ في القرن السادس الهجري . وقد ساق المؤلف فيه نصاً ذا شأن ، يدل على أن الرواية الشعبية في غرناطة وما جاورها ، في القرن السادس ، كانت تذكر أن بقرب غرناطة كهف الرقيم ، وأن فيه أهل الكهف . وقد لفت هذا النص انتباهي ، لأن الرواية الشعبية تذكر أيضاً في دمشق ، حتى أياضنا هذه ، أن أهل الكهف هم في سفح قاسيون ، كما أن المصادر المختلفة تذكر أن أهل الكهف هم في بزنطية أو غيرها من البلدان .

إن تعدد مكان مقدس واحد في بلدان مختلفة ظاهرة تثير الانتباه . وأكثر الأماكن تعدداً ما كان له صبغة دينية مقدسة كقبور الأنبياء ، وقبور بعض الصحابة ، وقبور بعض آل البيت .

ففي دمشق يوجد رأس يحيى بن زكريا ، وفي حلب أيضاً . ويقولون إن في مسجد دمشق قبر هود ، ويذكر ياقوت أنه بحضر موت . ويزعمون أن في الكتيب الأحمر ، قرب مسجد القدم ، قبر موسى ، ويقولون إنه في فلسطين .

---

(١) انظر : F. G. Robles, *Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid*. p. 60, No CXXI



ويجعلون قبر عائشة في قبة المال الغربية بمسجد دمشق ، وفي البقيع .  
وقبر سَكينة بنت الحسين بدمشق وفي المدينة <sup>(١)</sup> .  
الى غير ذلك من الأمثلة .

وتفسير ذلك أن كل بلدة من البلدان الإسلامية كانت تريد أن تختص بفضل يجعلها مباركة أو مقدسة أو متقدمة على غيرها . وهذا لون من ألوان التنافس بين البلدان الإسلامية الذي ظهر على أشكال مختلفة <sup>(٢)</sup> . فليس من الغريب أن تعتمد أما كن الكهف فتدعيه دمشق ، وغرناطة ، والبلقاء ، ويزنطية وغيرها . ونود أن تقدم هنا النص المتعلق بكهف جبل شليل قرب غرناطة ، ثم نقيسه بما ورد من نصوص تتعلق بكهف دمشق وكهف يزنطية .  
قال مؤلف الكتاب :

« وفي أسفل هذا الجبل ( هو جبل شليل ) ، من ناحية المغرب ، مدينة غرناطة عمرها الله . وهي مدينة عظيمة من أحسن بلاد الأندلس ، وبقر منى بها باثني عشر فرسخاً الكهف الرقيم . وصورة هذا الكهف جُرف عال . . . . . وفيه خمس ( كذا ) أناس من بني آدم ، قد بيست جلودهم على أعظامهم ، إذا قر من أحدهم طنّ طيننا كالنحاس ، قد تقشّر من بعض جلودهم شيء يتقلب الناس لهم ، إلا الأوسط منهم فإنه لم يقشّر . والكل منهم قائم الذات لم يتفصل من أحدهم عظم واحد . وعند الأوسط منهم عظام كلب .

قال مؤلف هذا الكتاب : رأيتُ هذا الكهف عام اثنين وثلاثين وخمس مئة ، وعلى هؤلاء الأشخاص ملحفة من الكتان ، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية . وهم في خلقهم أعظم ما يكون من الناس في هذا الزمان . وقد يبسوا . وأما ( آخر ص ١٧ من المخطوط ) حين كانوا أحياء كانوا والله أعلم في أعظم خلقه .

(١) انظر عن هذه الأمثلة ياقوت ، معجم البلدان ( مادة دمشق ) ؛ والهروي في الزيارات ؛ والرّبي في فضائل الشام ودمشق ؛ والمدوي في كتاب الزيارات (٢) انظر الوانّا أخرى من التنافس في مقدمتنا لكتاب فضائل الشام ودمشق للرّبي

قال المؤلف : قد عدتُ عظام هذا الكلب فلم ينقص شيء . ولقد رأيتُ في قِمار ظهره ثلاثة أو أربعة ( كذا ) منفصلة ، ومن مفاصله كذلك . ولولا تقليب الناس لهم ما تناثر من عظامهم < شيء > غير أنها لم تأكل الأرض منها شيء . . . .

وذكر أهل التاريخ : لما دخلوا المسلمين ( كذا ) الأندلس عام إحدى وتسعين سألوا الروم عن الكهف والذين فيه . فقال علماء الروم والأساقفة : ما لنا بهم علم . غير أن آباءنا وأجدادنا أخبرونا أنهم لما دخلوا هذه البلاد سألوا أهلها عنهم ، فما كان فيهم من يعرف لهم خبرا ، وقالوا : هكذا وجدناهم حين دخلنا هذه الأرض . . . .

قال المؤلف : من أعجب ما رأيته ، ومن أغرب ما أبصرته في هذا الكهف ، أمرٌ إذا نُظر إليه بعين البصيرة ودُبِّر بالعتل ظهر فيه برهان أهل الكهف . وذلك أنه اجتمع في مدينة لوشة - وهي على مقربة من هذا الكهف - أقوام من أهل الفساد ، فجعلوا جُملاً لمن يمشي لهذا الكهف وبأتيتهم بامارة واضحة . وكان هذا كله بالليل . فخرج منهم رجل من أهل غرناطة فقطع أذن الأوسط وأتى بها إلى أصحابه . فعندما دخل عليهم بالأذن صاح صائح حتى ارتعدت له لوشة ولم يبق فيها صغير ولا كبير إلا استيقظ ، وصاحب الصوت يُنادي : قد قُطعت أذن يميلينا من أهل الكهف ، وارتجت المدينة لذلك ، وأتى الناس كأنما قادم قائد إلى ذلك . فأخذوا الأذن منهم . وأخذ القوم محمد بن سعادة ، وكان يومئذ صاحب الشرطة ، فضر بهم بالسياط حتى هلكوا . فلما أصبح الله بخير الصباح سار محمد بن سعادة وجماعة من الناس معه إلى الكهف فوجدوا أذن الواحد منهم قد قُطعت ، وهو المعروف يميلينا ، فخطاوها في موضعها ، وأمر محمد بن سعادة يمينان الرقيم الذي كان على رأس الكهف . وذلك أنه كان عليه أثر مسجد قد دثر . فأقامه محمد بن سعادة ورد محرابه إلى القبلة .

وذلك في آخر عام اثنين وثلاثين وخمس مئة ٠٠ ( آخر ص ١٨ من المخطوط ) ١٠ هـ .  
فيظهر من هذا النص أن الناس بلوثة وما جاورها كانوا يعتقدون أن هؤلاء  
أصحاب الكهف ، وأن محمد بن سعادة <sup>(١)</sup> صاحب الشرطة أعاد بناء الكهف  
والمسجد . وأن علماء الروم وأساقفتهم كانوا لا يعلمون من خبرهم شيئاً عندما  
دخل المسلمون الأندلس عام ٩١ هـ ، وإنما سمعوا من آبائهم وأجدادهم أنهم  
وجدوهم على حالتهم تلك . ومعنى ذلك أن نسبة المكان الى أصحاب الكهف ،  
واعتبار الموق في أصحاب الكهف المذكورين في القرآن من صنع المسلمين  
أنفسهم بتأثير ماورد في القرآن الكريم <sup>(٢)</sup> .



أما كهف دمشق في جبل قاسيون ، فما تزال الرواية الشعبية ، المتداولة على  
السنة العامة ، تذكر أنه الرقيم ، وأن فيه أصحاب الكهف . وقد جاءت النشرة  
الجديدة لتاريخ دمشق تبطل هذه الرواية .

ليس بين أيدينا نصوص تصف هذا الكهف وأصحابه ، إلا ما ذكره  
ابن عساكر <sup>(٣)</sup> . ومنه يظهر أن الكهف بُني في سنة ٣٧٠ هـ بناء أبو الفرج  
محمد بن عبد الله المعروف بابن المعلم ، المتوفى سنة ٤١٠ هـ . وعندما عدّ أبو الحسين  
الرازي الآثار بمدينة دمشق <sup>(٤)</sup> لم يجعله فيها لأنه لم يكن بُني بعد . وكان  
اسمه كهف جبريل و كهف محمد . وعندما بدأ المقدسة يسكنون جبل قاسيون

(١) ترجم له ابن الأبار في التكملة . رقم الترجمة ٧٤٦ توفي محمد بن سعادة سنة ٥٦٦ هـ

(٢) ذكر ياقوت ( مادة الرقيم ) أن في برّ الأندلس أيضاً موضعاً يُقال له جنان  
الورد به الكهف والرقيم أيضاً ، وبه قوم موقى عدتهم ثلاثة عشر رجلاً .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ( المجلد الثانية ، القسم الاول )  
ص ١١١ - ١١٢ . ( تحقيقنا )

(٤) المصدر السابق .

كان الكهف فيما وجدوه في السفع<sup>(١)</sup> . ولم يسم قط في النصوص القديمة إلا كهف جبريل ، حتى في المصادر المتأخرة ، فقد ذكره النعماني ثلاث مرات في التبيين بهذا الاسم<sup>(٢)</sup> . وكذلك ذكره ابن طولون . أما سبب بنائه فروياً رآها ابن المعلم<sup>(٣)</sup> . وقد تحدث هو بنفسه عن ذلك فقال :

« بالله أعتصم من الكذب ، وأسأله أن ينطق لساني بالصدق . رأيت جبريل عليه السلام في المنام ، فقال لي : إن الله تعالى بأمرك أن تبني مسجداً يصلّي فيه له ، ويذكر اسمه ، وهو هذا . فقلت : وأين هذا ؟ فسار الى هذا الموضع الذي أنا سميتُه كهف جبريل فقال : ها هنا . قلت : أتني لي بذلك ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى سيفوق لك من يعينك عليه .

« قال أبو الفرج : وأنا سميتُه كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد ﷺ ، رأيتُهما في المنام فيه . وموضعٌ يرى فيه جبريل ومحمد . . . من أجل بقاع الأرض . وجبل دمشق هذا ما نبت شجرة قط ولا ظهر فيه ثمرة . فلما رأيت جبريل ومحمداً عليهما الصلاة والسلام أنبت الله تعالى بركتهما الشجر ، وظهر فيه الثمر وأكل الناس ما لم يؤكل فيه قط . وصار مسجداً من مساجد الله تعالى يذكر فيه اسمه . . » اهـ .

فهذا النص يبطل الرواية الشعبية ، وأعتقد أن وجود كهف في جبل قاسيون ،

(١) ابن طولون ، الفلاند الحوهرية ١ : ٤١ ( تحقيق دهران ، دمشق ١٩٤٩ )

(٢) النعماني ، تبيين الخصال ( طبع باسم الدارس في تاريخ المدارس ، بتحقيق الأمير جعفر الحسني ) ، انظر الزاوية الداودية ، والزاوية المهادية ، والتربة الكاملة

(٣) انظر ترجمة ابن المعلم في الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٣٢٢ ( تحقيق ديدرنغ

دمشق ١٩٥٣ )



وتأثير القرآن في نفوس الناس دعاهما الى الاعتقاد بأن الكهف هو الرقيم (\*) .

★

### في يزنية

أما كهف يزنية فقد وردت عنه روايتان ، الأولى عن عبادة بن الصامت في القرن الأول ، والثانية عن محمد بن موسى التميمي في القرن الرابع . وتختلف الروايتان في تحديد مكان الكهف . فيجعله عبادة في جبل أحمر بالقرب من قسطنطينية ، وتجعله الرواية الثانية بين عمورية ونيقية على عشرة أيام من طرسوس .

الرواية الأولى : يقول عبادة :

« بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، سنة استخلف ، الى ملك الروم أدعوه الى الاسلام أو آذنه بحرب . قال : فسرت حتى دخلت بلد الروم . فلما دنوت الى قسطنطينية لاح لنا جبل أحمر قيل إن فيه أصحاب الكهف والرقيم . فوصلنا الى دير ، وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل . فقلنا لهم : إنا نريد أن ننظر اليهم . فقالوا : أعطونا شيئاً . فوهبنا لهم ديناراً . فدخلوا ودخلنا معهم في ذلك السرب . وكان عليه باب حديد . ففتحوه ، فانتبهنا الى بيت عظيم محفور في الجبل ، فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود ، وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم الى أرجلهم ، فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أو وبر أم غير ذلك ، إلا أنها

(\*) ليس الكهف هو الرقيم ، لا في القرآن الكريم ، ولا على ألسنة الناس ، بل قال المفسرون : الكهف : النقب المتسع في الجبل ، وما لم يتسع فهو غار ، قال القرطبي بعد أن سرد روايات في معنى الرقيم : ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث وذلك من نيل المملوكة وهو قول مفيد . وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم .

وكيف يكون الكهف نفس الرقيم في القرآن وقد عطف فيه الثاني على الأول ، والمطف يقتضي التأخير ؟ قال كهف غير الرقيم ( لجنة المجله )

كانت أصلب من الديباج . وإذا هي تقعع من الصفاقة والجودة ، ورأينا على أكثرهم خفافاً الى أنصاف سوقهم وبعضهم متعللين بنعال مخصوفة ، ولخفافهم ونعالهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم ير مثله . فكشفنا عن وجوههم رجلاً بعد رجل ، فإذا بهم من ظهور الدم وصفاء الألوان كأفضل ما يكون للأحياء ، وإذا الشيب قد وخط بعضهم ، وبعضهم شبان سودُ الشعور ، وبعضهم موفورة شعورهم ، وبعضهم مطحومة ، وهم على زي المسلمين . فانتبهنا الى آخرهم ، فإذا هو مضروب الوجه بالسيف ، وكأنه في ذلك اليوم ضرب . فسألنا أولئك الذين أدخلونا عن حالهم ، فأخبرونا أنهم يدخلون اليهم في كل يوم عيد لهم ، يجتمع أهل البلاد من سائر المدن والقرى الى باب الكهف فنقيمهم أياماً من غير أن يمسهم احد ، فننفض جبايهم وأكسيبتهم من التراب ، وننقلهم أظافرهم ، ونقص شواربهم ثم نضعهم بعد ذلك على هبتهم التي ترونها . فسألناهم : من هم وما أمرهم ومنذ كم هم بذلك المكان ؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم بمكانهم ذلك من قبل مبعث المسيح عليه السلام بأربعمائة سنة ، وأنهم كانوا أنبياء بُشوا بعصر واحد ، وأنهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً . «<sup>(١)</sup>

إن هذه الرواية منقولة عن عبادة بن الصامت . وعبادة هو - كما هو معروف - أحد النقباء الاثني عشر . ويذكر ابن سعد<sup>(٢)</sup> انه « خرج الى الشام حين غزاهم المسلمون فلم يزل بالشام الى أن توفي » في الرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين . وورد أنه ذهب الى فلسطين ، أرسله اليها عمر ليعلم أهلها القرآن فأقام بها الى أن مات<sup>(٣)</sup> . وذكر أن عمر وجهه الى الشام قاضياً ومعلماً

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان ( مادة الرقيم )

(٢) ابن سعد ، الطبقات ٣ / ٢ : ١١٣

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢

فأقام بجمص ثم انتقل الى فلسطين ومات بها<sup>(١)</sup> ولكننا لم نجد من ذكر أمر إرساله الى ملك الروم .

وأما الرواية الثانية فنقلها محمد بن موسى - وكان الواثق وجيهه الى بلاد الروم للنظر في أصحاب الكهف - قال : فوصلنا الى بلد الروم ، فاذا هو جبل صغير قدر أسفله أقل من ألف ذراع ، وله سرب من وجه الأرض ، فتدخل السرب فتتر في خف من الأرض مقدار ثلاث مئة خطوة فيُخرجك الى رواق في الجبل على أساطين منقورة . وفيه عدة آيات منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة عليها باب حجارة فيه الموتى ورجل موكل بهم يحفظهم معه خصيان ، واذا هو يبيدنا عن أن نراهم ونفتشهم ويزعم أنه لا يأمن أن يصيب من التمس ذلك آفة في بدنه . يريد التحويه ليدوم كسبه . فقلت : دعني أنظر اليهم وأنت يري . فصعدت بشقة عظيمة غليظة مع غلام من غلاني فنظرت اليهم ، واذا هم في مسوح شعر تنفت باليد واذا أجسامهم مطلية بالصبر والمر والكافور ليحفظها ، واذا جلودهم لاصقة بعظامهم . غير أني أمررت يدي على صدر أحدهم فوجدت خشونة شعره وقوة ثيابه . ثم أحضرنا المتوكل بهم طعاما وسألنا أن تأكل منه ، فلما أخذناه منه ذقناه وقد أنكرت أنفسنا ونهوت عنا ، وكأن الخبيث أراد قتلنا ، أو قتل بعضنا ليصح له ما كان يموت به عند الملك أنه فعل بنا هذا الفعل أصحاب الرقيم . فقلنا له : إنا ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى وليس هؤلاء كذلك . فبركناه وانصرفنا<sup>(٢)</sup> .

وهذا النص لا يذكر عدد أصحاب الرقيم ولا يذكر كليهم . فضلا عن أن قول محمد بن موسى « ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى » يشعر بأنهم لم يؤمنوا بأنهم أهل الكهف .

(١) ابن الهاد ، شذرات ١ : ٤٠

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ( مادة الرقيم )

وإذا استبعدنا دمشق ، لأن النص الذي نقلناه واضح أن الكهف الذي في جبالها كهف جبريل ، نجد أن النصوص التي نقلناها عن كهف غرناطة ، وكهف جبل الورد ، وكهفي بزنطية متضاربة : تتضارب في عدد الموتى ، ووجود الكلب وفقدانه ، وملابس الموتى ، وهيئاتهم ، وأماكن وجودهم . ولقد أنكر ياقوت - مثلاً - أن يكون عددهم ثلاثة عشر فقال : والصحيح أن أصحاب الكهف سبعة ، وإنما الروم زادوا الباقي من عظماء أهل دينهم وعالجوا أجسادهم بالصبر وغيره على ما عرفوه . . . »

. وكل ذلك يدل على أن مكان وجود الكهف غير ثابت . وأغلب الظن أن المسلمين ، كانوا ، بتأثير القرآن الكريم ، يحسبون كل كهف وجدوه في بلد من البلدان رقباً ، ويظنون الموتى الذين يصادفونهم في الكهوف والمقابر الرومانية القديمة أصحاب الكهف المذكورين في القرائن . ومن هنا تعددت الأماكن ، وتعدد أصحاب الكهف .

الدكتور صلاح الدين المنجد



# ياقوت الكلام في ما ناب الشام

لابن حجة الحموي

## المقدمة

وقعت الفتنة عام ٧١٩ هـ بين الملك الظاهر برفوق<sup>(١)</sup> وبين نائب حلب يلبغا الناصري الذي انضم اليه تبرغا الأفضلي المدعو منطاش نائب ملاطية . وتفاقم أمر العصاة حتى انهم تقدموا الى القاهرة وخلصوا السلطان ومجنوه في قلعة الكرك . ثم أعيد الصالح حاجي بن الأشرف للسلطنة ولقب بالمنصور . واختلف منطاش مع يلبغا ، فبينما كان الأول يود أن يأمر بقتل برفوق في سجنه ، كان الثاني يعارض في ذلك ولم يلبث يلبغا أن سجن بأمر منطاش .

واستطاع السلطان برفوق أن يتخلص من سجنه ليجمع الأعوان ، وصار يريد دمشق . فهزم متولي نيايتها جتتمر أخو طاز بشقحب<sup>(٢)</sup> قرب دمشق ، واستمال كثيراً من أمراء الشام فانحازوا اليه ، وصار في عسكر كبير فنزل على قبة يلبغا وقد امتنع أهلها بها وبالفوا في تحصينها فحصرها وأحرق التقييات وخربها ، وأهلك خلقاً كثيراً ، وجد أهل المدينة في قتاله ، واستمر جتتمر بقاوم من القلعة .

وعندما ورد الخبر الى منطاش خرج من القاهرة ومعه الخليفة والسلطان المنصور والقضاة والعلماء والجند ، فاضطر برفوق أن يترك حصار دمشق ليصدم العسكر

---

(١) برفوق أول سلاطين دولة المماليك الشراكسة تولى الحكم سنة ٧٨٤ هـ ولحقه عن العرش حاجي بن الأشرف آخر ملوك المماليك البحرية . وتوفي برفوق سنة ٨٠١ هـ انظر السلوك .

(٢) انظر السلوك للقريري منسوخ سنة ١٣٤٧ هـ على نفقة دار الكتب المصرية عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة لدينا برقم ٤٥٥ .

المصري . ودارت الدائرة عليه أولاً ثم أتيحت له فرصة فريدة فاستولى على خيمة الخليفة والسلطان ، وعاملها بالحسنى ، وانضم إليه الجند من كافة النواحي فأمرع بالعودة الى مصر حيث أفرج عن يلبغا ، وأرسله لقتال منطاش وعينه أميراً على دمشق .

وسار الظاهر يرقوق الى دمشق وكان يحاصرها منطاش فأمرع هذا بالفرار ودخل السلطان المدينة بحفاوة بالغة لأنه أعلن العفو عن كل الناس ، ثم تقدم الى حلب حيث خان رئيس البدو حليفه منطاش ، فسلمه الى السلطان فعذبه بالسبي حتى مات سنة ٧٩٥ هـ .<sup>(١)</sup>

وتتضمن هذه الرسالة المقروءة على المؤلف ابن حجة الحموي وصفاً رائعاً للحريق الكبير الذي أصاب دمشق أثناء الحصار الذي خربه عليها السلطان يرقوق كما تقدم ذكره . وقد أرسل الرسالة الأصلية الى نحر الدين بن مكناس<sup>(٢)</sup> ناظر دولة المالك الشراكسة في القاهرة .

والرسالة تعطينا صورة حية نادرة المثال ، واضحة مؤثرة عن فاجعة الحريق الذي أصاب دمشق الجميلة ومحلاتها ، وأنهارها ، ومتنزهاتها ، وينتقل إلى رثائها ومقابلة حالتها الحاضرة المحزنة بما كانت عليه من عيش رغيد ، وظل مديد ، وماء كثير . والمؤلف يروع خلال وصفه في إيراد صور بديعية تحفز الحنين والوجد ، وتعلم الذكريات الممتعة الكامنة في نفسه . . . فيطوف في دروبها ضائع الخطى ، يحبس اللفة ، ويث القارىء شكواه وتشاوبقه . وقد ذكر ابن العماد الحنبلي هذه الرسالة في الشذرات فقال فيها إنها (مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها . . .)<sup>(٣)</sup> . غير أنه يجعل تاريخ الحريق في شعبان سنة ٧٩٤ هـ بينما الرسالة تذكر أنه كان في سنة ٧٩١ هـ والصحيح

(١) نفس المصدر ٣ : ٥٦٩ وما يليها

(٢) اغنيل بالسنة ٧٩٤ هـ انظر السلوك ٣ : ٥١٤ والشذرات ٩ : ٣٣٤

(٣) شذرات الذهب ٣ : ٣٣٢ القاهرة ١٣٥١ هـ

ما ذكره ابن حجة لأنه شاهد عيان معاصر ، كما أن المقرئ في السلوك وابن أبياس في تاريخ مصر يميلانه في سنة ٧٩١ هـ . (١) .

يصل كاتب الرسالة ابن حجة الى دمشق فيرى الخريق ، ويطوف بظاهر البلد مبتدئاً من قبة يلغا وميماً الى الشمال من البلد ، وينحرف الى الشرق فالجنوب منها ويصف أثناء ذلك حالة القلعة والفراديس والسبعة والباب الشرقي فباب كيسان فالباب الصغير ويعود من حيث بدأ .

ثم يذكر الأنهار واتقطاعها والريوة والشرف والوادي . وأخيراً يدخل البلد ليرى المسجد الجامع الأموي ومأذنته العروس وباب البريد ويدور حول المسجد ويسرد أحوال أهل المدينة في كل محلة يمر بها بأسلوب جميل مسجع يحتوي ضرورياً من الاستعارة والتورية والجناس والمقابلة والاقتباس والحجاز . . . . . والسجع جعله لا يراعي النحو في نهاية العبارة مما يلحظه القارئ بسهولة .

أما مؤلف الرسالة فهو تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ، أديب وشاعر كبير ولد بحماة سنة ٧٧٧ هـ وقدم دمشق ومدح أعيانها واتصل بخدمة نائبيها الأمير شيخ الحمودي وقدم صحبته القاهرة . فلما تسلطن قرّبه وجعله من ندمائه ، وعظم في الدولة ومات في حماة سنة ٨٣٧ هـ على ما يذكر ابن العماد (٢) .

وقد اعتمدت في نشر هذه الرسالة على النسخة الفوطوغرافية منها الموجودة في خزانة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة والمنقولة عن الأصل الموجود في مكتبة ( خدائش تبة ) بالآستانة .

وتقع الرسالة في ثمانين ورقة من القطع الصغير ، في كل صفحة ( ١٩ سطراً ) وطول السطر ( ٧ ستمترات ) وهي بقلم محمد بن أحمد الملا الحلبي في القرن العاشر أو الحادي عشر . وقد جهدت ، ما وسعني ، إلى إيضاح النص وإثبات ما يحتاج شرحه من الكلمات في ذيل كل صفحة .

أحمد طريبن

(١) انظر السلوك وابن أبياس ١ : ٢٨٢

(٢) انظر الشذرات ٧ : ٢١٩

## بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال أخبرنا الشيخ أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي ، قراءة عليه ،  
وكتب بها إلى القاضي فخر الدين بن مكاس بالقاهرة ، وسمها ( ياقوت الكلام فيما  
ناب الشام ) وذلك حين كان الملك الظاهر يرقق محاصر دمشق سنة إحدى وتسعين  
وسبعمائة وحرقت في حصاره المذكور ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾<sup>(١)</sup> يقبل الأرض  
التي من يحميها أو تيسم بثراها حصل له الفخر والمجد . فلا يرح هيام الوفود  
إلى أبوابها أكثر من هيام العرب إلى ربا نجد . ولا زالت فحول الشعراء  
تطلق أعنة لفظها وتركض في ذلك المضمار . وتهيم بواديها الذي يجب أن  
ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الأشعار . وينهي بعد أشواق أمست الدموع  
بها في محاجر العين معشرة ، ولو لم يقرأ إنسانها بمرسلات الدمع لقلت في حقه  
﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾<sup>(٢)</sup> ، وصول المملوك إلى دمشق المحروسة فياليت  
قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول . ودخوله إليها ولقد والله تمنى خروج  
الروح عند ذلك الدخول . فنظر المملوك إلى قبة بليغا<sup>(٣)</sup> وقد طار بها طير الحمام  
( ١١ ) وجئت حولها تلك الأسود الضاربة ، فتطيرت في ذلك الوقت من القبة  
والطير وتعوذت بالفاشنة . ودخلت بعد ذلك إلى القبيبات<sup>(٤)</sup> التي صغر اسمها  
لأجل التحيب ، فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنساً بحبيبه فأنشده  
لسان الحال : « قفا نيك من ذكرى حبيب »<sup>(٥)</sup> . ونظرت بعد القباب إلى

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٥٨

(٢) سورة عس ٨٠ : ١٧

(٣) قبة ظاهر دمشق ، السلوك ٣ : ٢٦٩

(٤) القبيبات علة الميدان الفوقاني اليوم

(٥) مطلع معلقة امرئ القيس



المصلى<sup>(١)</sup> وما فعلت به سكان تلك الخيام<sup>(٢)</sup> . والتفت الى بديع ينوته التي حسن بناء تأسيسها وقد فسد النظام .

فسال ، وقد وقفت ، عقيق دمي على أرض المصلى والقباب . ونظرت الى ذلك الوادي النسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا . فتوهمت أن وادي المصلى<sup>(٣)</sup> قد تبدل بوادي الفضا .

فسقى الفضا والسكنى وإن هم شيوخ بين جوانح وقلوب<sup>(٤)</sup> ونظرت الى النار وقد أرادت سي ذلك النادي فشت عليه من فوارس الغارة . ولقد كان والله ربيعاً لسرح العيون فلم يبق به ربيع ولا عمارة . وركضت في ميدان الحصا<sup>(٥)</sup> فوجدت أركانه كما قال تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾<sup>(٦)</sup> . ودخلت قصر الحجاج<sup>(٧)</sup> وقد مدت به النار من ضرورة في موضع القصر . وأصبح أهله في خسر ، وكيف لا وقد صار عبرة لأهل العصر . وتأملت تلك الألسن الجرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع وكنت السكان . وتطاوت بألسن الأُسنة وانتقام<sup>(٨)</sup> الأتراك فاندesh أهل دمشق وقد كلّموا بكل لسان . ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفته في سورة ( ا ب ) الدخان . فوجب بأن أجري الدمع على وجيب كل ربع وأنشد ، وقد دخل صبري بعد إن في خير كان :

(١) محلة باب المصلى في الميدان اليوم ، انظر دمشق القديمة للنجد

(٢) سكان الخيام يعني المحاصرين من عسكر برقوق

(٣) للبحري في مدح يعقوب بن أسحق النوبختي ، ديوان البحتري ص ٥٧ مطبعة هندية بمصر سنة ١٩١١

(٤) ميدان كان جنوبي الباب الصغير وسميت محلة الميدان باسمه

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٤

(٦) محلة كبيرة في ظاهر باب الجاية منسوب للحجاج بن عبد الملك بن مروان معجم

البلدان لياقوت طبعه ومستفاد ج ٤ ص ١١

(٧) انتقام من القتمة وهي المعجبة في المنطق ( القاموس المحيط )

«دمعٌ جرى فقعى في الربع ما وَجَّيا»<sup>(١)</sup>

ووقفت أندبُ على عرصاتِها التي قمحت بالبين فغابت من أهلها الظنون . وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسل فصدق المثل بأن القمح يدور ويحيى . الى الطاحون . وتطرفت بعد ذلك الى الحدادين<sup>(٢)</sup> وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد . ﴿آتوني زير الحديد﴾<sup>(٣)</sup> . ولقد كان يوم حريقها ﴿يوماً عبوساً فظيراً﴾<sup>(٤)</sup> . وضع المسلمون فيه من الخيفة وقدرأوا ﴿سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾<sup>(٥)</sup> . هذا وكما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ، ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأثدت من شدة الكرب :  
 آها لمصر أين مصر وكيف لي بديار مصر مراتماً وملاعبا  
 والدمر سائمٌ كيف ما حاولته لا مثلُ دهري في دمشق محاربا  
 يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد . وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الأُسنة بألسنة حداد .

ولقد نسفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة لغادبة . وكم رؤي في ذلك اليوم ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية﴾<sup>(٦)</sup> . وكم أُرجل قلا عند لحيب بيته ﴿تبت يدا أبي لب﴾<sup>(٧)</sup> وخرج هارباً ﴿وامراته حمالة الحطب﴾<sup>(٨)</sup> وشكى الناس من شدة الوهج (آ٢) وهم في الشتاء وصاروا من هذا الأمر يتعجبون . فقال لهم لسان النار أتعجب من الوهج والحريق

(١) صدر بيت للتي في مدح المقيث العجلي - العرف الطيب لليازجي ص ١٢ طبع

بيروت سنة ١٨٨٢

(٢) حلة تحت القلعة

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٩٧

(٤) سورة الدهر ٧٦ : ١٠

(٥) سورة الدهر ٧٦ : ٤

(٦) سورة الناشية ٨٨ : ٣

(٧) سورة تبت (اللب) ١١١ : ١

(٨) سورة تبت (اللب) ١١١ : ٤

هو في كانون ؟ ولعمري لو عاش ابن نباتة <sup>(١)</sup> ورأى هذا الحال وما تم على أهل دمشق في كانون لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال :

يا لهف قايي على وادي دمشق ويا حزني عليه ويا شجوي وبادائي  
في شهر كانون واقاه الحريق لقد أحرق بال نار يا كانون أحشائي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة <sup>(٢)</sup> المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا  
﴿أزفت الآزفة﴾ <sup>(٣)</sup> . وقد سترها بروجها من الطارق <sup>(٤)</sup> بتلك الستائر وهم  
يتلون ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ <sup>(٥)</sup> . واستجلبت عروس الطارمة <sup>(٦)</sup>  
عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الأرواح هر . وقد أقعدت على  
رأسها تلك العصاب <sup>(٧)</sup> وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار  
النهر . وغازلت بحواجب <sup>(٨)</sup> قسيها فرمت القلوب من عيون مراميهها بالنبال .  
وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكمالاً كانت السهام لها أميال . وطلبها  
كل من المحاصرين وقد علا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية .  
وراموا كسئها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عالية . وتالله  
لقد حرصت بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرص في الاسحار ، وقد استيقظوا لحمل  
قسيهم ولم تنم أعينهم عن الأوتار . فأعيد رواسيها التي هي كالجبال الشائخة  
بمن أسس المحجوج <sup>(٩)</sup> . وأحصتها قلعة بـ ﴿السماء ذات البروج﴾ ( ٢ ب )

(١) ابن نباتة هو خطيب سيف الدولة الحمداني . انظر الشذرات

(٢) قلعة دمشق

(٣) سورة النجم ٥٣ : ٥٨

(٤) الطارق إشارة إلى العدو المحاصر « وفيه تورية بسورتي البروج والطارق »

(٥) سورة النجم ٤٣ : ٥٧

(٦) الطارمة بيت كالقبة من الخشب وهي من الفارسي المرب - يحيط المحيط وتاج  
العروس ويريد هنا مثذنة القلعة

(٧) العصاب ج عصاية : جماعة المحاربين في القلعة

(٨) حواجب قسيها : المجموعة خلف الفجوات في القلعة

(٩) المحجوج أي المقصود وهنا البيت العتيق ( الكعبة ) .

وتطاوتُ إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات .  
فما وقفنا له على باب إلا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح <sup>(١)</sup> تلخيصاً لما  
أبداه من المشكلات . فقلت ما أحقه بقول من قال :

فضائله سور على المجد حائط وبالعلم هذا السور أضحى مشرفاً  
كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصره . ونصبوا دعت الحرب ولم يعلموا  
بأنه قد طبّخ لهم على كل باب قدره . فلا وأيّك لو نظرته يوم الحرب وقد  
تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ﴿ وتنفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ <sup>(٢)</sup>  
وإلى المحاصرين وقد جاؤوا راجلاً وفارساً ليشهدوا القتال لقلت ﴿ وجاءت كل  
نفس معها سائق وشهيد ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وإلى كواكب الأسنة وقد انتشرت ، وإلى  
قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثت ، وإلى كرز الفوارس وفرّها  
لقلت ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ <sup>(٤)</sup> . وإلى نار النفط وقد تفتتت <sup>(٥)</sup> .  
من غيظها . وإلى ذكور السيوف وقد وضعت المنايا السود وتعذرت من شدة  
الدماء لكثرة حيضها .

ومن العجائب أن يبض سيوفهم تلك المنايا السود وهي ذكور  
وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء ، وإلى أهذاب  
السهام وقد بكّت لما تنخضت بالدماء ، وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا  
وخضمه له تابع ، وإلى كل مدفع وقد وجد له عند حكم القضاء دافع ،  
وإلى قامات أفلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق . فاستصوبت  
عند ذلك رأي من قال : عرج ركابك ( ٣ آ ) عن دمشق <sup>(٦)</sup> . ونظرت بعد ذلك

(١) المفتاح: مفتاح العلوم للسكاكي والتلخيص هو تلخيص المفتاح للخطيب الفزويني وفي الكلام تورية

(٢) سورة ق ٥٠ : ٢٠

(٣) سورة ق ٥٠ : ٢١

(٤) سورة الانفطار ٨٢ : ٥

(٥) نفط ينقط أي غضب أو احترق غضباً ( تاج العروس )

(٦) إشارة إلى البيتين المشهورين :

عرج ركابك عن دمشق فانها . يلد تذل له الأسود وتخضع  
ما بين (جايها) و (باب بريدها) قر يغيب وألف شمس تطلع



إلى العشير وقد استحل في ذى الحجة المحرم ، وحمل كل قيسي يمانياً <sup>(١)</sup> وتقدم ،  
فجزع النساء وقد أنكرت منهم هذا الأمر العسير . فقلت غير بدع للنساء  
إذا أنكرن العشير . وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر <sup>(٢)</sup> فعوذته بالإخلاص <sup>(٣)</sup>  
وزدت شكراً وحمداً . وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد في سورة الفتح  
والمحصرين ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ﴾ <sup>(٤)</sup> . كم طلبوا فتحه فلم يجدوا  
لهم طاقة ﴿ وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله  
العذاب ﴾ <sup>(٥)</sup> . ونظرت الى ماتحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلاً قد  
محت النار آثاره . وأهلها يتلون ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
فما منهم إلا من همى شأنه <sup>(٧)</sup> على ﴿ صاحبه وبنيه ﴾ <sup>(٨)</sup> . وآخر قد استغنى  
بشأن نفسه فهم كما قال الله تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ <sup>(٩)</sup> .  
فوقفت أنشد في تلك الأسواق : « ألا موت يباع فأشتريه » . ونظرت إلى  
المؤمنين الركع السجود . وهم يتلون على من ترك في بيوتهم أخدوداً من وقود ،  
وقد سَعَرَت النار وقعد لحربهم في ذلك اليوم المشهود : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار  
ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ <sup>(١٠)</sup> . هذا  
وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب القرار .

(١) السيف اليماني

(٢) غربي دمشق وكان اسمه باب الجنان لا يليه من البنايين . انظر غطط دمشق  
القديمة للمنجد

(٣) سورة الإخلاص : ١١٢

(٤) سورة يس : ٣٦ : ٩

(٥) سورة الحديد : ٥٧ : ١٣

(٦) سورة الجمعة : ٦٢ : ١١

(٧) الشأن مجري الدمع من العين وهي سال .

(٨) سورة عبس : ٨ : ٣٦

(٩) سورة عبس : ٨٠ : ٣٧

(١٠) سورة البروج : ٨٥ : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

وكما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق فادام وقد عدم الاصطبار : ﴿ويا قوم  
 مالي ادعوك الى النجاة وتدعونني الى النار﴾<sup>(١)</sup> . ونظرت الى ضواحي البلد  
 وقد امتدت في وجوههم المذاهب (٣ ب) فلم يجدوا لهم من الضيق مخرج .  
 ﴿وضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾<sup>(٢)</sup> لما غلق في وجوههم باب الفرج<sup>(٣)</sup> .  
 فقلت : اللهم اجعل لهم من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ولعدم أموالهم من  
 كل عسر يسراً ، ولانتهاك مخدراتهم من كل فاحشة سترأ ، ولقطع الماء عنهم  
 الى كل خير سبيلاً . فآله حسينا ونعم الوكيل . هذا وكم نظرت الى سماء  
 ربع غربت شمس بعد الاشرار فأنشدت وقد ازددت كرباً من شدة الاحراق :  
 فديناك من ربع وإن زدتنا كرباً فإني كنت الشرق للشمس والغربا  
 وانتهيت الى الطواقيين<sup>(٤)</sup> وقد أسبل عليهم الحريق فندسه<sup>(٥)</sup> فكشفوا الرؤوس  
 لعالم السرائر . وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعطها  
 بغبه دائر . هذا وكم ناهدات

أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا  
 ووصلت الى ظاهر الفردائس<sup>(٦)</sup> وقد قام كل منهم الى فردوس بيته فاطلع  
 في سواء الجحيم . واندعشت لتلك الأنفس التي ماتت من الخوف وهي  
 تستغيث لـ ﴿لذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾<sup>(٧)</sup> . ونظرت الى

(١) سورة المؤمن ٤٠ : ٤١

(٢) سورة التوبة ٩ : ٢٦

(٣) باب المناخلة اليوم ، انظر دمشق القديمة للنجد

(٤) الطواقيين : باعة الطواقي وكان لهم علة في جنوب الجامع الاموي

(٥) القندس من الفارسي المعرب وهو حيوان يتخذ من جلده فرو تلبسه الأروام على

رؤوسها - شفاء النليل للخفاجي ١٦٥

(٦) علة الفردائس شمال دمشق وباب الفردائس هو باب المارة والملة هي علة

المارة ( ابن عساكر ٢ : ١٨٦ )

(٧) سورة يس ٣٦ : ٧٩

باب السلامه<sup>(١)</sup> وقد أخفت النار أعلامه . ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال في الصحة والسلامه . وإلى السلاحة<sup>(٢)</sup> وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود . وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الأرض ونضجت منهم الجلود . ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاعت عليّ الجهات الست فلم ترق لي دمة . وأكلت الأثامل من الأسف لما سمعت ( ٤٤ آ ) بحريق أطراف السبعة<sup>(٣)</sup> . فأعيز ما بقي من السبعة بالسبع ﴿ المثاني والقرآن العظيم ﴾<sup>(٤)</sup> فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد يته فاصفر لونه ﴿ وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾<sup>(٥)</sup> . وتغربت إلى ظاهر الباب الشرقي<sup>(٦)</sup> فنشرفت بالدمع من شدة الالتهاب . ولقد كان أهله من دار عنه وكرومه الكريمة في ﴿ جنتين من أعناب ﴾<sup>(٧)</sup> . وتوصلت إلى ظاهر كيسان<sup>(٨)</sup> فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنائير تلك الأزهار والدرام رباهما . وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت ﴿ باسم الله مجراها ﴾<sup>(٩)</sup> وكأبرت إلى أطراف الباب الصغير<sup>(١٠)</sup> فوجدت فاضل النار لم ﴿ يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾<sup>(١١)</sup> . فبالهني على عروس دمشق التي

- (١) من شمال دمشق ، سمي بذلك تفاقلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لا دونه من الأنهار والأشجار ، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٦ - ثم عرف بباب السلام ويسمى بباب الفرديس الصغير ، محاسن الشام للبدرى ص ٢٦
- (٢) شمال القيمرية اليوم ، انظر مخطط دمشق القديمة للنجد
- (٣) محلة في شرق مسجد اللصب تسمى محلة السبعة أنابيب القديمة
- (٤) سورة الحجر ١٥ : ٨٧
- (٥) سورة يوسف ١٢ : ٨٤
- (٦) سمي بذلك لأنه شرق البلد ، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٥
- (٧) سورة الكهف ١٨ : ٣٢
- (٨) محلة في الشرق الجنوبي من البلد ، انظر مخطط دمشق القديمة للنجد ، وكيسان هو مولى معاوية ، محاسن الشام ٢٤
- (٩) سورة هود ١١ : ٤١
- (١٠) سمي بذلك لأنه أصغر أبواب دمشق حين بنيت ، يقع في جنوب البلد ، محاسن الشام للبدرى ٢٤
- (١١) سورة التكويث ١٨ : ٥٠

لم يذكر مع محاسنها أسماء ولا الجيداء<sup>(١)</sup> . لقد كانت ست البلاد فاستعبدها  
ملك النار حتى تركها جارية سوداء . ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهب  
أحشاؤها بالاضطرام . وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدي الغمام ، فاستسقيت لها  
بقول ابن أسعد الموالي :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها مواطرُ السحب سارها وغاديا  
ولا يزال جنين التبت ترضعه حواملُ المزن في أحشا أراضيا  
فما نضا حبه قلبي لنيرها ولا قفى نجبه ودّي بواديا  
ولا تسليتُ عن سلسالِ ربوتها ولا نسيت ميني جارَ جاديا<sup>(٢)</sup>  
هذا وكم خائف قبل اليوم آويناها إلى ﴿ ربوة ذات قرار ﴾<sup>(٣)</sup> وكم كان بها  
يطرب طير جرح بعد ما كان يطرب على عود وطار . وبطل الجنك<sup>(٤)</sup> ( ٤ ب )  
لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له معنى . وكسر الدف<sup>(٥)</sup> لما خرج نهر المقتية  
عن المعنى . واستسجج الناس من قال<sup>(٦)</sup> :

انفضْ إلى الربوة مستمتعاً تيجدُ من اللذات ما يكفي  
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف  
وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل والبسر عسيرة . ولقد كان أهلها  
في ﴿ ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة ﴾<sup>(٧)</sup> فعبس بعد ذلك ثغر روضها  
الباسم . وضاع من غير تورية عطره الناسم . ولم ينظم الزهر المنشور على ذلك  
الوشي المرقوم رسالة من النسيم محرية . وكيف لا وقد يحيي سجع المطوق<sup>(٨)</sup>

(١) جيداء : طويلة العنق حشته تاج العروس ٢ : ٣٢٣

(٢) الجادي : الزعفران - تاج العروس

(٣) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥١

(٤) من منزهات دمشق في غربي المدينة - غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢

(٥) من منزهات دمشق في غربي المدينة - غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢

(٦) الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفي - محاسن الشام ص ٨٧

(٧) سورة الواقعة ٥٦ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٨) سجع : ترجيع الحمام . المطوق من الحمام : نوع له ما يشبه الطوق على عنقه



من طروس تلك الأوراق النباتية . وكم عروس زهر قعد لمصمها النقش فلما  
انقطع عنها النهر صبح أنها قشرت السوار . وكم دولاب نهر<sup>(١)</sup> كان قد حسن  
غناه على تشبيب النسيم بالقصب وهو في تلك الأديار . فوقفت أندب ذلك العيش  
الذي كان بذلك التشبيب موصول . وأنشد ومنزل دمعني قد ترك القلب مثله معلول :  
لم لا أشتب بالعيش الذي اقترضت أوقاته وهو بالذات موصول —  
ونقص يزيد<sup>(٢)</sup> فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه . وانقطع ظهر  
ثورا<sup>(٣)</sup> فأهلك الحرث والنسل بقطعه . وذاب يردا<sup>(٤)</sup> وحي مزاجه لما شعر  
بالحريق . ولم يبق في ثغره إلا شنب بدر حصائه ما يبل الربق . وانقطع وقد  
اعتل من غيظه باناس<sup>(٥)</sup> ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس . وجرى  
الدم من شدة الطعن بالقنوت<sup>(٦)</sup> . وكسرت قناة ( ه آ ) المزة<sup>(٧)</sup> فذاقت  
من العيش المر بعد حلالة تلك القطوف الدانيات . وكسر الخلخال<sup>(٨)</sup> لما قام  
الحرب على ساقه . وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه .  
وخر نهر حميص خاضعا وتكدر بعده ما كان يصفى لنا قلبه . وافتقر أغنياء  
غصونه من خبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبه . طالما كان أهله به فاكهين .  
ولكنهم ﴿ اعترفوا بذنبيهم ﴾<sup>(٩)</sup> فقالوا ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾<sup>(١٠)</sup> .

- (١) دولاب نهر - ناعورة  
(٢) نهر يزيد معروف يتصل عن بردى قرب قرية الهامة ١٢ كم من دمشق ، ويزيد  
الثانية - يزيد بن معاوية  
(٣) نهر ثورا أو ثورة يتصل عن بردى قرب الشاذروان ، خطط دمشق ٣٠  
(٤) نهر بردى  
(٥) نهر باناس أو بانياس يتصل عن بردى قرب الربوة - الخطط ٣٤  
(٦) نهر القنوت يتصل عن بردى قرب الشاذروان  
(٧) نهر قناة المزة يتصل عن بردى في قرية درويقي قسماً من المزة الخطط ٣٤  
(٨) الخلخال نهر عند باب السريحة اليوم  
(٩) سورة الملك ٦٧ : ١١  
(١٠) سورة المدثر ٧٢ : ٤٥

وذبت غصون تلك الجزيرة <sup>(١)</sup> . التي كانت على وجنات شطوطه مستديرة .  
 فقلنا بعد عروس دمشق وحماها : لا حاجة لنا بجميـص الجزيرة . فيالهي على منازل  
 الشرق <sup>(٢)</sup> وذلك الوادي <sup>(٣)</sup> الذي نعتق به غراب البين . وباشوقي إلى رأس  
 تلك المرجة <sup>(٤)</sup> التي كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين .  
 هذا وقد اسودت الشقراء <sup>(٥)</sup> وأمت كاية لما حصل على ظهرها من الجولان .  
 وجانسا العكس فأضحيت باكية على فراق الأبلق <sup>(٦)</sup> وأخضر ذلك الميدان <sup>(٧)</sup> .  
 ويامولانا لقد بكى المملوك من الأسف بدمعة حمراء على ماجرى من أهل  
 الشهباء <sup>(٨)</sup> في الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال :

قل للذي قايس بين حلب وجلق بمقتضى عيانيها  
 ما تلحق الشهباء في حلبها تعثر الشقراء في ميدانيها

فقال لسان الحال : والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد ، ويكبو الجواد ، وقد  
 يصاب الفارس بالعين التي تغمر قناته غمزا

ومن ظن أن سيلاتي الحروب [د] أن لا يصاب فقد ظن عجزا  
 ودخلت بعد ذلك الى ( هـ ب ) البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينه .  
 فقلت : يارب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة . ولكن ما دخلت لها  
 الى حمام إلا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما . وعلم القوام والقاعدون

(١) الجزيرة هي المكان القائم اليوم في محلة المرجة ( ساحة الشهداء )  
 (٢) الشرف له يقصد هنا الشرف الأعلى حيث يقوم اليوم المثل الزراعي والتجهيز  
 الأولى للذكور .. أما الشرف الأدنى فيقوم عليه المستشفى الوطني وكلية الجامعة  
 ودار الآثار والتكية ( انظر غوطة دمشق لكرد علي )

(٣) وادي الربوة

(٤) المرجة الخضراء : الملعب البلدي اليوم

(٥) الشقراء محلة مطلة على المرجة الخضراء : انظر غوطة دمشق ص ٥٠ . والبدرى ٧٤

(٦) الأبلق هو العصر الأبلق بناء الظاهر يبرس سنة ٦٦٨ هـ . على مايروي ابن  
 طولون المتوفي سنة ٩٣٥ وكان قد رآه . انظر غوطة دمشق ص ٢٥ .

(٧) يقصد ميدان المرج المشوش .

(٨) الشهباء : حلب

بأرضه انها ﴿ساعات مستقرًا ومقامًا﴾<sup>(١)</sup> ، وتلي على بيت قاره ﴿قلنا يا نار  
كوني بردًا وسلامًا﴾<sup>(٢)</sup> ، فحسن أن أنشد قول ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى :

الحار عندك بارد والنهر عندك منقطع

والعين ما ماء فيها إيش يعمل القوام

وأيت بعد ذلك الى الجامع الأموي فإذا هو لأشتات المحاسن جامع . وأتيت  
طالبًا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والانتباس من ذلك النور الساطع .  
وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية . وتشوقت الى النظم  
والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية . وآنت من جانب طوره نارًا فرجع  
الى ضياء حسي . واندھشت لذلك الملك السلياني وقد زها بالبساط والكرمي .  
وقلت هذا ملك سعيد من وقف في خدمته خاشعًا . وشقي من لم يدس بساطه  
ويأتيه طائعا . ولقد صدق من قال :

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحاة مشروح

فان يتغالي بالجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة<sup>(٤)</sup> مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته . ورأيت من شدة  
الظلم وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته ، وخفض النسر<sup>(٥)</sup> جناح القل وود

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٦

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٦٩ . وردت في الأصل قلنا نار .

(٣) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الواعظ المتفنن صاحب التصانيف  
الشهيرة في أنواع العلم ونظم النثر المليح توفي سنة ٥٩٧ هـ . شذرات الذهب

ج ٤ ص ٣٢٩

(٤) باب الزيارة : قبلي المسجد الأموي وكان يسمى باب الساعات كانت عليه .

مسجد دمشق ، المتجد من ٢٥ . وهذان البيتان من شعر الشيخ جمال الدين محمد

ابن نباتة ، محاسن الشام ص ٤٦

(٥) النسر يريد قبة الأموي الكبرى شبهوها بالنسر في شكله لأن الروايات عن

عينا وشمالها كالأجنحة لها ، محاسن الشام لبديري ص ٣٦

بأن يكون النسر الطائر . وطمست مقل تلك المصاييح فأندهش (٦ آ) لذلك الناظر .  
 هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ولم تجد له بعد اكسير الماء جابر . واختفت  
 نجوم تلك الأطباق التي كانت كالعلائق في جبد النسق . ومرت حلوة نازها  
 بعدما ركبت ﴿ طبقاً عن طبق ﴾ (١) . وأصبح بعد تلك النضارة والتعيم ذابل .  
 وكادت قناديله لتفقد الماء أن تقطع السلاسل . ولم تشر الناس بأصابعها الى  
 فصوص تلك الخواتم المذهبة . ولم يبق على ذلك الصخر طلاوة بعد الماء وحلاوة  
 سكبها الطيبة . ونظرت الى ملون رخامه الذي فاق في نظمه بالتدييع والترصيع .  
 فاستجمل حتى كأننا ما رأينا له نوعاً من أنواع البديع . كم طالعت به من لوح  
 كتبت هوامشه بالذهب فاكتسى نضارة (٢) الدّوح . ولكنه عجي وهو يقول  
 بهذا جرى القلم في اللوح . وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة .  
 وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة (٣) وأنشد من شوقه :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما      في وسعه لسي إليك المنبر (٤)

وودت العروس (٥) أن تكون مجاورة لحمايتها لتبل ريقها يرحيق الأمن إذا نظرت  
 إلى طاصي المحمدية وقد دخل الى جناتها . ونظرت إلى فوار أبي نواس (٦) وقد  
 انقطع بعدما كان يثب ويتجرى . وكاد أن ينشد من شعره لعذم الماء :  
 « ألا فاسقني خمرأ » (٧) .

(١) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٩

(٢) في الأصل نظارة

(٣) الغيضة بالفتح الأجمة وهي مجتمع الشجر في مفيض ماء - تاج العروس

(٤) من قصيدة البحري في وصف موكب الخليفة المتوكل وقد خرج لصلاة العيد . وفي  
 الديوان : فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما... ديوان البحري ١ : ٢١٢ مصرسة ١٩١١

(٥) مثذنة الأموي الشبالية

(٦) القبة التي في وسط صحن المسجد الأموي فيها الماء الجاري من فوار يسمى العامة قبة  
 أبي نواس - البداية والنهاية ٩ : ١٥٩

(٧) إلا فاسقني خمرأ وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

(ديوان أبي نواس ٢٧٣ مصر ١٨٩٨ .)



ودخلت إلى الكلاسة<sup>(١)</sup> وقد علا بها غبار الحزن فتهدت من الأسف على كل ناهدة • ورثبت للنساء وقد فقدن بعد تلك الأنعام المائدة • واستطردت إلى باب البريد<sup>(٢)</sup> فوجدت خيول الماء الجارية قد قطعت عن تلك المراكز • ونظرت إلى السراج الأكبر وقد انعقد (٦ ب) لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز • ونظرت إلى أهل الصلاة وقد لبسوا في هذه الواقعة من الصبر دروع • وقد استعدوا بسهام من الأوعية أطلقوها من قسي الركوع •

مريشة بالهدب من جفن ساهر منصلة أطرافها بدموع

ونظرت إلى الريان من العلم قد اشتد لفقد الماء ظاه • وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق إلى باب المياه • ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود<sup>(٣)</sup> فوجدت كلاً منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه • وتأملت أهل الساعات<sup>(٤)</sup> وقد صار عليهم كل يوم بسنة • وتزلت في ذلك الوقت من الساعات إلى الدرج<sup>(٥)</sup> في دقيقة • فأنتهيت إلى مجاز طريق الفوار<sup>(٦)</sup> فوجدته كأن لم يكن له حقيقة • كم وردته وهو كأنه سنان يطعن في صدر الظما • أو كشجرة كدتا نقول إنها طوبى لما طهرت و﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾<sup>(٧)</sup> • أو مغترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا • فرفع له لأجل ذلك فوق قناته راية بيضا • أو عمود وفاء أشارت الناس إليه بالأصابع • أو ملك طالب الناس بودائع • حتى كأن إكليل الجوزاء له من جملة الودائع • أو أبيض طائر علا حتى قلنا

(١) في شمال المسجد الأموي سميت بذلك لأنها كانت موضع عمل السكس أيام بناء الجامع

(٢) الباب الغربي للمسجد الأموي سمي بذلك لأن بريد الوليد بن عبد الملك كان

ينزل به - انظر دمشق القديمة للنجيد ٢٨

(٣) الشهود كان مجلسهم عند درج الأموي الشرقي ، انظر رحلة ابن جبير

(٤) الساعات يقصد ساعات الجامع الأموي كانت في الباب الشرقي ، انظر ابن جبير

(٥) درج الأموي الشرقي

(٦) ينزل عليه من باب جيرون ويسمى التوفرة اليوم

(٧) سورة إبراهيم ١٤ : ٢٤

إنه يلتقط حبات النجوم الثواقب . أو شجاع ذو همة عالية « يحاول ثاراً عند  
بعض الكواكب » (١) . تخفض لفقد الماء مناره واختفى بعد ما كان أشهر من  
علم . وجدع أنفه بعد وطالما ظهر وفي عرينه شمم . فقلت :

لست أنسى الفوار وهو ينادي غيض مائي وعطل الدهر حالي (٢)  
فتمنيت من لهيبي أني (٣) أشتري غيظه بروحي ومالي

فلا والله ما كانت إلا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه . وابتسم ثغر دمشق  
عن شنب الري بعد ما نشف ريقه في فيه . هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت  
بعد ما كانت على ساق وقدم . وبطلت آلتها التي كان لها على تحريك الأوتار  
وجنى العيدان نغم . واعتقل الرمح بسجن السلم . بعد ما كان على رأسه لواء  
الحرب معقود . وهجمت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة في الحد  
نقص في الحدود . وفاضت غدران الرحمة على رياض الأمن فأثبتت من المسرة  
نباتاً حسناً (٤) ف الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (٥) .

وبعد فالمعذرة في فهاة (٦) هذه الرسالة التي هي في رياض الأدب بأقلية (٧) ،  
والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدي تلك المواقف السجانية (٨) . وليكن  
عمولاً على متن الحلم كلامها الموضوع . فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور  
وفؤاد مصدوع . وذهن ضعف ولم يجد لكثير ضعفه عاصماً ولا نافع . وراحلة  
فكرت أمست عند سيرها إلى غايات المعاني ظالع (٩) .

(١) عجز بيت لآتي تمام في مدح أبي دلف الدجلي ، والصدر : حال تمادت في العلو  
كأنما - ديوان أبي تمام مصر سنة ؟

(٢) في الأصل ( أن )

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٣٧

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣٤

(٥) فيه الرجل يفه فهاة : عي ، محيط المحيط

(٦) بأقلية نسبة لرجل أحق اسمه بأقل يقرب به المثل في المعنى والنهاة

(٧) سجانية نسبة لسجيان وائل المشهور بالبلاغة

(٨) يقال يسير ظالع إذا كان يتقي ويعرج ( وجاءت في الأصل ضالع )

فسيروا على سيري لأنني ضعيفكم وراحلي بين الرواحل ظالع  
هذا وكم تولد للمملوك في طريق الرمل من عقلة . وكم ذاق من قطاع الطريق  
أنكاداً حتى ظن أنه لعدم النصرة لم يجد له إلى الاجتماع وصلة . وكلما زعق  
عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التي هي نعم الكنانة . وأنشد وقد تحير  
في الرمل لفراق ذلك التخت الذي أعزّه الله سلطانه . (٧ ب)

من زعقة الغراب بعد الملتقى فارقت مصرأ وبها أحيائي  
وفي طريق الرمل صرت حائراً مسرعاً من زعقة الغراب  
واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام وهو على تلك الحالة فبش الحال وبش  
الاستقبال . فوالرحمن ما وصل لها إلى مكان إلا وجده قد وقعت فيه الواقعة  
واشتد القتال . وحصدوا سبل الرشاد فدرست . فلا أعاد الله لصد حربيهم  
دروس . وأداروا رحي الحرب بقلوب كالأنجار فطحنت عند ذلك الرؤوس .  
من كل عاد كعاد في تجبره من فوق ذات عماد شادها إرم<sup>(١)</sup>  
لا يجمعون على غير الحرام إذا تجمعوا كجباب الراح وانتظروا  
وانتهت الغاية بالمملوك إلى أنه شليح بقرب الكسوة<sup>(٢)</sup> في الشتاء . وانتظرت  
ملك الموت وقد أمسبت مهجة في النازعات<sup>(٣)</sup> وعبرة في المرسلات<sup>(٤)</sup> وفكرة  
في هل أتى<sup>(٥)</sup> . هذا والليل قد انطفت مصايح أنواره وعسعن ، حتى أيقنت  
بموت الصبح وقلت لو كان في قيد الحياة تنفّس . وذهب المملوك وقد زودوه

(١) عاد الأول المادي ، والثانية عاد المذكور في القرآن الكريم .

(٢) الكسوة ضاحية جنوبي دمشق سميت باسم كسوة الحمل الذي كان يسافر منها  
إلى مكة المكرمة كل عام - المقابلة بين التلحيع والكسوة هنا

(٣) سورة النازعات ٧٩

(٤) سورة المرسلات ٧٧

(٥) سورة الدهر ٧٦

عند قسم الغنيمة بسهم • ففرح ولم يجد له تعديلاً ولكنه صبر على الألم بعد  
ما كان يدمى من الوهم • ولم يلق له مجيراً لما قوي ألمه وضعف منه الحيل •  
إلا أنه دخل تحت ذيل الليل • فوصل إلى البلاد وقد ودّ يومه لو تبدل بالأمس •  
ولم يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس • ولكنه أنشد :

ما تفعل الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه

فأعاذ الله مولانا وبلادنا من هذه القيامة القائمة ، وبدأ به في الدنيا ببراعة ( ٨٨ آ )  
الأمن وفي الآخرة بحسن الخاتمة ، تم • ( ٨ ب )



# أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية  
عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٨ -

مدرستا بغداد والأندلس وموقف ابن جني منها

أما مدرسة بغداد : فقد قامت بعد المدرستين البصرية والكوفية ، لما تأسست  
بغداد وأخذ علماء المدرستين يتزحون إليها ، فكانت يأتها العلمية مبدأنا للصراع  
الثقافي بين المذهبين ، وكانت المناقشات العلمية جد حادة بين الفريقين . وعلى  
الرغم من أن تلك المناقشات قد قربت بين وجهات نظر الفريقين إلا أنها أضعفت  
المدرسة الكوفية التي كانت - لو ازدهرت - ترفع من شأن البيان العربي ،  
أو تبعد النحو عن قسوة المنطق وقسوة الأقيسة والتعليلات . وقد كان من  
نتائج هذه المدرسة أن ألقت بعض الكتب التي عمد أربابها إلى البحث في مسائل  
الاختلاف بين المدرستين ككتاب الأخصاف في مسائل الاختلاف بين المدرستين  
لابن الأنباري وغيره .

يقول العلامة طه الراوي : لما أنشئت بغداد كان الكوفيون أسبق الناس  
إليها لمكانة الكوفة من بغداد من الوجهتين السياسية والجغرافية ، ولهذا وجدنا  
أن علماء الكوفة اتصلوا بقصور الخلفاء والأمراء واحتلوا الصدور من حلق تدريسها  
ومحافل آدابها ، فكان الكسائي عند الرشيد ، والفراء عند المأمون بالمكانة السائدة ،

وكان مذهب الكوفة ما عمت من التساهل في التأصيل والتفريع ، ومن ثم وجدنا تلاميذهم من البغداديين مولعين بالروايات الشاذة يتفاخرون في النوادر بالترخيصات ، واعتمدوا على الفروع ولم يأبهوا للأصول ، ومن هنا تولد مذهب مضطرب النواحي كثير التعاريج عرف بمذهب البغداديين ، ولما كان هذا المذهب أحط من آية الكوفي طرحه الجمهور وما أقاموا له وزناً<sup>(١)</sup> .

والأستاذ العلامة الراوي قاس في حكمه على المدرسة البغدادية ، ولا عجب فانه كان من الأعلام المتشدين الحريصين على العناية بحفظ تراث اللغة ، كما ورد عن فصحاء أربابها ، لا أهل اللغات النادرة ، والروايات الشاذة ، وإلا فانت المدرسة البغدادية على الرغم من تساهلها لم تأت بمذهب منقطع ، ولا كان الكوفيون في مذهبهم على تلك الصورة البشعة التي صورها المرحوم الراوي ، ولكنه كما قلنا كان شديد الاعتزاز بعروته رأى في المذهب البصري المذهب الصحيح القوي السالم فأجبه ودعا اليه وإلا فإن نخبة مدرسة بغداد على الرغم من تساهلهم ومن اعتمادهم على طريقة مدرسة الكوفة فانهم قد اتصلوا بنفر من علماء مدرسة البصرة في منتصف القرن الثالث حين أخذ هؤلاء يهاجرون الى بغداد وينشرون مذهبهم فاتبعهم البغداديون في كثير من مسائل العربية<sup>(٢)</sup> .

وقد ظلت المدرسة البغدادية ناشطة فترة طويلة من الزمن الى أن تغلب المتغلبون على الخلافة الاسلامية العباسية في بغداد كالحمدانيين والسماتيين والطولونيين والبويهيين والمرداسيين والسلاجقة وغيرهم عن أرادوا أن يجعلوا في عواصمهم البعيدة عن بغداد حركات علمية فضعفت مدرسة بغداد بعض الضعف وظلت تصاول وتجادل معاكسات الدهر الى أن احتلها المغول ففرقوا شمل علمائها وقضوا على كثير منهم أو ألجأهم الى الشام ومصر والمشرق .

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الراوي . ص ١٢٨

(٢) راجع التفريع على التوضيح ٢ : ١٧٣ ، ٢٧١ ، ٣٧٣ . ومع الهوامع للسيوطي

١ : ٢٣٥ و ٢ : ١٤٩ ومتني اليب لابن هشام ١ : ٩٧ و ٢ : ٨٧ .

ومن أشهر نخبة المدرسة البغدادية :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المروزي الكوفي ( ٢٧٦ - )  
الأديب الكاتب العلامة المحدث الأشهر ، ولد في بغداد سنة ٢١٣ وقصد  
الكوفة فتعلم على أئمتها ونبغ فيها ثم عاد إلى بلده .

تلقى العلم عن أبي حاتم السجستاني سهل بن محمد البصري الفخري اللغوي ( ٢٥٥ - )  
وعن اسحق بن ابراهيم بن راهويه المحدث الفقيه الراوية ( ٢٣٨ - ) وغيرهما  
وكان فاضلاً بارعاً في علوم اللغة والنحو والشعر متفتناً في العلوم والآداب وله  
كتب جليلة مشهورة ، قال الخطيب البغدادي والجلال السيوطي : هو صاحب  
النصائيف المشهورة والكتب المعروفة منها ( غريب القرآن ) و ( غريب الحديث )  
و ( مشكل القرآن ) و ( مشكل الحديث ) و ( أدب الكتاب ) و ( عيوب  
الأخبار ) و ( كتاب المعارف ) و ( اعراب القرآن ) و ( جامع النحوي ) الكبير  
والصغير . و ( المسائل والأجوبة ) وغيرها (١) .

وأبو حنيفة : احمد بن داود الدينوري ( ٢٨٢ - ) الرياضي الأديب الكاتب  
اللغوي أخذ العلم عن أئمة البلدين والكثير عن ابن السكيت . وكان من نوادر  
العلماء الذين جمعوا بين آداب العرب وحكم الفلاسفة .

قال السيوطي في البغية : كان فحوباً لغوياً مع الهندسة والحساب وكان  
من نوادر الرجال وكان راوية ثقة ورعاً زاهداً أخذ عن الكوفيين والبصريين  
وأكثر عن ابن السكيت صنف كتاب ( لحن العانة ) و ( الشعر والشعراء )  
و ( الأثواء ) و ( النبات ) الذي لم يؤلف مثله في معناه و ( تفسير القرآن )  
و ( إصلاح المنطق ) و ( الفصاحة ) و ( الجبر والمقابلة ) و ( البلدان ) و ( الرد  
على لفدة ) (٢) .

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وبيروكلمان G.A.L. ١ : ١٢٠

والذيل ١ : ١٨٤

(٢) بغية الوعاة ص ١٣٢

وكان إماماً جليلاً وبلغاً فاضلاً اختلف العلماء مرة في مجلس أبي سعيد السيرافي في التفضيل بينه وبين الجاحظ فسأله فقال : أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وطبعا فقل : لا بد ، فقال : أبو حنيفة أكثر ندارة وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني أبي عثمان لائقة بالنفس سهلة في السمع ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب وأدخل في أساليب العرب <sup>(١)</sup> وقال أبو حنبلان التوحيدي في كتاب تعريف الجاحظ بعد أن أورد كلمة السيرافي : والذي أقول وأعتقد .. أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تعريفهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأخذ الله يزولها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ، أحدهم هذا الشيخ ( الجاحظ ) ... والثاني أبو حنيفة ... والثالث أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ... »

وقد أطنب ياقوت في ترجمته وعدّد فضله وسمى كتبه التي خلفها فأرجع إليها إذا شئت <sup>(٢)</sup> وقد تقبنا عن الباقي منها فلم نجد إلا ( كتاب النبات ) وكتابا ينسب إليه وهو ( الأخبار الطوال ) المطبوع المتداول <sup>(٣)</sup> .

وعبد الله بن عبد العزيز أبو موسى الضرير البغدادي ( — ١٢٥٥ ) كان مؤدب ولد الخليفة المهدي ، وكان من الأفاضل رحل إلى مصر وسكنها وحدث فيها عن أحمد بن جعفر الدينوري وروى عنه يعقوب بن أحمد النخيري . وله من الآثار ( كتاب الفرق ) وقد ضاع ، وكتاب في الكتابة والكتاب عنوانه ( كتاب الكتاب وصفات الدواة والفلم ) ومنه نسخة فريدة <sup>(٤)</sup> .

(١) مسجم الأدباء طبعة دار المأمون ٣ : ٢٧

(٢) راجع بروكلمان ١ : ١٢٣ والتذيل ١ : ١٨٧ والفهرست لابن التميمي ص ٧٨ وضحى الإسلام لأحمد أمين ١ : ٤٠٦

(٣) راجع البنية للسيوطي ٢٨٥ و بروكلمان التذيل ١ : ١٨٧



وأبو علي الحسن بن عبد الله الاصفهانى المشهور بلقب لُغْدَة أو لُكْدَة  
(— فى أواخر القرن الثالث) وهو إمام نحوي بلداني لقوي جليل قال السيوطي :  
كان إماماً فى النحو واللغة جيد المعرفة بفنون الأدب وحسن القيام فى القياس  
أخذ عن الباهلي صاحب الاصمعي ، والكرماني صاحب الأتخفش وكان يحضر  
مجلس الزواج ويكتب عنه ثم خالفه ، وكان بينه وبين أبي حنيفة الدينوري  
مناقضات وكان فى طبقة . ولم يكن له فى آخر أيامه نظير فى العراق (١) .  
وقال ياقوت : قدم بغداد وكان جيد المعرفة بفنون الأدب حسن القيام  
بالقياس موقفاً فى كلامه وكان إماماً فى النحو واللغة وكان فى طبقة أبي حنيفة  
الدينوري . . . قال محمد بن اسحق النديم وله من التصانيف ( كتاب الرد على  
الشعراء ) تقضه عليه أبو حنيفة الدينوري و ( كتاب النطق ) و ( كتاب الرد على  
أبي عبيد فى غريب الحديث ) و ( علل النحو ) و ( المختصر فى النحو ) و ( كتاب  
المشاشة والبشاشة ) و ( كتاب تقض عل النحو ) و ( كتاب الرد على ابن قتيبة  
فى غريب الحديث ) (٢) وقد ضاعت هذه الكتب جميعاً فيما أعلم ، ولم يبق  
من آثاره إلا كتاب ( مياه وجبال وبلاد جزيرة العرب ) (٣) .

وأبو اسحق ابراهيم بن اسحق بن بشر الحربي ( — ٢٨٥ ) كاتب قنبا  
بالأدب ، جماعة للغة ، بارعاً بالنحو ، حافظاً للحديث ، عالماً بالفقه . أخذ الأدب  
عن أبي العباس ثعلب وكان ثعلب يقول : ما فقدت ابراهيم الحربي من مجلس نحو  
أو لغة خمسين سنة . وقال محمد بن صالح : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثلاً  
ابراهيم الحربي فى الفقه والأدب والحديث والزهد . وقال الدارقطني : كان إماماً

(١) بنية الوعاة ص ٢٢٢

(٢) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢

(٣) راجع ذيل بروكلمان ٢ : ١٨٨ ومعنى الأستاذ المحقق حمد الجاسر بنشره وتحقيقه  
فما حدثني وفقه الله .

يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه ، وفي الحقيقة أنه كان مصنفًا عالمًا محيطًا بعلوم عصره بارعًا فيها ، صدوقًا ثقة ، وكان صديقًا للإمام أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة . روى عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شيبة وطبقتهما وتخرج به جماعة منهم أبو عمرو الزاهد وأبو بكر ابن الأنباري ، والحسين الحاملي وغيرهم . وقد خلف آثارًا جليلة في العربية والحديث والأدب واللغة ولم يبق منها سوى ( غريب الحديث ) و ( أكرام الضيف ) وقد طبع بمصر <sup>(١)</sup> .

وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ( — ٣٧٠ ) كان بارعًا باللغة والعربية والقراءات والأدب ، دخل بغداد سنة ٣١٤ فقرأ على أبي بكر ابن دريد وأبي عبد الله نبطويه وأبي بكر بن الأنباري وأبي عمر الزاهد وابن مجاهد ومحمد بن مخلد العطار . وروى عنه أبو بكر الخوارزمي الأديب الكاتب ، والمعافا بن زكريا . صافر إلى حلب واتصل بسيف الدولة الحمداني واختص به وأدب أولاده وبقي هناك فانتشر تلاميذه وفشا مذهبه ، وجرت له مع أبي الطيب المتنبي مناظرات ومحاورات وحوادث . قال السيوطي : كان من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب وكانت الرحلة إليه من الآفاق ، وقال الداني : عالم بالعربية ، حافظ للغة بصير بالقراءة ثقة مشهور .

ومن آثاره النحوية ( الجمل ) و ( الاشتقاق ) و ( إعراب ثلاثين سورة من القرآن ) و ( كتاب ليس ) و ( الالفات ) و ( المذكر والمؤنث ) و ( كتاب القراءات ) وغيرها ولم يبق من آثاره هذه إلا ( إعراب ثلاثين سورة ) و ( كتاب الشجر ) و ( كتاب يس ) و ( كتاب الریح ) و ( شرح ديوان أبي فراس الحمداني ) <sup>(٢)</sup> .

(١) راجع بقية الوعاة للسيوطي ص ١٧٨ ونزعة الألباء ص ٢٧٥ وتاريخ الخطيب البغدادي ٦ : ٢٧ وبروكلمان التذيل ١ : ١٨٨

(٢) راجع بقية الدهر ١ : ٦٧ ، والنزعة لابن الأنباري ٣٨٣ ، ووفيات ابن خلكان رقم ١٨٦ ومعجم الألباء ٤ : ٤ وشذرات الذهب لابن المهدي ٣ : ٧١ وبروكلمان ١٢٥ : ١ والتذيل ١ : ١٩٠

وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلي ( ٣٨١ - ) وكان منافساً لابن خالويه وهو أحد العلماء المشهورين المتقنين لعلوم العربية واللغة أخذ عن أبي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي ، أصله من عسكر مكرم تعلم في بغداد ثم قدم الى حلب واتصل بسيف الدولة وعظمت مكانته عنده لفضله وأدبه ، ترجمه السيوطي في البغية فأثنى عليه وقال : « الامام الاٌوحد له التصانيف الجليلة منها ( مراتب النحويين ) و ( لطيف الاتباع ) و ( كتاب الابدال ) و ( شجر الدر ) وقد ضاع أكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة ، وقال الصفي : أحد العلماء المبرزين المتقنين بعلمي اللغة والعربية ... أقام بحلب الى أن قتل في دخول المستنق حلب سنة احدى وثمانين ولم يبق لنا اليوم من كتبه إلا ( مراتب النحويين - اللغويين - ) و ( شجر الدر ) و ( كتاب الابدال ) (١) .

وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني البغدادي ( ٢٩٧ - ٣٨٤ ) ولد ببغداد وتعلم فيها وتبع في علوم الادب والعربية والتاريخ ، وكان رجلاً كريماً يفضل على تلاميذه وأساتيذه . وكانت داره نادياً لأهل العلم وكان من عادته أن يضع بين يديه زجاجة خمر فلا يزال يشرب ويكتب وهو مقسم الفكر بين الواقع والخيال وكان راوية واسع الرواية صادق اللهجة واسع المعرفة كثير السماع وكان من خيار المعتزلة وصنف كتباً كثيرة في العربية وأخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر وكان حسن التصنيف ويقال إنه كان أحسن تصنيفاً من الجاحظ .

ومن آثاره العديدة الجليلة ( المفصل في البيان والفصاحة ) و ( المقتبس ) في أخبار النحويين البصريين ، وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة ، و ( الموشح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء ) من

(١) بنية الوعاة ص ٣١٧ وروكمان G.A.L. التل ١ : ١٩٠

الكسر واللحن وغيوب الشعر . . وقد عدّ له ياقوت آثاره وعدد أوراقها وهي كثيرة جليلة وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا (الموشع) و (أشعار النساء) و (معجم الشعراء) <sup>(١)</sup> .

وأبو أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري ( - ٣٨٢ ) وكان إماماً لغوياً فحياً تعلم ببغداد والبصرة وأصبهان ودرس على أبي القاسم البغوي وابن دريد ونفطويه وطبقتهما ، وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء والتدريس بخوزستان ، ورحل إليه الأجلاء ومن أشهر تلاميذه أبو نعيم الإصمغاني وأبو هلال العسكري مؤلف الصناعتين . قال السيوطي : العلامة اللغوي من الأئمة المذكورين في التصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم . أكثر وبالغ في الكتابة واشتهر في الآفاق بالدراية وحسن التأليف <sup>(٢)</sup> ومن آثاره الجليلة ( كتاب التصحيف ) و ( المختلف والمؤتلف ) . وغيرهما <sup>(٣)</sup> .

وأما المدرسة الأندلسية : فهي المدرسة التي ظهرت في مغرب العالم الإسلامي . وقد دخل الإسلام إلى هاتيك الديار منذ فجر الإسلام وانتشرت اللغة العربية بين أهالي تلك الربوع ، ونبغ منهم العلماء والأدباء والشعراء والمصنفون ، وكانوا يقتبسون من أهل المشرق خير ما عندهم وينهجون على منهجهم وقد هاجر نفر من علماء المشرق إلى الأندلس والمغرب الإسلامي فكانوا ينشئون هناك الرسائل والكتب ويحلقون الحلقات العلمية وينشرون العلم بين أهل تلك الديار .

وقد نشطت الرحلات العلمية بين أهل المشرق الإسلامي وأهل المغرب فازدهرت الحركة العلمية في الأندلس وبلاد المغرب وقد ظهر من المغاربة والأندلسيين عدد كبير من العلماء وبخاصة في النحو . وقد اهتم هؤلاء النحويون بمباحث الخلافات

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٨ . بروكلمان G.A.L التل ١ : ١٩٠ - ١٩١

(٢) بنية الوعاة ص ٢٢١

(٣) بروكلمان التل ١ : ١٩١



النحوية بين المدرستين الكوفية والبصرية ثم المدرسة البغدادية ، وتنافسوا في أقوال هذه المدارس ، واختاروا لأنفسهم مذهباً خاصاً عرف بالمدرسة الأندلسية وقد كانت هذه المدرسة تختار أفضل الأقوال من بين المدارس الثلاث ، وإن كان جل اعتمادها على المدرسة البصرية .

وقد ظل المغاربة والأندلسيون يقتفون آثار المدارس الشرقية إلى أن نبغ في ديارهم العلامة الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء الأندلسي القرطبي وألف رسالته النحوية الجريئة التي سنتحدث عنها فيما بعد . ثم تتابع النخاة من بعده يؤلفون الرسائل والكذب على طريقتهم الجديدة .

ومن كبار الأئمة الأندلسيين والمغاربة الذين كان لهم أثر واضح في هذا المذهب الجديد :

أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ( ٢٨٨ - ٣٥٦ هـ ) وكان من أعلم الناس في عصره بنحو البصرة ، وأحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر ، تعلم في البصرة ثم في بغداد ، وقرأ على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونقطويه وابن دريد وابن السراج وجعظة وطبقته ثم خرج من بغداد سنة ٣٢٨ فدخل قرطبة في سنة ٣٣٠ وتهاافت الناس عليه فقرأوا الأدب والعريية ، وأكرمه أميرها إكراماً عظيماً وصنف له كتاب الأملالي ، وظل هناك إلى أن مات . وخلف آثاراً جليلة في العريية أجراها ( الأملالي ) و ( النوادر ) و ( المقصور والممدود ) و ( فعلت وأفعلت ) و ( البارع في اللغة ) وغيرها وقد ضاع أكثرها <sup>(١)</sup> .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزيندي الاشبيلي القرطبي ( ٣٧٩ - ) وكان إماماً في علوم العريية واللغة ، وكان متقناً للنحو ، أخذ اللغة عن أبي علي القالي وأبي عبد الله الرياحي ، تولى قضاء قرطبة ، وأدب الأمير

(١) راجع معجم الأدباء ٢ : ٣٥١ ، والبخية لبيوطي ١٩٨ ، وجذوة القتبى للعبيدي ١ : ٧٨٣ ، والتكملة لابن الأبار ٣٦٢ ، وابن بشكوال في الصلة رقم ٤ ، ٢٨٩ .

هشام ولد الخليفة المستنصر بالله الأندلسي ، قال ابن الفرضي : كانت أوحده عصره في علم النحو وحفظ اللغة وصنف ( مختصر العين ) و ( أبيه سيويه ) و ( ما يلحق فيه عوام الأندلس ) و ( طبقات النحويين ) و ( الواضح في النحو ) قال ياقوت : وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً إليه <sup>(١)</sup> .

وأبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المشهور بابن القوطية ( ٢٦٢ - )

وهو الأديب المؤرخ اللغوي النحوي مولى عمر بن عبد العزيز ، كان من أهل إشبيلية وفيها تعلم على ابن الأغبش وقاسم بن اصبح وأبي الوليد الأصبج وطبقتهم حتى بلغ رتبة الإمامة في اللغة والعربية والتاريخ والأخبار .

قال ياقوت : كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية إماماً مقدماً فيها ، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار لا يشق في ذلك غباره ولا يلحق شأوه وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع إليها فلم يكن ضابطاً للرواية ، ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به وكان يباليخ في تقديمه وتعليقه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم : من أنبل من رأيت به بلدنا في اللغة فقال : أبو بكر بن القوطية . . . وروى عنه الشيوخ والكهول وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، ومن تصانيفه ( كتاب تصارييف الأفعال ) وهو أول مصنف في ذلك ثم تبعه ابن القطائع السعدي فوضع كتابه على منواله و ( المقصور والمدود ) جمع فيه وأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله وفاق من تقدمه و ( شرح أدب الكتاب ) وغيرها من الكتب ولكن أكثرها قد فقد <sup>(٢)</sup> .

(١) راجع معجم الأدباء ١٨ : ١٧٩ ، وانباء الرواة للقطبي ، وبنية الوعاة ٨٤ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢ .

(٢) راجع معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٢ والبنية ص ٨٤ : وابن الفرضي رقم ١٣١٦ والديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٦٢ ، والشنرات لابن الهادي ٣ : ٦٢ ونفع الطبيب للقرني ٤٦٢ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

وأبو عثمان سعيد بن محمد المماقري القرطبي السرقسطي ابن الحداد ( — ٤٠٠ ) كان من فضلاء علماء الأندلس وكبار النحاة بارعاً بالعربية والجدل . قال الزبيدي : كان أستاذاً في غير ما فن ، عالماً بالعربية واللغة وكان الجدل أغلب الفنون عليه وكان دقيق النظر جداً ثابت الحجة شديد المعارضة حاضر الجواب وله كتب كثيرة منها ( توضيح المشكل في القرآن ) و ( الأُمالي ) و ( كتاب الأفعال ) وغير ذلك وقد ضاعت <sup>(١)</sup> .

وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المشهور بابن مضاء القرطبي ( — ٥٩٢ ) كان من أفراد العلماء براءة في العربية واللغة والفقه تولى قضاء الجماعة بقرطبة . وكان له تقدم في العربية وآراء فيها خالف فيها غيره من العلماء وكان مقرئاً مجوداً محدثاً مكثراً عارفاً بالأصول ، والكلام ، والطب ، والهندسة والحساب ، وكان متوقد الذكاء ، خلف آثاراً جليلة في النحو والفقه والعقائد <sup>(٢)</sup> وقد ضاع أكثرها ولم يبق من آثاره إلا ( كتاب الرد على النحاة ) الذي نقد فيه مذاهب نخبة عصره والأقدمين .

قال ابن الزبير : أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه تفهماً وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغوية والأدبية ما لا يحصى وكان له تقدم في علم العربية واعتناء وآراء فيها ومذاهب مختلفة لأصلها . . . وقد رد عليه الإمام ابن خروف بكتاب سماه ( تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو ) ولما بلغه ذلك قال : نحن لا نبالي بالأكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الحرفات .

هؤلاء هم بعض أئمة المدرسة الأندلسية ، وبلاحظ القارئ أننا ذكرنا في آخرهم الإمام ابن مضاء النحوي مع أنه من علماء القرن السادس وهو متأخر عن العصر

(١) بقية الوعاة ص ٢٥٧

(٢) بقية الوعاة ص ١٣٩ وغاية النهاية لابن الجزري ١ : ٦٧ .

الذي نؤرخه وهو عصر ابن جني فاننا انما فعلنا ذلك لنتبه القارئ الى أن آثار هذه المدرسة وإن كانت قد ضاعت فاننا نجد بعض آثارها لدى هذا النحوي المتأخر .

### موقف أبي الفتح بن جني من هذه المدارس الأربعة :

هذه هي مدارس النحو الأربعة الكبرى وقد كان ابن جني لا يتقيد بواحدة منها ، بل يدرسها جميعاً وينتقي منها ما يروقه أو يرى أنه الصحيح ، وكان يناقش أرباب هذه المدارس وبخاصة أرباب مدرستي البصرة والكوفة ، وكان يرى أن هؤلاء هم أولى العلماء بالمناقشة والبحث <sup>(١)</sup> ، قال في باب القول على إجماع أهل اللغة العربية متى يكون حجة : اعلم أن إجماع أهل البلدين انما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا تخالف المنصرص والمقيس عليه فأما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليك ، وذلك انه لم يرد من يطاع في قرآن ولا سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ <sup>(٢)</sup> ، فهذا القول يدل على أنه لا يخالف أئمة المدرستين أو غيرهما إذا كانت لديهم الحجج القوية والأدلة القطعية أما إذا لم يوردوا الحجج ويبرهنوا على ما ذهبوا اليه فلك أن تخالفهم وتناقش أقوالهم لأن إجماعهم ليس إجماعاً ورد به الدين أو أمر به الكتاب والسنة « وانما هو علم منتزع من شعراء هذه اللغة فكل من فُرق له علم صحيح وطريق نهجه كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره » <sup>(٣)</sup> فليس الخليل بن أحمد ولا أبو عمرو بن العلاء على جلالة قدرهما وسعة علمهما وإجماع الناس على أنهما الإمامان الجليلان اللذان أوتيا العلم الوافر والعقل المستنير ، معصومين من الخطأ أو ممنوعين من الوقوع في الخطأ ، وكل إنسان آتاه الله العلم واستطاع أن يهتدي بعقله ويبحث واستقرائه وتحقيقه الى علم جديد ويبحث مفيد .

(١) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ٣

(٢) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٦

(٣) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٧



مذهب ابن جني في النحو : رأيت فيما سبق أن أبا الفتح لم يكن متقيداً بمذهب مخصوص فلا كان بصربياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا اندلسياً بل كان أمة مستقلاً برأيه وإن كان إلى مذهب البغداديين أقرب وإلى آرائهم أميل لأنه تأثر بأستاذه أبي علي الفارسي بعض الشيء ، فهو يذكر في مقدمة كتاب الخصائص أنه بعد أن انكشفت له أسرار اللغة العربية وخصائص دقائقها ومسر إتقانها أراد أن يؤلف هذا الكتاب ويكمل اللغة العربية ونحوها أصولاً كما جعل العلماء للفقهاء والكلام أصولاً وأنه شرع في ذلك وإن علماء الكوفيين والبصريين لم يستطيعوا أن يفعلوا فعله على الرغم من اطلاعهم على تلك الأسرار وعلى محاولتهم عمل بعض الكتب المتعلقة بأصول النحو مثل عمل أبي بكر محمد بن السراج شيخ أستاذه أبي علي الفارسي الذي ألف ( مصنفات حسنة وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول فإنه جمع فيه أصول علم العربية وأخذ مسائل سيوبه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة ) (١) .

يقول ابن جني « إن تعريد ( أي تهرب ) كل من القريبيين البصريين والكوفيين عنه وتحميهم طريق الإلزام به ، أو الخوض في أدنى أوشاله وخالجه ، فضلاً عن اقتحام غماره ولججه ، إنما كان لامتناع جانبه ، وانتشار شعاعه ، وبادي تهاجر قوائمه وأوضاعه ، وذلك أننا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقهاء فأما كتاب أبي بكر فلم يلمح بما يحسن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوله ... على أن أبا الحسن ( أي الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ) ( ٢١١ - ) قد كان صنف في شيء من المقاييس كتباً إذا تأنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أننا نبنا عنه فيه ... » .

فأنت ترى من كلامه هذا أنه شديد الاعتزاز بما أبدعه وإن أحداً من العلماء

(١) تذهة الألباء لابن الأثيري ص ٣١٤

السابقين على جلالة قدر كثير منهم لم يحوموا حول حوضه ولم يأتوا بشيء من  
 للباحث التي جاء بها لا يستثنى من ذلك أحد من علماء المصريين ، الكوفيين  
 والبصريين ، يقول في باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة ؟ :  
 « إن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده إلا  
 تخالف المنصوص أو المقيس على النصوص فاذا لم يعط يده بذلك فلا يكون  
 إجماعهم حجة عليه وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم  
 لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله ﷺ من قوله « أمتي لا تجتمع  
 على ضلالة » وإنما هو منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فرق له على علة  
 صحيحة وطريق نهجه كان خليل نفسه ، وأبا عمرو فكره ، إلا أننا مع هذا  
 الذي رأيناه وسوغنا صركبه لانسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد  
 طال بحثها وتقدم نظيرها وتناثرت أواخر على أوائل ٠٠٠ »

إلى ذلك الكلام الذي أثبت فيه فضل علم الأوائل من أهل البصرة والكوفة  
 معاً ، وكشف عن جهودهم في صيانة لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ،  
 والشعر العربي ، إلا أن هذا لم يمنعه أن يكون نفسه مذهباً خاصاً به ، ويرى  
 أن قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » قول غير صحيح ، كما ذهب إليه الجاحظ  
 وأبو عثمان المازني الذي يقول « إذا قال العالم قولاً متقدماً فللمتعلم الاقتداء به  
 والانتصار له والاحتجاج بخلافه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً » ويورد ابن جني بعد  
 ذلك بعض الأقوال التي خالف فيها قول الأوائل والآخر ويستدل على صدق  
 نظريته قائلاً « فلما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدي هذا العلم وإلى  
 آخر هذا الوقت ما رأيت أنا في قولهم ( هذا حجر ضب خرب ) فهذا يتناوله آخر  
 عن أول وتال عن ماض على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقون  
 عنه ، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عنه ولا يجوز رد غيره إليه ، وأما أنا فعندي  
 أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضع وذلك أنه على حذف

المضاف لا غير فاذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر  
ساع وشاع وقبل<sup>(١)</sup> .

وهو أيضاً ينتقد البغداديين كما انتقد البصريين والكوفيين فيقول في باب  
( إسقاط الدليل ) : « ومن ذلك قول البغداديين ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من  
ذكره نحو زيد سررت به ، وأخوك أكرمته فارتفعه عندهم إنما هو لأن عائداً  
عاد عليه فارتفع بذلك العائد ، وإسقاط هذا الدليل ان يقال لم فتحن تقول  
زيد هل ضربته ؟ وأخوك متى كتبه ؟ ، ومعلوم أن ما بعد حرف الاستفهام  
لا يعمل فيما قبله<sup>(٢)</sup> » فهذا يدل على أن أبا الفتح إنما هو أمة مستقل في رأيه  
يفتش عن الحقيقة فحيث وجدها فثم مذهبه . وهو لا يقنع إلا بالبراهين والأدلة  
الثابتة فمن كانت أدلته أقوى كان هو الموثوق بقوله وإلا فلا ، ويظهر أنه كان  
على الرغم مما سبق ميالاً الى مذهب البصريين شديد الانتقاد لمذهب الكوفيين ،  
فهو ميال الى البصريين مثل شيخه أبي علي الفارسي ، وهو يعتمد مذهبهم ويحري  
في كتبه ومباحثه وأقواله على طريقتهم ، الا إذا وجد الحجة التي تجعله يميل عن  
مذهبهم الى مذهب غيرهم أو الى مذهب جديد .

يقول في سر الصناعة في ( حرف النون ) في صدد قول الشاعر :

أنت تهبطين بلا قوم يرتعون من الطلاح

ان الكوفيين يقولون إن هذا تشبيه ( أن ) بـ ( ما ) التي في معنى المصدر  
« فأما قولنا نحن فانه أراد ( أن الثقلة ) وخفضها ضرورة وتقديره انك تهبطين » .  
ويقول في سر الصناعة أيضاً في ( حرف الكاف ) في قولهم ( أنت كزيد ) ان  
الكاف اسم تقديره أنت مثل زيد وان هذا قول أصحابنا وان كان قد أجاز  
بعض البغداديين أن يكون في هذا النحو الذي هو غير مشتق من الفعل ضمير

(١) الخصائص الطيبة الاولى ٤ : ١٩٦ - ١٩٩

(٢) الخصائص الطيبة الاولى ١ : ٣٠٩

كما يكون من المشتق « . ولا شك في أنه يقصد بقوله ( أصحابنا ) أئمة البصرة فان هذا هو مذهبهم .

وصفة القول ان أبا الفتح لم يكن بصرياً خالصاً ، ولا كونيّاً خالصاً ولا بغدادياً خالصاً ولكنه كان ينتقي القول الذي يراه جديراً بالانتقاء ، وأنه قال أقوالاً في الصرف واللغة والنحو انترد بها والشواهد على ذلك جديرة كثيرة .

فما انترد به في النحو : تجوز إظهار متعلق الظرف الواقع خبراً في الكون العام مثل قولك محمد عندك ، قال ابن يعيش في شرح مفصل الزمخشري : « اعلم أنك لما حذف الخبر الذي هو ( استقر ) أو ( مستقر ) وأتمت الظرف مقامه على ما ذكرنا صار الظرف هو الجر والمعاملة معه وهو مغاير المبتدأ في المعنى ونقلت الضمير الذي كان في الاستقرار الى الظرف وصار مرتفعاً بالظرف كما كان مرتفعاً بالاستقرار ثم حذفت الاستقرار وصار أصلاً مرفوضاً لا يجوز إظهاره للاستغناء عنه بالظرف وصرح ابن جني بجواز إظهاره والقول عندي في ذلك ان بعد حذف الجر الذي هو الاستقرار وتقل الضمير الى الظرف لا يجوز إظهار ذلك المحذوف <sup>(١)</sup> » .

ومما انترد به أيضاً في النحو قوله في علة المنع من الصرف « إن <sup>(٢)</sup> الأسباب المانعة من الصرف تسعة واحد منها لفظي وهي شبه الفعل لفظاً نحو أحمد ويرمع وتضب وإثم وأبلم ويقم واستبرق <sup>(٣)</sup> » ، والثانية الباقية كلها معنوية ، كالتعريف والوصف والعدد والتأنيث وغير ذلك . . . » مع أن النحويين يقولون إن السبب المعنوي هو العلمية والوصفية والباقي هو أسباب لفظية .

ومما انترد به إدخاله ( قد ) على الفعل المنفي وقد استعمل هذا الاستعمال

(١) شرح المفصل ، الطبعة الميرية ١ : ١٠ .

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١١٤ .

(٣) اليرمع هو الحجارة الرخوة الطرية ، والتضب شجر معروف في الحجاز ، والابلم هو أغصان القل ؛ والبقم شجر يصنع بورقه . والاستبرق : حرير سميك .



كثيراً في كتبه كالمصانص وسر الصناعة فن ذلك قوله في المصانص « كما ان القول قد لا يتم معناه إلا بغيره »<sup>(١)</sup> وهذا أمر ما قال به النحويون قبله ولا أجازته من جاء بعده .

ومن ذلك إجازته إدخال أداة التعريف على ( بعض ) كقوله ( فلما كانت الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض<sup>(٢)</sup> ) وقد منع النحويون المتأخرون هذا مع أن سيبويه قد استعمله في كتابه .

### مذهبه في اللغة والصرف : تعمق ابن جني في حفظ كلام العرب ورواية

لغتهم والفرض عن أمرار أساليبهم حتى أشربت لغتهم بروحه وقد ظهر هذا في بحوثه الصرفية التي تتجلى في كتابه « سر الصناعة » وفي المباحث اللغوية العديدة التي حفظها لنا اللغويون المتأخرون في كتبهم كابن سيده وابن منظور وغيرهما من أئمة اللغة ، وان كانت كتبه قد ضاعت .

وابن جني كما يتجلى لنا من قراءة كتب الصرفيين واللغويين المتأخرين الذين جاءوا بعده ، هو إمام مجدد ذو أثر عميق في هذه اللغة ، أسبغ عليها ثوباً جديداً بمباحثه الصرفية ، واللغوية ، وقد ظهرت صور من ذلك الأثر في كتب كبار المؤلفين الذين جاءوا من بعده وبخاصة ابن سيده علي بن أحمد الإمام اللغوي ( ٤٥٨ - ) فقد تأثر هذا الإمام الكبير اللغوي بمباحث ابن جني وبألفاظه وحفظها حتى أنه ربما أورد ألفاظه وعباراته دون أن يشير إليه أو يمزو في كتابيه الجليلين ( المخصص ) و ( المحكم ) . حتى ان ابن منظور الذي جاء بعد ابن سيده ينقل كلام ابن سيده وينسبه إليه مع أنه لفظ ابن جني .

واللوم في هذه القضية يقع على ابن منظور لا على ابن سيده فان ابن سيده

(١) المصانص الطبعة الثانية ١ : ٢٠ .

(٢) المصانص الطبعة الثانية ١ : ٦٤ .

رجل أعمى ألف هذه الكتب الجليلة في اللغة من إملائه فلا خير عليه أن يجهل ذكر اسم ابن جني ، ولكن الضير على ابن منظور الذي جاء بعده ونقل أقواله ورأى خطأ ابن سيده ولم يبقه عليه .

وعلى هذا فلسنا نشاطر الأستاذ محمد علي النجار قوله في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص : ( فتح ابن جني في العربية أبواباً لم يتسنّ فتحها لسواه . . . وكان بذلك إماماً يحتاج إلى أتباع يمشون في صياله . . . على أنه أتيح له لغوي كبير أغار على فوائده وبحوثه اللغوية ذلك هو ابن سيده . . . وهو كثيراً ما ينقل العزو إليه في كتابه المحكم وبأني صاحب اللسان فينقل ما في ابن سيده وينسبه إليه وهو لابن جني )<sup>(١)</sup> فنحن نعذر ابن سيده للسبب الذي ذكرناه آنفاً ولكننا لا نجد لابن منظور أي عذر .

والحق أن كتب ابن جني قد كانت معينا لأئمة اللغة الذين كتبوا من بعده وفي طلبتهم ابن سيده ، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ( - ٤٦٦ ) وابن الأثير في المثل السائر ( - ٦٣٣ ) ، وابن منظور في اللسان ، والسيوطي في الأشباه والنظائر ( - ٩١١ ) وغيرهم . وابتدأنا رحنا نقاش خلال العصور منذ القرن الرابع للهجرة حتى هذا القرن عن إمام كان له مثل أثر ابن جني فحين جاء بعده لم نجده فإن كتبه بأسلوبها المشرق وأفكارها المتسقة قد بلغت الأوج ، فلا كتب سيديويه ولا أبي علي الفارسي ولا أبي بكر بن السراج قد بلغت المنزلة التي بلغت كتب ابن جني رحمه الله وجزاه عن هذه اللغة ما يستحقه .

( للبحث صلة )

الدكتور محمد أسعد طلس

# التعريف والنقد

مذكراتي

عن الثورة العربية الكبرى

كتاب في ٢٨٨ صفحة للدكتور أحمد قنديل  
طبع في دمشق سنة ١٣٧٥ هـ و ١٩٥٦ م

الدكتور أحمد قنديل من رجال الرعيل الأول الذين وضعوا أسس القضية العربية ، وعملوا لها طيلة حياتهم ، في بيض الأيام وسودها على السواء . فهو كما جال اسمه في خاطري عادت بي الذكرى الى السنين الخوالي ، يوم كنا ، قبل الحرب العالمية الأولى ، طلاباً في إسطنبول وفي باريس ، نتذاكر في شؤون أمّةنا العربية ، ولغتنا الضادية ، وفي تنكر الترك لحقوق العرب ، وفي مجاهرتهم بأنه لا يجوز أن يكون في الدولة العثمانية إلا أمة واحدة ، وهي الأمة التركية ، وإلا لغة واحدة ، وهي اللغة التركية ، حتى إذا شئت نيران تلك الحرب الضروس ، احتلوا فرصة مكنتهم من قتل صفوة شبابنا صبراً ، ومن تشريد كرام الأسرى العربية في مجاميل الأناضول ، فكانت الثورة العربية الكبرى ، وكان لابد مما لبس منه بد .

وحسبي أن أقول في هذه المذكرات ان الدكتور أحمد قنديل كان من مؤسسي «المنتدى الأدبي» في فروع سنة ١٩٠٦ م ، ومن مؤسسي جمعية «العربية الفتاة» في باريس سنة ١٩١١ م ، وانني كنت في تلك الأيام أختلف في باريس الى غرفته بشارع الاسترأباد ، فأسميها قنصلية العرب ، وأسمي الدكتور قنصل العرب ، لما كانت له من صريّة وأريحية في خدمة كل ما يمت الى العرب والعروبة بصلة .

لقد التحق الدكتور بالثورة العربية في أواخر أيامها ، ودخل الشام مع الملك فيصل الأول طبيباً له ، ورافقه الى باريس ، ومكث قريباً منه في دمشق الى حين احتلال الجيش الفرنسي لسورية في صيف سنة ١٩٢٠ م . فهو إذن حينما يتكلم على القضية العربية ومغزاها ، وعلى الثورة العربية ودواعيها ومراميها ، وعلى دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ ، وعلى الأحداث التي حدثت منذ ذلك الزمن حتى أيام الاحتلال الفرنسي ، فكلامه يكون كلام خبير للحقائق ، ورازن للوقائع ، وعالم بدخائل الأمور . وفي مذكرات الدكتور تفصيلات لا يجدها المطالع في كتاب آخر ، وفيها معلومات دقيقة لا يعرفها إلا الذين عاشوا مثله في حرم قضيتنا العربية .

مصطفى الشهابي



## تاريخ العرب قبل الإسلام

الجزء الثالث ( القسم السيامي )

تأليف الدكتور جواد هلي . عدد صفحاته ( ٦٦٤ ) صفحة من قطع الوسط

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع في بغداد عام ١٩٥٣

هذا هو الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام الذي أخذ الدكتور المؤلف على عاتقه مواصلته . يتم كل فصل من فصوله على جهده المتواصل وعلمه الفياض وتجريه الحقائق من أوثق المصادر وأغزرها . تناولت أبحاث هذا الجزء تاريخ ممالك النبط وتدمر وسبأ وحمير وكندة وعرب جنوب الجزيرة وشمالها وأثر علاقتهم باليونان والرومان والحبشة في حياتهم السياسية والاجتماعية وما خلفته اليهودية والمسيحية في عقائدهم .

وفي الكتاب حقائق عن ماضي العرب المجهول الذي أهمله القدامى من الاخباريين وكشفه لنا الآثاريون المحدثون ، خرج بها علينا بصورة حية لماض مضطرب



أدخلته الريبة المستحوذة على أفكارنا في عداد الأساطير ، وجعل من أبحاثه هذه نقطة انطلاق ثابتة لكل راغب في التوسع والمزيد ، وسيدق هذا الكتاب لأجيال طويلة ، دعامة فكرية وعلمية للباحث العربي ينهل منه ويسترشد به .  
جزى الله المؤلف عن أمته العربية كل خير وبارك في جهده وتفننا بمزيد علمه .

—•—

Khalil ben Ish'âq - Abrégé de la loi Musulmane selon le rite de l'Imam Mâlek. I. Le rituel. Traduction nouvelle par G. H. Bousquet. Alger 1956.

المختصر في الفقه المالكي ( القسم الأول — العبادات ) خليل بن اسحاق المتوفى سنة ٧٦٧ أو ٧٧٦ هـ . أعاد نقله الى الافرنسية الأستاذ بوسكه ونشره معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب في الجزائر . وهو في ( ٢٢٧ ) صفحة من القطع الوسط . طبع في مدينة الجزائر عام ١٩٥٦ .

—•—

إن شهرة كتاب المختصر وانتشاره في بلاد المغرب العربي تغني عن التعريف به . فقد اعتمده المغاربة منذ ظهوره في عباداتهم ومعاملاتهم ، وحل محل أمهات كتب المذهب كالموطأ لابن مالك والأُسدية لابن الفرات والمدونة لسحنون وغيرها . وهو عند المالكية بمنزلة منهاج الطالبين للزوي عند الشافعية .

كان يغلب على أهل إفريقية المذهب الحنفي الى أن ولي سحنون التنوخي قضاء إفريقية فنشر فيها مذهب مالك ثم عزز في أيام ياديس وعلي بن تاشفين فعم سائر بلاد المغرب . وقد أصاب المذهب نكسة عارضة في زمن دولة الموحدين فأمر يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان على مذهب أهل الظاهر بإحراق كتب مذهب مالك ونكل بأئمتهم وعظم شأن مذهبه مدة ولايته على المغرب ثم استعاد المذهب المالكي مكانته وساد البلاد ولا يزال كذلك الى هذا اليوم . ولذلك رأينا بعض أفراد الدول التي لها مصالح في هذا الجزء من العالم الإسلامي

تهتم بهذا المختصر وتولييه عناية خاصة وعمد غير واحد الى نقله أو نقل أبحاث منه الى لغاتهم وأخص بالذكر منهم الطبيب بيرون ( Perron ) فقد نقله بكامله الى الافرنسية في سني ( ١٨٤٨ - ١٨٥٤ ) كما نقله الى الايطالية جوبدي ( I. Guidi ) بالاشتراك مع سنتيلانا ( D. Santillana ) في عام ١٩١٩ . فتكون هذه الترجمة بعد انجازها الثانية باللغة الافرنسية وهي تمتاز عن الأولى بوضوح مصطلحاتها وإدراك أغراضها وتبسيط فهمها . وكان المترجم وهو من أسانذة الحقوق أميناً في نقله وموفقاً بعمله بتجلي فيه سعة علمه ونبل غايته .

جعفر الحسني

مستقبل المرأة العربية

## مستقبل المرأة العربية

### في البيت والمجتمع

تأليف الأستاذ منير الشريف . طبع في دار القنطرة العربية لتأليف والترجمة والنشر . دمشق ١٩٥٣ ، وعدد صفحاته ١٨٢ من القطع الوسط

لصديقنا الأستاذ منير الشريف عناية بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فهو قد ألف في هذه الموضوعات عدة كتب ككتاب الضائقة الاقتصادية السورية ، وكتاب واجب النائب ، وكتاب أيها العرب اتحدوا ، وكتاب الشباب العربي ، وكتاب العلويين ، وكتاب القضايا الاقتصادية الكبرى ، وكتاب الإرادة ، وكتاب طريق الخلاص ( الضريبة على رأس المال ) ، وكتاب مستقبل المرأة العربية .

وصف المؤلف في هذا الكتاب الأخير حال المرأة العربية في الماضي والحاضر ووازن بينها وبين المرأة الغربية فقال أولاً ما أصاب المرأة العربية الحاضرة من انحطاط وتأخر ، ولكنه وجد مع ذلك في هذا الحاضر ما يدل على أن المرأة العربية الحديثة سائرة في طريق التقدم . فما قاله في المرأة العربية الحاضرة : « إذا استثنينا عدداً قليلاً من الأوانس والسيدات في مصر وسورية ولبنان

والعراق والأردن ، فإن المرأة العربية لا تزال تعيش في عهد البداوة ، غير عالمة بما وصلت إليه المرأة الغربية في العصر الأخير ، بل لا تعلم حالة المرأة العربية قبل عصور الانحطاط . . . . . هذا ما يشجى كل عربي مخلص لقوميته ، مؤمن بوحدتها وسيادتها ونهضتها . لأن المرأة هي نصف عدد السكان ، وإنها إذا لم تنهض نهوضاً عالياً حقيقياً ، وتقوم بما يجب عليها في بيتها ، وفي معارضة زوجها ، وتربية أولادها التربية الصحيحة ، وفي التوفير والاقتصاد ، فإنها لا تنزل في قومها منزلة الكرامة » ( ص ١ ) . لذلك أراد المؤلف أن يصلح حياة البيت العربي باصلاح حياة المرأة ، فإن المرأة عضو عامل في الأمة ، فإذا أهملناها أو تناسلناها لم نخلق مجتمعا أفضل من المجتمع الحاضر . والمؤلف يتكلم في كتابه عن العلم والوطنية والتربية والاقتصاد والأخلاق والحرية كما يتكلم عن تدبير المنزل ، وحفظ الصحة ، والجمال .

وقد تكلف المؤلف في هذا الكتاب أسلوباً أدبياً أراد منه إثارة الاهتمام وإيقاظ الوعي ، ولكنه أسهب في ذلك الأسلوب حتى خرج به على الغرض المطلوب ، كقوله عند الكلام على براعة المرأة الغربية في الرسم : « أصبحت رسامة بارعة ، فجملت منزلها يزدان بأجمل الرسوم التي تربك جنان الطبيعة الضاحكة ، وماءها المعين ، المنحدر من سفوح الجبال ، كأنه عواميد من العاج واللجين ، والمنساب تحت لوحات زمردية ، تلاعبه بأغصانها المتدلّية فوق سطحه ، وتربك الغابات النضيرة التي تأخذ بالألباب ، والجبال الشاحنة التي كملتها الثلوج ، وصاحبتهما الشمس بذهبها الوهاج ، وتربك الطيور المتنوعة ذات الألوان البهيجة واقفة على أغصان الأشجار الظليلة تطل على نبع نضاح ، وزهر فواح ، في يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، فتحش في نفسك آتئذ أنك تسمع زقزقتها وصداحها ، وتربك الريح بشبابه النضير ، وسنايل الحنطة يلاعها الهواء ، وتموج كأنها شاطئ البحر اللازوردي عند هبوب النسيم ، وتربك الرياض الفرحة وأغنامها

المرحة» (ص ٤ - ٥) . وهذا كله كلام جميل لما فيه من بيان وطلاقة ورشاقة وبلاغة إلا أنه يدخل في كتاب عن التصوير الفني لا في كتاب عن مستقبل المرأة .  
ومما يمكن من أمر فإن «مستقبل المرأة العربية» كتاب جميل نضمن كثيراً من الأقوال الصادقة والأحكام الصحيحة ، وقد كتبه المؤلف بحماسة وطنية وعقيدة قومية تولد في نفس القاري اعتزازاً بالماضي وإيماناً بالمستقبل . فترجو لهذا الكتاب انتشاراً واسعاً ، ونشكر للمؤلف علمه الغزير وأدبه الجم .

جميل صليبا

\*\*\*\*\*

مستقبلك في يدك ، متى عرفت ربك

تأليف السيد عبد الحميد الخطيب ( نزيل دمشق )

السيد عبد الحميد الخطيب السفير السعودي ، والمدرس بالمسجد الحرام سابقاً - هو عالم عامل ، وشاعر ناثر ، دلت على فضله مطبوعاته المشهورة ، فقد نظم السيرة النبوية في ألفي بيت ، وتأنيته الكبرى في الإسلام والمسلمين في خمسة آلاف بيت ، وله منظومة في التوحيد الخالص وعقائد السلف ، ومجموعة قصائد في حب الله ورسوله ، وقصيدة في الدعوة إلى الجهاد ، وجوهر الدين في العربية والانكاذبة والأوردية ، وتفسير الخطيب المكي طبع منه أربعة أجزاء والإمام العادل مع تاريخ الحجاز في نصف قرن ( وقد كتبنا عنه في مجلة المجمع ) وغيرها من المؤلفات النافعة .  
وكتابه هذا في التوحيد ، ولكنه موضوع بأسلوب جديد ، ومكتوب بقلم حديث ، وقد تكلم فيه - بعد المقدمة والتهيد - على ذاته تعالى وصفاته وتصرفاته ، وأين الله ؟ وقدرته وقربه وكلامه ، ودستوره وضرر تعطيله ، ونظامه الكوني ، وعدله سبحانه ، وملائكته وكتبه ورسله ، وختمه بالبعث .

والأستاذ المؤلف قد جعل مؤلفه هذا لأهل الملل والنحل عامة ، لا للمسلمين خاصة ، وإن اقتصر في علاج الأمراض الاجتماعية البشرية على القرآن وحده ،



ورأى فيه الدواء الشافي واستخرجه منه ، ولم ير حاجة لدراسة الكتب السماوية الأخرى . وقد قسم كتابه هذا إلى أقسام ، وهذه الحلقة الأولى منه في معرفة الله تعالى ؛ وقد بين الغرض من وضعه ، وهو إنقاذ العالم من الشقاء الذي يتخبط فيه ، وسرد هذا الشقاء إلى الجمل بما أودع الله فينا من قوة ، وما منحنا من سلطان ، يستطيع معه كل إنسان في الوجود أن يقرر مستقبله في هذه الحياة وبعد الممات متى طبق قانون الحياة الذي وضعه الله لعباده ، والذي لا يمكن أن يخطئ أبداً ، ونرى هذا في المقدمة . وقد ندّد السيد في كتابه بالذين يعزّون ما هم فيه من جهل وذلّ وفقر ، إلى عقيدة القضاء والقدر ، ونسبة كل شيء إلى القسمة والنصيب وما قدر لهم في الأزل ، وذكر أن الله تعالى رتب الجزاء على العمل ترتيب المعلوم على العلة والمسبب على السبب ، واستشهد بمثل قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . وقد فسر ( القضاء ) بفعل الله بعباده كالخلق والتكوين والحياة والموت ، والتذكير والتأنيث ، وقد استأثر الله بالعلم بهذا القسم . ( والقدر ) وهو أحكام معلقة بشرط أو شروط لا تنفذ إلا بتوافرها ، وهي تتعلق بالأنظمة الكونية ، والسُنن المطردة والقواعد الكلية ، كالعمل لطلب الرزق ، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وسرد كثيراً من آيات الجزاء على العمل ، فصار القدر عبارة عن سمي وعمل ، لا ما قدر عليه في الأزل ؛ ورد ضمير « يشاء » - في قوله تعالى : « يقفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » - إلى العبد لا إلى الرب ، أي من يشاء المغفرة سلك طريقها وهي التوبة النصوح ، والإيمان الصادق والعمل الصالح ، ومن شاء العذاب سلك طريقه كالكفر والفجر ، وعباداً بالله ، واستشهد بالآية الكريمة : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجْزَ به ، ولا يجِدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً » فهو سبحانه أجلّ من أن يتحيز إلى فريق من

العباد ، إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب الذي يدعو إلى العمل ، وينهي عن البطالة والكسل ، والاحتياج بالقضاء والقدر ، أو بما سطر في الأزل ، وقد علمت ما فسر به القضاء . وما أجمتُه هنا لا يغني عن قراءة الكتاب ففيه التفصيل والتعليل ، والاستشهاد بالدليل إثر الدليل .

هذا وإن لنا بعض ملاحظات على هذا الكتاب أقتصر على ذكر أهمها ، ونعلم أن صديقنا المؤلف سلفي المعتقد ، ويسره توجيه نظره الكريم إلى ما سها عنه ، فقد جاء ( في ص ١٢ ) تحت عنوان أين الله ؟ ما يأتي :

« لقد كان من جرّاء تأثر الناس بالمادة . . . أن اختلفوا في تعيين موضعه : هل هو في السماء أم في الأرض أم فيهما معاً ، أم هو خارج عنهما ، وجرى أكثرهم على أنه تعالى في السماء ، وفق ما يلقّنه لهم آباؤهم . . . ونحن إذ نؤمن بأن الله تبارك وتعالى ليس لشخصيته مادية ، ما يكون لنا أن نتساءل عن موضعه أين هو ؟ لأن هذا من صفات الأجسام ، والله منزّه عن الجسمانية لا يحويه زمان ولا مكان » .

وجواب هذا أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قد دلت جميعاً على أن الله تعالى هو عال على سمواته التي هي مقر ملائكته ومهيّط وحيه ، وأنه مستو على عرشه ، أي عال عليه أيضاً ، وبائن من خلقه ، لا يحلّ فيهم ولا يمتزج بهم .

وبما تقدّم يعلم أيضاً المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إني معكما أسمع وأرى » ، « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » . فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما معناها معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب . وكل من أقر بوجود ربّ للعالم مدبر له ، لزمه الإقرار بعبأنته مخلقه وعلوّه عليهم ، وكل من أنكر

مباينته وعلوه لزمه إنكاره وتعطيله ، والقول بأنه تعالى بذاته في السموات والأرض إثبات للنقيضين ، والقول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه فيه نفي للنقيضين وكلاهما محال ، فبقي القول الثالث ، وهو قول الرسل وأتباعهم ، وقول العقل والعلم والفطرة ، وهو أنه تعالى خارج العالم ، فوق سمواته على عرشه ، بآن من خلقه ، وهو غني عن عرشه ، غناه عن سمواته وأرضه .

هذا وقد شغلني المعاني عن المباني ، ففي ( ص ٦ ) وإنما الذي ينقصنا فقط ومحل لفظ « فقط » بعد قوله : أقوم سبيله ، وفي ( ص ١٠٤ ) من يكون له عند الله جاها ، والصواب ( جاء ) . وهذا سهو يسير وإنما المهم السهو في الآيات الكريمة ، وإني أدل عليها في صفحاتها وأعيد لها مصححة :

ص ١٦ يحو الله ما شاء « ما يشاء » ص ٤٢ ربي أني « أرني » ص ٤٣ انظر الجبل « انظر إلى » ص ٤٣ يعلم خافية « خائنة الأعين » ص ٦٠ إن تبدو « وإن تبدو » ص ٦٩ وكل من عليها « كل من عليها فان » ص ١٣٠ إنا منا « وأنا منا » ص ١٣٠ وجفان كالجوارب « كالجواب » ص ١٣٠ تأكل من سائته « منسأته » ص ١٣١ وإنا لمسنا « وأنا » ص ١٣١ إنا كننا تقعد وإنا لا ندري « وأنا » ص ١٣٩ وقدوها « وقودها » ص ١٤٦ أطمعتم « أضعم » ص ١٤٦ كل ما جاء أمة رسولها « كلما » .

و كنت أرجو أن أرى الأحاديث مخروجة ، أو معروضة إلى كتب السنة وهي في ص ١٦ و ٤٢ و ٤٧ و ٥٦ و ٦١ و ٦٤ و ٨٣ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٤ ، و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٣ وما يحتاج إلى أكثر من يوم في « الظاهرية » .  
أثاب الله الأستاذ « الخطيب المكي » وبارك في حياته ، وأمدّه بدوام معونته وتوفيقه .

— ٢٥٥ —

## كتاب (من شيم العرب)

## الجزء الأول

## تأليف فهد المارك

مؤلف هذا الكتاب الشيخ فهد المارك من متقدمي إخواننا الطلاب في دار التوحيد من مدينة الطائف وهو الآن الملحق الثقافي الأول في السفارة السعودية ، بدمشق ، ويجاورنا في حي الميدان فيعيد لنا عهد تلك الأيام .

أما كتابه هذا من « شيم العرب » فهو تاريخ وأدب ، وقد بلغ أكثر من ثلاثمائة صفحة ، وما هي بنقل لما في الكتب ، ولكنها وقائع حدثت لمعاصرين وغايرين من مشايخ البادية وحواضرها ، في مدة قرنين ، فهو يرويها عن أهلها أو عن شاهدها أو عاصرها من الرواة الوعاة ، ويقصها عليك بأسلوبها البدوي ويشرحها لك بقلمه الحضري ، وبذكرك بقول القائل :

حسن الحضارة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب

وقد عقد كتابه هذا على فصول أربعة ، فالأول في الوفاء ، والثاني في الأمانة ، والثالث في العفو ، والرابع في عفة نساء العرب . وانك لتجد مصداق هذه العناوين في فصولها ، وهي من أعجب ما نسمع ، وأصدق ما نردي . وقدم لكتابه مقدمة وجه فيها الأنظار إلى قصصه الروائع ، وما تضمنته من حوادث ووقائع ، دونها خشية الضياع ، والحرمان من هذا التراث القومي الأدبي ، ورسم فيها المناهج الخلقية والعملية للناشئين ، لاسيما شدة الأدب ، ورواة ما أثر العرب . ونرى على قراء القصص الخيالية التي لا أثر لها في عالم الحس والوجدان ، ومن جمدوا على ضرب الأمثال بمن قضا ومضوا ، فقال : هلم معي اقرأ هذا الكتاب تجد في حقله ما يفوق وفاء السمور ، ويعلو على كرم حاتم ، ويسمو على شجاعة عنتر ، ويزيد على حلم الأحنف . وقد بدأ حديثه بما سماه ( قصة عالمية ) شهرتها يطلونها القحطانيون المهادي والسبيعي الذين ذهبوا مثلاً بوفاء كل منهما لصاحبه ،



وقصة ماجد ومفوز الشمرين ، والأولى والثانية هما أطول قصص الكتاب ، فقد استغرقتا أكثر من ثمانين صفحة ، وواحدة عشر صفحات ، وثلثان فورها (أي العشر) ، وكل من الباقي دون العشر ، وفيها كلها عظات وعبر ، وفيها الشعر الزجلي أو الشعبي مشكولا ، وقد شرحه الأستاذ فهد شرحاً جميلاً ، وفسر مفرداته ومصطلحاته بما يزيل عنه كل لبس وغموض ، واستشهد لمعانيه بشواهد من شعر الفحول على اختلاف العصور ، مما دل على طول باع ، وسعة اطلاع ، وتذوق للأدبين العربي والزجلي ، والمؤلف له حظ ونصيب منها كليهما . وله تعليقات مفيدة في كتابه على الحوادث والأشخاص ، فهو يردّهم إلى قبائلهم وعشائرهم ، ويوضح ما أشكل من أحوالهم ومسائلهم . وقد كتب مؤرخو العرب والمستشرقون في تاريخ عرب الجزيرة السيامي ، ولكنهم لم يدونوا تاريخها الأدبي والاجتماعي ، وإنما يعرفه أهله ، والمؤلف منهم في الصميم ، وقد عرف قيمة كتابه فاحتفظ بحق إعادة طبعه لنفسه ، وعدم ترجمته إلا بإذنه ، ونحن نحث أبناء العربية على دراسته ليعرفوا أصول البادية ومكارمها ، كما يعرفون قوانين الحاضرة وشؤونها ، ومن أحكام البادية ما هو جائر ، كقطع مفرج رأس ابنه وتقديمه إلى صديقه المهادي ، وإنما يلزمه التعزيز بما دون القتل ، وليس من غرضنا نقد هذه الأحكام ، بعد أن هدى الله أهلها إلى الإسلام .

وقد وُضع في آخر الكتاب ، جدول للخطأ والصواب ، وبقيت هنات يرجى تصحيحها ، منها :

إثبات همزة الوصل ، ووضع همزة إن المكسورة فوق الألف أحياناً ، كما ترى في (ص ١٩) وغيرها . وفي ص ٨٣ من ١٧ : عمرواً وصوايها : «عمرآ» ، ٨٩/٣ : الأقدام : «الأقدام» ، ٩١/٣ : وصيره أسودا «أسود» ، وفي آخر ص ٩٤ و ٩٨ : لو حدم «و حدم» ، ١١٩/٢ : أليس : «ليس» ، ١٣٢/١٥ : كما أن هناك وجه شرعي : «وجهاً شرعياً» ، ١٤٨/٨ : واليمين

من أنكر : « على من أنكر » ، ١٦٦ / ٤ : الساعة الحادية عشر : « عشرة » ،  
 ١٩٨ / ١٨ : جماد الأولى : « جمادى » ، ١٩٩ / ٤ و ٧ : الأمانة : « الأمانة »  
 و ١٢ مبلغاً آخر : « آخر » ، ٢٠٠ / ٥ : سبأ : « لاسبأ » ، و س ٩ :  
 محطاً الأنظار : « محط الأنظار » ، و س ١٥ : لم يراه : « لم يره » ،  
 ٢٧٣ / ١١ : ( ١٣٥٧ ) : « ١٣٧٥ » و ٣٠٣ في الحاشية : مدة عشرة سنوات :  
 « عشر » .



### المثل العليا في الإسلام لا في بجمدون

هي رسالة بقلم الأستاذ الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، كتبها  
 ردّاً على كتاب وجهه إليه نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط ،  
 الدكتور كارلندايفاتز هوبكنز ، بدعوه فيه إلى حضور المؤتمر الذي انعقد في  
 بجمدون في ٢٢ - ٢٧ نيسان سنة ١٩٥٤ ( في أواخر شعبان سنة ١٣٧٣ )  
 للبحث عن القيم الروحية والمثل العليا في الإسلام والمسيحية ، للفرد والأسرة والمجتمع ،  
 والذي حضره خمسون عالماً من علماء المسلمين والمسيحيين من أقطار العالم كله ،  
 وبحثوا في تعبئة القوى الروحية التي وردت في تعاليم الدين ، وتبيان عقم الفلسفة  
 المادية الفانية ، وقد اعتذر المؤلف عن الحضور مكثفياً بهذا الجواب الذي يقع  
 في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وكله تذكير وتحذير من الوقوع في  
 شباك استعمار الدول الكبرى ، التي نكبت فلسطين هذه النكبة العظمى ، وفي أوله  
 مقدمة ناشره لطبعاته الثلاث ، وفي آخره نحو عشرين صفحة مما نشر في تقييده .  
 هذا ومن حق هذه الطبعة الثالثة أن تكون خالية من الأغلاط العظيمة ،  
 التي وقعت في الآيات الكريمة ، وعجيب والله هذا التساهل في الحفظ ، وفي عدم  
 الرجوع إلى الآيات والسور في الفهارس ، ممن يلقبون بأئمة الدين ، فانظر وتأمل :

- ص ٣٨ س ٩ : ولا تجعلها مغولة الى عنقك ، فتقعد ملوماً محسوراً . والآية الكريمة : « ولا تجعل يدك مغولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد » الآية
- ص ٥٣ س ٩ : ولا تتخذوا اليهود . والآية : « لا تتخذوا » بلا واو
- ص ٥٤ س ٩ : فقاتلوه حتى لا تكون فتنة . « وقاتلوه » بالواو
- ص ٥٩ س ٢ : أحسن كما أحسن الله اليك : « وأحسن » بالواو
- ص ٦٩ س ١٤ : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء . الآية : « وابتأ ذى القربى وينهى » .
- ص ٦٣ س ١١ : العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . الآية : « والله العزة » الخ الآية
- ص ٨٠ س ١ : قست قلوبهم فحي كالحجارة . الآية : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة »
- ص ٨٣ س ١٨ : إنما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس »
- ص ٨٤ س ٨ : لمن الذين كفروا . . . كانوا لا يتناهون : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا »
- ص ٨٥ س ٩ : سنة الله في الذين خلوا . ولن تجد : « سنة الله في الذين خلوا من قبل »
- ص ٨٨ س ٩ : وإن الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات أولئك يلعنهم الله : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى - من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك » الخ الآية
- هذا ونرجو اذا أعيد طبع الكتاب أن يصححوا الآيات الكريمة كما أوردناها ، والله يشكر للأستاذ الجليل دفاعه عن الإسلام وحقايقه ، وبيانه لما زياه وخصائصه ، وفضحه للاستعمار ومفاسده ، ولكنه ( رحمه الله تعالى ) لو حضر مؤتمر يحمدون الذي انعقد في العام الماضي ، لرأى وسمع ما تقر به عينه ، ويثلج به صدره ،

وقد حضره من علماء الشيعة الأستاذان : الخالعي ، والشيخ علي من آل —  
 كاشف الغطاء ، وكان اجتماع الاسكندرية الذي جرى في هذا العام ( ٩ - ١٤  
 شباط ١٩٥٥ م و ١٥ ج ٢ سنة ١٣٧٤ ) مؤبداً ومؤكداً لمؤتمر بمحمدون . وقد  
 نشرت - بعد عودي من القاهرة - في بعض الصحف الدمشقية الكبرى ما يتعلق  
 بفلسطين خاصة من خطابي المطول الذي ألقيته في الاسكندرية ، ولولا اجتناب  
 مجلتنا ( المجمع العالمي ) لمائل الدين والسياسة لنشرته فيها بطوله ، ولكننا نكتفي  
 بنشر القرار الإجماعي للمؤتمر الإسلامي المسيحي بشأن مشكلة فلسطين ، وقضية  
 اللاجئين حفاظاً للحقيقة والتاريخ ، وهذا نصه :

« نحن أعضاء اللجنة التنفيذية للجنة مواصلة العمل في التعاون الإسلامي المسيحي  
 الذين نجتمع الآن في الاسكندرية في ١١ فبراير سنة ١٩٥٥ ، نلاحظ بكل  
 أسف أن آلام العرب الفلسطينيين لم تخف ، وأنه لم يحدث تقدم في حل مسألة  
 اللاجئين منذ اجتماعنا في مؤتمرنا في بمحمدون .

لهذا قررنا في اجتماعنا أن نجدد تأكيد القرار الذي اتخذ بالإجماع في مؤتمر  
 بمحمدون ، والذي كانت صيغته كما يلي :

نحن المشتركين في الاجتماع الإسلامي المسيحي الدولي في تاريخ العالم نشعر  
 شعوراً عميقاً بخطورة مشكلات تلك المنطقة التي ينعقد فيها المؤتمر ، ونأسف أشد  
 الأسف لما أصاب الأرض المقدسة المحوطة بالتقديس والاحترام عند الجانبين الإسلامي  
 والمسيحي من تمزيق وعدوان ، فما من مكان في العالم أحوج اليوم إلى السلام  
 من مسقط رأس ذلك الذي جاء إلى الأرض يحمل رسالة السلام . إن الحالة  
 الراهنة في الأرض المقدسة ، قد بثت القلق وعدم الاستقرار في قلوب سكان  
 المناطق المجاورة لها في تلك البقاع التاريخية للإسلام والكنيسة المسيحية الأولى ،  
 إذ رأوا اللاجئين المطرودين من بيوتهم ، والمحرومين من تراثهم ، مشردين في  
 الأصقاع . وإن يؤسهم لعبء ثقيل على قلوبنا وضمائرنا ، وإن رسالة الرجاء التي



ننادي بها ، والتعاون المتبادل الذي ندعو اليه لبناء عالم أفضل ، ربما بعثت في نفوسهم التي تعيش في بأس شديد شعوراً بالمرارة والسخرية ؛ ولكننا مع ذلك معجبون بقوة عقولهم ، وصلابة أخلاقهم ، فهم إلا القليل منهم باقون على الإيمان بالله ، وعلى الإيمان بأن الغلبة في النهاية للعدل والحق ، وهم لن يفقدوا الرجاء في أن العدل والحكمة سيسيطران على الموقف بواسطة جمعية الأمم المتحدة .

إننا نستطيع أن ندرك السبب الذي قد يحمل بعض هؤلاء اللاجئين على الخضوع لتجربة البعد عن الله ، فمنهم المتألمون لخذلان أبناء دينهم لهم ، ومنهم المتهمكون على العدالة التي تجاهر بها الدول الكبرى ، ومن بينها جمعية الأمم ذاتها .

لذلك نعاهدكم - نحن الذين شهدنا بؤسهم - أننا لن نقسام أبداً ، وأنها بعد أن نعود إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا في سبيل قضيتهم ملحقين على حكوماتنا التي ننتهي إليها ، وعلى جمعية الأمم المتحدة في اتخاذ التدابير السريعة لإعادة من يمكن إعادتهم منهم إلى بيوتهم ، ولتمنح التعويضات لمن تتعذر عودتهم ، ولحاولة حل مشكلات الأرض المقدسة على أساس عادل ، حتى يكون سلام دائم حيث يوجد اليوم نزاع وخصام وسفك دماء .»

### رسالة الصلاة

أوقاتها . كيفيتها . أنواعها . بقلم الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة

( ص ١ - ٨٩ )

وتليها رساله الصلاة وما يلزم فيها للإمام أحمد بن حنبل ( ٩٠ - ١١٧ )

وبالها كتاب الصلاة وحكم تاركها للعلامة ابن القيم ( ١١٨ - ٢٧٢ )

أما الرسالة الأولى فقد كتبت بأسلوب سهل ، وقول فصل ، ( لا يشتكى قصر منها ولا طول ) . ومن أهم مباحثها : الصلاة ومنزلتها في الإسلام ، وأمر الأديان بها - نهجها عن الفحشاء والمنكر - إجماع الصحابة على كفر تاركها - إشارة

القرآن الى أوقاتها - ركعات الفرائض والتوافل - أحاديث الصلاة في النعال - صلاة الجماعة والجمعة وما ورد فيها من أحاديث - صلاة العيدين وما ورد فيها - صلاة السفر والخوف والمرض و كنيياتها - الطهارة للصلاة وحكمتها . وهكذا . .

وجملة القول في وصف الرسالة : إنها لبيان الصلاة كيفية ، وخشوعاً ( والخشوع لبها وروحها ) ومحافظة عليها . وقد أشرفت بنور ما أودع فيها من آيات كريمة ، وما بينها من أحاديث الأحكام ، مشروحة كلها شرحاً وجيزاً وافياً بالمقصود ؛ والبك ما جاء في أوائل الرسالة من يسر الصلاة ، ودفع الحرج والعسر عن المسلمين : « وفي حديث ابن عباس في الصحيحين أنه ( ﷺ ) صلى في المدينة ثمانياً - يعني الظهر والعصر جميعاً - وسبعاً ، يعني المغرب والعشاء جميعاً ، زاد مسلم : « من غير خوف ولا مظر » وكونه في المدينة دليل عدم السفر ، وقال أحد رواة : أراد أن لا يخرج أمته . ( قال ) : « في هذا الحديث فسحة طيبة ، ورخصة لطيفة لأهل الأعذار ، من مرض وسياقة سيارات وترام ، وخبازين وطباخين ، فلم أن يجتمعوا صلاتي الظهر والعصر معاً ، والمغرب والعشاء معاً عند الحاجة الى ذلك ، لدفع الحرج الذي دفعه رسول الله ( ﷺ ) بهذا العمل ، ونص الله تعالى عليه في كتابه العزيز : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » وصرح بذلك أئمة قدماء ، بقدر وزن الضرورات قدرها ، ليسوا من المنتطعين في الدين ، ولا من المنفرين عنه ، بل مبشرين مبشرين ، يسهلون ما سهل الله ورسوله . »

وأما رسالة الإمام أحمد فقد جاء في ترجمة صاحبه مهنا بن يحيى الشامي في وصفها ما نصه تقيلاً عن الإمام : هذا كتاب في الصلاة وعظم خطرهما ، وما يلزم من تمامها وأحكامها ، يحتاج اليه أهل الإسلام ، لما قد شملهم من الاستخفاف بها ، والتضييع لها ، ومساوقة الإمام فيها » كتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ، الى قوم صلى معهم ببعض الصلاة .

والرسالة مثال من التعليم العالي لصلاة النبي ( ﷺ ) وأصحابه ، فهي تمثل

أمامك الصدر الأول ، وما كان عليه من علم وعمل ، ومن تقوى لله عز وجل ، وهذا مثل من هديهم :

وجاء الحديث عن ابن مسعود أنه نظر الى من سبق الإمام فقال : « لا وحدك صليت ، ولا بإمامك اقتديت ، والذي لم يصل وحده ، ولم يقتد بإمامه ، فذلك لا صلاة له » .

وأما كتاب الصلاة وأحكام تاركها للإمام ابن القيم ، فأصله سؤال ورد في ذلك ، والمسؤول عنه فيه : سياق صلاته ( ﷺ ) من حين كان يكبر الى أن يفرغ منها شيئاً مختصراً كأن السائل يشهده .

قال السائل : فأرشد الله من دل على سواء السبيل ، وجمع بين الحكم والدليل ، وما أخذ الله الميثاق على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يعلموا ويبينوا . فأجاب ابن القيم عن عشر مسائل ، وردت على لسان السائل ، وموضوعها الصلاة المفروضة ، وحكم تاركها عمداً ، وصلاة المصلي منفرداً وهو قادر على الصلاة جماعة ، وصلاة المسجد والبيت ، ومقدار صلاة الرسول ، وحقيقة التخفيف المأمور به الخ . . .

وفي أجوبته تحقيق شافٍ ، وبيان وافٍ ، لا يترك في النفس شبهة ولا حاجة ، وعنده من التاصيل والتفصيل ، ومن عرض أقوال الأئمة أخذاً ورداً ، وقبولاً ورفضاً ، ما ليس عند غيره ، ساق هذا الإمام حجج الفريق الأول القائل بصحة إيمان من لم يصل ، وجاء بأدلة الفريق الثاني ، فعدّ من القرآن عشرة أدلة ، ومن السنة اثني عشر دليلاً بعدم صحة إيمانه ، ونقل إجماع الصحابة عليه ، ثم عقد فصلاً في الحكم بين الفريقين وفصل الخطاب بين الطائفتين ، ثم كان هو الحكم العدل بما عهد فيه من تحرير محل النزاع ، وانصاف الخصم ، وبعد عن الهوى ، ونأهيك بما أوتي من سعة في العلم ، وإصابة في الحكم ، ونصر للدليل ، وطلب للحق ، وابتغاء لمرضاة الله تعالى .

وإن في سببه للأُمور الاعتقادية والعملية ، وفي تقسيمها ، وبيان مراتبها وأحكامها ، ما يزيل اللبس ، ويجلي الحقيقة للنفس ، وينفي أنواع الجهالات عنها ، وفي أدبه مع الفريق المخالف له ما يدعو إلى حسن الأسوة ، وإن تعجب فعجب سعة صدره لإيراده جميع الشبهات ، وردّها واحدة واحدة ، وفي الكلام إعادة وتكرار لبعض الأدلة والأحكام إذ هي أجوبة للسائل والمخالف ، والشاك والمنكر بكفر التارك للصلاة عمداً ، ولو اطلع شبابنا المثقف على هذه المباحث الشائقة ، وأدلتها الساطعة ، لأشرق نور الإيمان في قلوبهم ، وظهر أثره في أخلاقهم وأعمالهم . وهذه كلمة نصح وتذكير من المؤلف رحمه الله ، تصلح أن تكون توجيهاً لهم ، قال ( ص ١٣٩ ) : « ولا تصغ إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها ، وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وأن الله فرض عليه الصلاة ، وأنه يعاقبه معاقبة على تركها ، وهو يحافظ على الترك في صحة وعافية ، وعدم الموانع المانعة له من الفعل » اهـ . وقد طبع الكتاب على نفقة سمو الأمير سعود ( جلالة الملك سعود ) أثابه الله تعالى ، وزاده توفيقاً .

### ( إلى الحياة )

« آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح »

أتبعها كلمات توضّحها وتسهل فهمها : حمدي عبيد

الأستاذ حمدي عبيد يحافظ على وقته ، دؤوب على عمله ، فهو في كل عام يربنا بما آلفه ، أو اختاره أثراً مفيداً من الحكم الطيب ، الذي يهدي إلى العمل الصالح ، مقتبساً من هدي القرآن ، أو السنة المحمدية ، وما فيها من هداية ورحمة ، فنه ما هو أحاديث نبوية في العلم والحكمة ، أو في الأخلاق



والاجتماع والمدنية الصحيحة ، أو في الأدعية والأذكار المنتخبة من الصحيحين والسنن ، ومنه ما هو من (عيون الأخبار) وهو كما قال : سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجدّ وهزل ، ومنه ما هو في التوجيه الخاطي والاجتماعي ، والسمو الروحي والمادي ، وقد كتبت مجلة مجمننا العلمي تعريفاً بما تضمنته هذه الرسائل والكتب النفيسة .

وأما الآن كتاب جديد مسعّى بهذا الاسم «إلى الحياة» ومتوجاً بهذه الآية الكريمة : «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم» . وقد قرأ المؤلف القرآن بتفكير وتدبر ، وأمعن النظر والفكر في الآيات المبدوءة بـ «يا أيها الذين آمنوا» وهي خطاب لكل من آمن بما نزل على محمد (ﷺ) وهو الحق من ربنا ، وأحصاها قبلت ستاً وستين آية ، ثم فسرها بالظاهر المتبادر منها ، هي وما يتصل بها من الآيات مستمداً من أدب القرآن وهديه ، وحال العصر وأهله ، بأسلوب عذب شيق ، مستعينا بما جزم اللغة وبمض كتب التفسير ، مستلهماً العلي القدير أن يلهمه الصواب ، ويؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ، فإلى القراء هذه الدعوة الكريمة من ربنا لما يحبيننا ، ويبعث روح العمل والأمل فينا ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، «أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب» .

والشكر للأستاذ غبيد لصرفه جهده في النافع الرافع . أثابه الله تعالى وزاده توفيقاً .

محمد بهجة البيطار

## مجلة معهد المخطوطات العربية

يصدرها « معهد المخطوطات العربية » التابع لجامعة الدول العربية  
المجلد الأول ( في جزأين ) ، ٣٦٢ صفحة ، القاهرة ١٩٥٥

~~~~~

عناية العرب بالتأليف وجمع الكتب لا تعدلها عناية أمة من الأمم الغابرة ،
وتراثهم المكتوب أوفر من كل تراث . ولكن عوادي الزمن سطت على ما خلفوه
لنا من مخطوطات ، فاحترق بعض وتلف بعض ، ولم يسلم الأجداد مما تركه
الأجداد إلا قل من كثير ، ولم يبق لدينا منه بالقياس إلى ما كتبوه إلا نقطة
من بحر . وقد تقاسمت دور الكتب في الغرب ما وقع لها من آثارنا ، ونحن عنه
نيام ، وحرصت عليه وزهدنا به ، وعنيت بتحقيقه ونشره والتعريف به ، ونحن
عنه غافلون وبه مفرطون .

وقد سبق المستشرقون إلى إنباش الكثير من المراجع العربية الموثوقة بعد
البلى ، ونشره محققاً منقحاً منقوداً ، وأسعفهم على ذلك ما استحدثوا من أساليب
علمية في النقد والبحث ، وما أودعته دور الكتب عندهم من مخلفات أعلامنا .
وقد استفاد العرب ، في مائة السنين الأخيرة ، من هجمتهم ، والتفتوا إلى
هذا التراث الضخم ، فأسهموا في الحفاظ عليه ، والإفادة منه ، وإخراجه للناس
على أحسن وجه يسميهم في ذلك تمكنهم من العربية ، وتذوقهم لها ، لائصال
عهدهم بها ، واعتزازهم بهذه الوشائج التي تصل الخلف بالسلف ، وسهولة وقوفهم
على النصوص وتبينهم وجه الصواب فيها .

ولكن دور الكتب العامة في مشرق الدنيا العربية ومغربها لم تلق العناية
الوافية الواجبة ، ولم تهرع الحكومات عندنا إلى المحافظة على هذه الكنوز من
الضباع والتلف ، ولم تبسّر للباحثين سبيل التنقيب عنها والانتفاع بها . فليس
في أكثر دور كتبنا فهارس مثقنة مطبوعة للمخطوطات ، أما الخزائن الخاصة

ففيها ذخائر يضمن بها أصحابها - إذا عرفوا قيمتها - على العلماء ، ويتلفونها على أنفه السبل في أكثر الأوقات . وفي هذا كله ما يعني العلماء العرب ويحول بينهم وبين ما يبتغون من إسهام محمود في تحقيق المخطوطات . ومع ذلك فجهود الجامعات العلمية والفضلاء من الخواص في هذا الميدان أخذت تؤتي أكلها طيباً ، ويقطف العلم منها أفضل الجنى .

وكانت تموز الباحثين مؤسسة تنسق نشر المخطوطات العربية في العالم كله ، وتضم في خزائنها صور المخطوطات القيمة التي يُعجز الأفراد الوصول إليها والحصول عليها . ففطنت لهذا النقص جامعة الدول العربية واستأثرت بفضل إنشاء (معهد المخطوطات العربية) سنة ١٩٤٦ ، ليصبح مركزاً علمياً ، يعوذ به المنقبون عن المخطوطات ، المولعون بأحيائها ، ويضم في خزائنه صور القيم منها آتى وجده . وقد ازدادت ثروة المعهد من (أفلام) المخطوطات مع الزمن ، فأصبح لديه اليوم أكثر من أربعة عشر ألف فلم مصغر (ميكرو فيلم) ، تصور عدداً ضخماً من مخطوطاتنا العربية في مشارق الأرض ومغاربها . ولا يزال العاملون في المعهد ، وعلى رأسهم الدكتور صلاح الدين المنجد ، يشدون الرحال إلى كل بلد يتوقعون أن يقيموا فيه على مخطوط ثمين في مكتبة عامة أو خزانة خاصة . وقد أخذ المعهد في نشر (فهرس المخطوطات المصورة) الموجودة لديه ، فطبع الجزء الأول منه سنة ١٩٥٤ . وهو الآن في سبيل إعداد مستدرَك عليه يصحح خطأه ، ونشر الجزء الثاني من هذا الفهرس النافع .

وقد شاء المعهد أن يخطو الخطوة التالية في أداء رسالته الكريمة ، فشرع يصدر (مجلة معهد المخطوطات العربية) ، وينشر فيها أبحاثاً بارعة عن المخطوطات العربية في دور الكتب في العالم ، وكلمات في التعريف بالثمين من المخطوطات وموضوعاتها . هذا إلى جانب الباب الذي يسجل فيه نشاط المعهد ، من تصويره مخطوطات جديدة أو نشرها ، أو الإشارة لمن يقوم بتحقيقها ، أو نقد ما نشر ،

أو تحقيق لبعض الرسائل النادرة القصيرة . وقد صدر من هذه المجلة المجلد الأول في جزأين ، وفيها أبحاث طريفة لذة ممتعة مفيدة في وصف دور الكتب في العالم العربي ، المعروف منها والمجهول ، وفي نوادر ما فيها . كما يجد المطالع فيها بيان ما نشر من المخطوطات في هذا العهد الأخير .

هذا وفي الصفحات ٣١٩-٣٣٧ قواعد يقترح اتباعها الدكتور صلاح الدين المنجد في نشر النصوص القديمة ، والموضوع جليل ، وآراء العلماء فيه مضطربة متعارضة . وقد تصلح بعض هذه القواعد المقترحة لنشر كتب بعينها فنقره عليها ، ولكن كتباً أخرى في موضوعات مغايرة قد تقتضي تعديلاً لهذه القواعد . على أن مؤتمر الجامع العلمي الذي انعقد الآن في دمشق سينظر فيها ، ونرجو أن يخرج من دراسته لها بقواعد ضافية مفصلة تنتظم كل ما ينشر ، وتنسق طريقة النشر ، وتجلو ما يجب تقديمه على غيره في النشر ، وبقراها جميع العاملين في هذا الموضوع الجليل .

والحق أنه لا ينبغي المحققين المهتمين بنشر التراث الفكري العربي شيء عن هذه المجلة ، ونرجو أن تغنيهم في المستقبل عن كل مصدر ، وأن يصبح المعهد قبلة الباحثين أجمعين ، إليه يتجهون وعنه يأخذون وفي أداء رسالته يسهمون . والشكر أولاً وآخراً للجامعة والمعهد وللقائمين عليها .

مصادر الدراسة الأدبية

الجزء الثاني : الفكر العربي في سِيرَ أعلامه ، القسم الأول : الراحلون (١٨٠٠ - ١٩٥٥ م) ، ألفه : يوسف أسعد داغر ، ونشرته جمعية أهل القلم في لبنان ، وطبعته في (مطابع لبنان) ، بيروت ١٩٥٦ ، في ٨٦٠ صفحة

كان المتقدمون من علمائنا في الزمن الغابر يعوزون بما أودعته صدورهم وما اختزنه ذاكرتهم ، في معرفة مراجع ما يقبلون عليه من بحث ودرس وتأليف . فلما طلعت المطبعة على الناس بهذه الألوف المؤلفة من الكتب والمجلات ، وتضاعف عدد المراجع والمؤلفات ، واتسعت آفاق المعرفة وامتدت حدودها ، عجزت الذاكرة عن استظهار عناوين الكتب ، بله ما تشتمل عليه هذه الكتب ، فأصبح قصارى العالم الباحث في عصرنا أن يعرف المراجع التي تبسر له سبل البحث . ولهذا أصبح التأليف في التعريف بالمراجع خدمة جلى للعلم والعلماء .

ومن انصرف ، في الآونة الأخيرة ، الى التأليف في هذا الموضوع ، الأستاذ السيد يوسف أسعد داغر ، أمين دار الكتب اللبنانية السابق ، فقد نشر كثيراً من الكتب في ذلك ، وأجلها كتاب (مصادر الدراسة الأدبية) .

نشر المؤلف الجزء الأول من كتابه هذا سنة ١٩٥٠ م ، وأودعه تراجم موجزة لزهاء مائة من الأعلام العرب ، المقرر تدريس شيء من آثارهم في مناهج التعليم الرسمية في بعض البلاد العربية (من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة)^(١) . ثم أصدر الأستاذ داغر في هذه السنة القسم الأول من الجزء الثاني من (مصادر الدراسة الأدبية) . وقد قصر هذا القسم على سِيرَ الراحلين (١٨٠٠ - ١٩٥٥) من أعلام الفكر العربي الحديث . أما القسم الثاني من

(١) تجد تعريفاً بهذا الجزء الأول في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٦ سنة ١٩٥١ ص ٤٤٤ - ٤٤٧ ، وقد كتبه الأستاذ نعيم الحمصي .

هذا الجزء فيود المؤلف الفاضل أن يدون فيه تراجم الأحياء من أعلام الفكر العربي الحديث . وسيضمن الأجزاء الثلاثة التالية ما يتعلق بالأدب النسائي العربي في القرنين الأخيرين ، وبالمستشرقين والفنون الأدبية العامة : كالمرح والنقد والصحافة

طريقة المؤلف في هذا القسم الذي نعرف به تشابه طريقته في الجزء الأول إلى حد كبير ، فهو يبدأ كل ترجمة بإيراد نبذة وافية في التعريف بالعلم المترجم له ، ثم يعقب على ذلك بسرد مؤلفاته : ما طبع منها وما لم يطبع ، ثم ينلو ذلك بيان الكتب التي ألفت عن هذا العلم أو تناولته بالبحث ، وكذلك المجلات العريضة التي كتبت عنه ، دالاً على المظان بوضوح ودقة وتفصيل . وقد وطأ المؤلف لهذا القسم بالتعريف بأصول الكتاب ، فذكر المراجع العامة والمجلات ، وعرف بها تعريفاً مجزياً ، وختم الكتاب بمبحث ضاف في الاستشراق وأعلام المستشرقين . وقد أثبت المؤلف في هذا القسم تراجم (٢٠٦) من الأعلام الراحلين ، وأغفل - مرغماً - إثبات ترجمة مائة منهم آخرين ، كان يود التعريف بهم لولا تضخم حجم الكتاب .

هذا الجهد المحمود ، الذي بذله المؤلف في صبر وأناة ودأب وتبصر ، لا يكافيه شكر المتفعين بكتابته القيم هذا ، ولا يوفيه حقه ثناء الباحثين الذين بذل لهم وقته فوقر عليهم وقتهم ، ويسر لهم سبل البحث ، وأمدتهم بما قد يعجز كثرتهم الوقوف عليه لولاه .

على أن حرصنا على الإفادة من كل جهد المؤلف يضاعف أسفنا على اضطراره لإسقاط تراجم مائة من الأعلام كان قد أعدها لهم ، وفيهم العدد الجم من الفحول المتمكنين الذين يعدلون - بل يفضلون - بعض من أثبت تراجمهم ؛ فمن أغفل محيي الدين الخياط وهدى شعراوي وكرنيليوس فان ديك وجرماتوس فرحات وجمال الدين القاسمي وليبة هاشم وعلي مصطفى مشرفة . وكانت للمؤلف مندوحة عن إسقاط

تراجهم لو لم يسرف في ترداد كلمات فرنسية بعينها ترد في ترجمة كل علم ، ولو لم ينقل إلى الحروف اللاتينية اسم كل مترجم له . وإذا كانت مجتته هي خدمة المستشرقين فالتنا نعقد ان المستشرق الذي يميز عن نهجية اسم العلم بالعربية عاجز عن الاستفادة من السيرة التي سطرها له المؤلف بالعربية وحدها . وكان يميز المؤلف أن يقدم للكتاب فهرس لاتيني للأعلام ، وبكلمات قليلات تترجم للمستشرقين غرض الكتاب ورموزه . هذا وفي الكتاب أقسام كبيرة من صفحات تركت بيضاء ، توجهاً للأناقة في الطبع ، على أن المؤلف في أمثال هذا الكتاب من المصادر والمعاجم أن يقتصد في التزويق ، لتضمن الصفحات القليلة الأقوال الكثيرة .

هذا وقد ينكر الحراس على سلامة المبنى العربي على المؤلف الفاضل فيجوز حيناً بعد حين في الأسلوب ، كقوله مثلاً في ص : س : « نحن نعرف قبل غيرنا مركب النقص في هذا الكتاب وما يعتوره ، بالرغم مما وفرنا له من مقومات ومحسنات ومؤملات ، من شوائب وأوهام وحناات » . وقوله في ص : ن : « رأينا أن نلحق كتابنا هذا بفهرس عام » . أو روايته بيت شوقي المشهور على الشكل التالي : (ص : ن)

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والابلام إخوان
ولعل هذه الهنات الهيئات تعويذة للكتاب تقيه لدعة الخدق .

عبد الهادي هاشم



أساسات التنمية الاقتصادية وتطور اقتصاديات الشرق العربي للأستاذ يونس صالح الحريشي

نشر الأستاذ يونس صالح الحريشي بوساطة دار العلم للملايين (بيروت) في هذا العام ، كتابين اقتصاديين ، الأول : (أساسات التنمية الاقتصادية) ، والثاني : (تطور اقتصاديات الشرق العربي) .

وقد بحث في الكتاب الأول : مواضيع ١ - التنمية الاقتصادية ٢ - تكوين رأس المال ٣ - استخدام القوة العاملة ودور السكان في التصنيع .

وبين فيه أن تنمية رأس المال ، بالدخل الحقيقي ، مما يبعث النشاط في العمل ، وبكثير الانتاج . وان من الضروري الادخار ، واستثمار تلك الأموال المكدسة بالطرق المنتجة ، لأن المال هو واسطة كبيرة للعمل ، وان من الواجب إفساح المجال للكسب أمام رجال الأعمال ، وبين ضرورة التوجيه الحكومي لتأمين توزيع موارد الجماعة ، لأن لها تأثيراً كبيراً في الادخار وزيادة رأس المال . ثم قال : ان الانتاج الكبير وحسن إدارة الأعمال ، وتنظيم العمل ، واتقانه بالأساليب الحديثة مما يخفض نفقات الصنع ، على أن زيادة الفائدة ، تضر بالاقتصاد الوطني .

وفد أفرد بحثاً عن رأس المال المستثمر في الولايات المتحدة ، وزيادة الانتاج هناك ، ومعدل النمو الصناعي في بريطانيا ، والولايات المتحدة وغيرهما من الدول ، وبين أن نظرية مالتوس كانت غير واقعية .

ثم قال إن من الضروري معالجة البطالة ، بالأعمال المنتجة ، وان الصناعة

هي ضرورة لتأمين استهلاك الشعوب ، ولتأمين الآلات الزراعية الحديثة ،
والسماد ، وان في زيادة الانتاج الزراعي والصناعي -ازدهاراً اقتصادياً .

ان هذا الكتاب قيم وجامع للنظريات الاقتصادية ، وقد استعان على إخراجها
بعدة كتب لكبار رجال الاقتصاد ، على انه كتاب عام ، وغير محصور بالبلاد
العربية ، لأن كتابه الثاني يخص البلاد العربية ، كما ان الاخفاء الذي أتى به
كان جله قبل عام ١٩٥٠ ، مع ان الكتاب طبع عام ١٩٥٦ ، ولكن هذا
لا يقل من أهميته .

وأما كتابه الثاني فقد استعرض فيه اقتصاديات البلاد العربية ، وحالة الدخل
الضئيل فيها وأنواعه ، وحالة السكان في البلاد العربية ، وقتلهم في سورية
والعراق والمملكة العربية السعودية ، وكثافتهم في مصر ولبنان والأردن واليمن ،
والانتاج الزراعي ، في كل قطر عربي وتزايد وقضية الملكية في مصر ، وتوزيع
بعض الأراضي هناك ، وفوائد السدود فيها ، ومشاريع الري والسدود في العراق
والآمال الكبيرة المعلقة عليها ، والنفط العربي وكميته وأفطاره ، واستثماره من
قبل الشركات الأجنبية ، والصناعة في البلاد العربية ، وتكاثر الآلات الحديثة ،
وانتاج كل قطر ، والقوة الكهربائية فيه وقابلية التوسع الزراعي والصناعي .
ثم بحث عن التنمية الاقتصادية ، وبين ضرورة العناية بزيادة الانتاج الزراعي
والصناعي وذكر عيوب النظام المالي وعدم مرونته ، ومن قوله : (وما لا شك
فيه ان الفقر السائد في البلاد « العربية » والتثقل في وطأة الدخل الفرد يؤثر
على ميزانيات الدخل المختلفة ، وبالتالي يحد من قدرتها على العمل والاتفاق والاستقراض
لأغراض التمويل ، والسياسة الاقتصادية ، والنظم الضرائبية ليست نظماً تقدمية ،
فأغلب الإيرادات مستمدة من ضرائب استيراد واستهلاك ورسوم أخرى غير
مباشرة) وهذا هو الواقع في البلاد العربية للأسف .

وبحث أيضاً عن حالة الأسعار وارتفاعها ، والتنظيم النقدي ، وتراخي الحكومات

بمكافحة التضخم والأسعار ، وحالة التجارة الخارجية وعرض جدولاً بالمستوردات والصادرات في البلاد العربية ، وكيف أن الميزان التجاري علينا لا لنا ، وخاصة في العراق - إذا امتنعتنا صادرات النفط - والأردن ولبنان .

ان هذا الكتيب قد امتعرض اقتصاديات البلاد العربية ، وانا لشكر الأستاذ على جهوده الطيبة .

في الحق ان الأمة العربية في تزايد متواصل ، مع ان الانتاج يزد يبطء ، وهذا ما جعل المواليد الجدد يلتهمون تلك الزيادة ، بينما الانتاج بأجمعه ليس بالقدر الكافي ، بحيث يمكنه رفع مستوى الأمة ، ونشلها من هوة الفقر الخطيرة . لذلك كان من الواجب على الحكومات العربية أن تعمل على الإكثار من المساكن الصحية الحديثة ، وزيادة الآلات الزراعية ، والمشاريع المائية للري والكهرباء ، وإيجاد معامل للسماد الكيماوي لإراحة الأرض وزيادة غلتها ، وتكثير الآلات الصناعية الهامة ، والتنقيب عن النفط والمعادن في الأقطار التي لم يكن منه شيء لديها بعد ، وتعميم التعليم الابتدائي والمهني ، وربط البلاد العربية بعضها ببعض بالوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لإيجاد القوة والاستقرار والحماية والتعاون المشترك ، في زيادة الانتاج واستهلاكه .

منير الشريف

آراء وأبناء



الأستاذ المرحوم جورج سارطون

(١٨٨٤ - ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ جورج سارطون

تخطف الموت من بيننا علماً فذاً من أكابر علماء هذا العصر ، ومستشرقاً ضليعاً أخلص الحب للعرب ولقتهم ، وجلال فضل علمائهم على العالم القديم ، في تجرد وإنصاف ؛ فقد جاء النعي بوفاة الأستاذ المرحوم جورج سارطون في الثاني والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن قد انقضى عام واحد على انتخابه عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي .

ولد المرحوم جورج سارطون في بلدة غاند (بلجيكة) في ٣١ آب ١٨٨٤ . واغتضرت أمه ولم يتم السنة الأولى من عمره . وقد نشأ في هذه البلدة ، ودرس في جامعتها ، وأحرز منها شهادة الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية سنة ١٩١١ . فلما اندلعت فيران الحرب العالمية الأولى رحل بزوجه وابنته (حي) إلى انكلترة موطن زوجته ، ثم تمحّول عنها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ منها منذئذ موطنه الثاني ، فسُي محاضراً في تاريخ العلم في جامعة جورج واشنطن عام ١٩١٦ ، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد ، وواظب على تدريس تاريخ العلم فيها منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٩ . وكان مؤسسة كرسيهجي الفضل الأكبر في أن وفّرت له كل ما يعوزه حتى يستطيع أن يقف جميع وقته على دراسة تاريخ العلوم والتأليف فيه . وقد ألقى الكثير من المحاضرات في الجامعات الأميركية والأوربية ، وزار في سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢ بلاد الشام ومصر وأفريقية الشمالية . ولا يزال الكثيرون في بلادنا يذكرون محاضراته الممتعة القيمة التي ألقاها يومئذ في الجامعة الأميركية وكلية المقاصد الإسلامية في بيروت ، وكانت موضوع أكثرها بيان فضل العرب على التفكير الإنساني .

منع الفقيده ست شهادات دكتوراه فخرية ، وانتخب عضواً في عشرة مجامع علمية دولية وفي كثير من الجمعيات الدولية للعلم والتاريخ والفلسفة ، وظل أمداً

طويلاً رئيساً للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم في باريس، قبل أن يصبح رئيساً فخرياً له،
والجمعية تاريخ العلوم . وقد سمي عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الرابع
والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٥٥ .

كان المرحوم جورج سارطون قد أزمع منذ صباه أن يتفرغ لدراسة تاريخ
العلوم ، وبلغ من ذلك فيما بعد مبلغاً لم يتح لغيره ، وخلف للباحثين والعلماء
أكثر من خمسمائة مؤلف ، هذا عدا ما كان ينشره في المجلات من تعريف
بالكتب وتقدّم لها . وأهم تصانيفه كتاب « المدخل إلى تاريخ العلوم » ، أصدره
في ثلاثة أجزاء ^(١) ، في خمسة مجلدات ، تستغرق أكثر من أربعة آلاف صفحة ،
وقد نشرته مؤسسة كارنيجي في واشنطن ١٩٢٧ - ١٩٤٨ . يشمل هذا
الكتاب على موجز تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية في العالم كله ، وعند
جميع الأمم وفي جميع اللغات - مما وصل علمه إلينا - ، منذ هوميروس حتى
آخر القرن الرابع عشر (القرن الثامن الهجري) . وقد وقف المؤلف جزءاً
كبيراً وافياً من كتابه هذا على تاريخ العلوم عند العرب ، وعني أكرم عناية
بجلاء أثرهم وتبيان فضلهم على العالم في هذا الميدان ، في تجرد وإنصاف ، يحمّد
عليها ، حتى أصبح كتابه هذا مرجع كل من كتب بعده في تاريخ العلوم عند العرب .
وقد أقرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ترجمته إلى العربية سنة ١٩٤٨ ،
ولكن لم تظهر هذه الترجمة إلى اليوم ، ولم ينقل من آثار الفقيه إلى العربية ،
فيما نعلم ، إلا محاضرة واحدة ألقاها في مكتبة الكونغرس (نيويورك) في آذار
١٩٥٠ ، حول « الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط » ، وترجمها فيما بعد
إلى العربية الدكتور عمر فروخ ، بعد أن وطأ لها بكلمة موجزة ، عرّف فيها
بالمحاضر وآثاره ^(٢) . ويبدو أنه يجري الآن إعداد ترجمة عربية لكتاب آخر

(١) اقرأ تعريف الدكتور عمر فروخ بالجزء الثالث من هذا الكتاب في مجلة المجمع
العلمي العربي (مج ٢٦ ، سنة ١٩٥١ ، ج ١ ، ص ١٠١ وما يتبعها) .

(٢) نشر مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٢ م .

من مؤلفات الفقيه هو : « تاريخ العلوم ، العلوم القديمة في عصر اليونان الذهبي » .
 على أن كثيراً من كتبه نقل إلى لغات أخرى كالاسبانية واليابانية ، ومنها
 « تاريخ العلوم والآداب الحديثة » و « حياة العلوم ، مقالات في تاريخ الحضارة » . . .
 هذا وقد أنشأ الفقيه مجلتي للبحث في فلسفة العلوم وتاريخ العلوم والبقاوة ،
 وهما « ايزيس » و « اوزيريس » ، وأصدر منهما ثلاثة وأربعين مجلداً ، ثم تمخلى ،
 في الفترة الأخيرة ، عن الإشراف عليها لغيره من العلماء ، ولعل هذه المجلدات
 التي صدرت منهما تؤلف أكبر مجموعة من هذا النوع في العالم كله .
 هذه حياة خصبة طويلة ، قضاها هذا الرجل في العلم وللعلم ، فصيح فيه قول
 القائل : « رجل مات والرجال قليل » ، تقمده الله برحمته ، وجزاه عن العلم
 وأهله خيراً .



الأستاذ المرحوم عيسى إسكندر المعلوف

(١٨٦٩ - ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف

في اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٩٥٦ ، رزى المجمع العلمي العربي بوفاة العلامة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، أحد أعضائه الأوائل الذين شادوا صرحه وأثلوا مجده وحببوا العربية إلى أبنائها ، يوم كان القوم بين عزف عنها متنكر لها ، وجاهل بها جاحد فضلها .

ولد الفقيد الكريم في قرية كفر عقاب من متن لبنان ، في ١١ نيسان عام ١٨٦٩ م ، لأبوين ينحبان إلى أميرة حورانية غسانية . ودرس في صغره مبادئ العلوم في مدرسة القرية على الطريقة القديمة . ثم انتقل إلى مدرسة المرسلين الانكليز ، فأتقن العربية وبعض الانكليزية والرياضيات . ثم التحق بمدرسة الشوير العالية في متن لبنان أمداً قصيراً ، وما لبث أن انصرف بعد ذلك إلى المطالعة الشخصية ، وحضور مجالس علماء عصره ومنهم الشيخ ابراهيم اليازجي . فلما اجتمع له من العلم بالعربية قدر واف أخذ يدرّسها في بعض المدارس الخاصة ، ويؤلف لطلابه فيها كتباً تعينهم على التبحر فيها والتمكن منها . فلما أنشئت جريدة (لبنان) سنة ١٨٩١ أصبح محرر فيها ، دون أن ينقطع عن التدريس ، وظل يمد كثيراً من الصحف والمجلات ، في هذه الفترة ، في الوطن والمهجر بمقالاته ودراساته وأبحاثه ، ويأتي بين الفينة والفينة محاضرات نافعة على الجمهور . وقد أصدر سنة ١٩١١ مجلة (الآثار) مدة ثلاث سنوات ، توقفت بعدها إثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم عادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب .

وقد ساهم الفقيد في (ديوان المعارف) ، في عهد الحكم الفيصل في الشام ، مساهمة محدودة مشكورة ، واشترك في تقويم لغة الكتب المؤلفة أو المترجمة آنئذ . فلما أصبح هذا الديوان المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ سمي الفقيد عضواً عاملاً فيه ، فشارك في وضع أسسه ، وإقامة دعائمه ، وفي الكتابة في مجلته ، والمحاضرة في ردهته ، ثم حين تحول الفقيد عن دمشق إلى مدينة (زحلة) وعاد إلى الإقامة

فيها ، أصبح عضواً مراسلاً للمجمع . ثم انتخب عضواً في المجمع العلمي اللبناني عند تأسيسه في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ، كما عين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ إنشائه في ٦ تشرين الأول ١٩٣٣ .

كان الفقيه واسع الاطلاع ، طويل الباع ولا سيما في علم التاريخ ، بصيراً بالكتب : مخطوطها ومطبوعها ، حريصاً على اقتناء القيم النفيس منها ، وكانت خزائنه من أغنى خزائن المشرق بالمخطوطات ، وقد انتقل منها إلى خزانة الجامعة الأميركية في بيروت نحو خمسمائة مخطوط لما أزمع المرحوم السفر إلى البرازيل حيث بقيم أولاده النابهون التابعون . وكان الفقيه إلى ذلك صبوراً على البحث ، مكثباً على الدرس ، دؤوباً على التأليف ، لم يقمده عن ذلك إلا اشتداد وطأة المرض عليه في السنوات الأخيرة . وقد ألف الكثير من التصانيف المفيدة ، ولكن لم يطبع منها إلا القليل . فمن هذه التصانيف كتاب مطول في تراجم أدباء القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو أشبه بذيّل لسلك الدرر للمرادي ، وكتاب في تاريخ الحرب العالمية الأولى ، وكتاب (شجذ القريجة في المقطعات البليغة الفصيحة) في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، وكتاب (نقائس المخطوطات) الكبير في وصف نوارد الكتب المخطوطة ومزاياها ، وكتاب (خزائن الكتب العربية) . ومن تأليفه المطبوعة كتاب (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف) في أكثر من سبعمائة صفحة ، وقد طبع في بعبداء سنة ١٩٠٨ ، وكتاب (تاريخ الأمير نجر الدين المعني الثاني) وقد طبع في جونية سنة ١٩٣٤ في أكثر من أربعمائة صفحة ، وكتاب (تاريخ مدينة زحلة) في ثلاثمائة صفحة وقد طبع في زحلة سنة ١٩١١ ، وتاريخ (الأمر العربية المشتهرة بالطب وأشهر المخطوطات الطبية العربية) ، و (تاريخ الطب عند العرب) ، وتاريخ (قصر آل العظم بدمشق) . الخ .

كان الفقيه - طيب الله ثراه - كريم الخلق ، هادي الطبع ، واسع الصدر ، عميق الفكر ، جهم التواضع ، عالي الهمة ، جواداً بعلمه ، طويل الأناة .

تغمده الله برحمته ، وأثابه عن العربية خير ما يثاب به العاملون المخلصون .



الأستاذ المرحوم فيليب طراز

(١٩٥٦ - ١٨٦٥)

وفاة الأستاذ فيكونت فيليب دي طرازي

قضت مشيئة الله أن يختار إلى جواره ، في صبيحة اليوم السابع من شهر آب سنة ١٩٥٦ ، عالماً محققاً من خيرة علماء هذا العصر ، وعضواً كريماً من قدامى أعضاء المجمع العلمي العربي ، هو الأستاذ المرحوم فيليب طرازي ، فعظمت فاجعة العلم بفقده ، وأمي كل من عرفه من أهل الفضل والسابقة لوفاته .

وُلد الفقيه في بيروت في ٢٨ أيار عام ١٨٦٥ من أسرة كريمة معروفة ، هاجرت من الموصل إلى حلب في القرن السادس عشر ، ثم ضربت فروع منها في أرض بلاد الشام ومصر ، وتزل بعض أفرادها بيروت في القرن التاسع عشر ، ومن نسل هؤلاء المرحوم نصر الله طرازي ، الذي أنعم عليه قداسة البابا بليب (كُنت) سنة ١٨٩٤ ، تقديرًا لمساهمته المبرورة وعلمه الواسع . وورث فقيدنا فيليب لقب (فيكونت) عن والده المرحوم نصر الله ، إذ كان ثالث أبنائه .

درس المرحوم فيليب طرازي في المدرسة البطريركية ، وفي كلية الآباء اليسوعيين ، فنال النصب الأوفى من الثقافة العالية والأطلاع اللغوي ، ثم انصرف إلى التجارة مهنة آباءه من قبل ، ولكن التجارة لم تشغله عن الاستزادة من العلم والمعرفة ، بل يسرت له سبلها وأعادته ، إلى جانب ذلك ، على إمداء العون والبر لمن نكبهم الدهر وتزلت بهم شدائد الأيام ، ولا سيما في غضون الحرب العالمية الأولى ، حتى أُنقذ في سبيل كفكفة دموعهم وتخفيف آلامهم الشطر الأوفى من ثروته العظيمة .

انتخب فيكونت فيليب دي طرازي ، في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ ، عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في مطلع عهده ، وظل أمداً طويلاً يوافي بجلته بأبحاثه ودراساته . كما اختير عضواً في كثير من الجامعات والجمعيات العلمية في المشرق والمغرب .

كانت ثقافة الفقيه واسعة الآفاق ، ممتدة الجوانب ، وقد عني بكثير من الموضوعات التي تهيبها العلماء من قبله فلم يطرقوها أو ألموا بها إلمامة الطائر ، فقد

نصدي مثلاً لتأليف كتاب في (تاريخ الصحافة العربية) ، وأنجزه في اثني عشر جزءاً ، نشر منها ، بين سنة ١٩١٣ و ١٩٣٣ أربعة أجزاء ، في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وترجمت فصول منها إلى الانكليزية والالمانية ، كما ألف كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) ، في ثلاثة مجلدات تربى صفحاتها على الألف ، وقد طبعته وزارة التربية الوطنية في لبنان سنة ١٩٤٨ ، وكتاب (أصدق ما كان عن تاريخ لبنان) في ثلاثة مجلدات أيضاً ينيف عدد صفحاتها على الألف ، وقد طبعته سنة ١٩٤٨ .

وللفقيد الكثير من الكتب والرسائل القيمة المطبوعة ، منها كتاب (القلادة النفيسة في فريد العلم والكنيسة) وقد ضم مرثي كتبت في عشرين لغة شرقية وغربية (بيروت ١٨٩١) ورسالة (عصر العرب الذهبي) و (بحث تاريخي علمي أثري عن القرآن) و (علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب) ، وكتاب (إرشاد الأعراب إلى تنسيق الكتب في المكاتب) و (المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب) ٠٠٠ الخ

أما كتبه التي لم تطبع فتقارب الثلاثين عدداً في الأدب والتاريخ والفن . ومن مآثر الفقيد الجلى إنشاء دار الكتب الوطنية في بيروت ، فقد أتقى في سبيل إقامتها زهرة شبابه وحرّ ماله ، وأودعها جلّ ما في خزائن كتبه الخاصة ، حتى بلغ ما جهز به دار الكتب من المؤلفات اثنين وثلاثين ألف مجلد . وقد انتقلت إلى دار الكتب أيضاً مجموعة الفقيد الصحافية ، وهي تحتوي على أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة صحيفة مختلفة العناوين ، وتشتمل على نموذج من كل جريدة أو مجلة ظهرت في العالم بالعربية أو بأحدى اللغات الشرقية ، وهذا النموذج هو أول عدد من هذه الجرائد والمجلات .

كان الفقيد وافر الذكاء . منقاد للنهن نافذ النظرة حاضر البديهة جميل النكتة كريم النفس واليد واسع الاطلاع مدققاً متبحراً متمكناً . وقد جاء في الأثر : خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وهذه حال الفقيد ، تقمده الله برحمته وجزاه أفضل ما يحزى الأخبار الأبرار .

مؤتمر المجامع اللغوية العلمية

تقوم الآن في العالم العربي ثلاثة مجامع ، تعنى بالعرب وحضارتهم ، وعلومهم وتراثهم ، وتسعى إلى إنبشار آثارهم وخدمة لغتهم ، بحيث تسير هذا العصر وتنسج للعلوم والفنون والآداب والمخترعات الحديثة . وهذه المجامع القائمة الآن هي :
المجمع العلمي العربي في دمشق وهو أقدمها ، والمجمع العلمي العراقي ، والمجمع اللغوي في القاهرة .

وقد اقترح على مؤتمر وزراء المعارف العرب في القاهرة (سنة ١٩٥٣) إنشاء مجمع علمي عربي موحد يحل محل المجامع القائمة . فأحيل هذا الاقتراح إلى اللجنة الثقافية الدائمة في جامعة الدول العربية عندما اجتمعت في جدة سنة ١٩٥٥ ، وخرجت من دراسته إلى إقرار مقترح الأستاذ عبد الهادي هاشم رئيس الوفد السوري آنئذ ، ومآله أن من الخير بقاء المجامع الثلاثة قائمة ، على أن تعمل الجامعة العربية فتيسر عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع ، لتنسيق أعمالها ، وتبادل الرأي في نشاط كل واحد منها .

قامت الإدارة الثقافية في الجامعة بانفاذ هذا القرار ، فدعت إلى عقد المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية في دمشق بين ٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ و ٥ / ١٠ / ١٩٥٦ ، ووجهت الدعوة إلى المجامع الثلاثة ، وإلى كل دولة عربية ليس فيها مجمع ، من أجل الإسهام في هذا المؤتمر ، وأخذت تعد أبحاثه ونهئ أعماله ، مستعينة في ذلك كله بالمجمع العلمي العربي . وقدمت الحكومة السورية كل ما يسر نجاح المؤتمر ورعاه فخامة رئيس الجمهورية السورية بعنايته الكريمة .

وقد رؤي أن تكون لجان المؤتمر خمسا : تعنى الأولى بدراسة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية ، وتعنى الثانية ببحث الوسائل الرامية

إلى ترقية اللغة العربية من حيث تبسيط قواعدها وكتابتها وإملائها وتقريب العامية من الفصحى وإصلاح لغة الصحف والإذاعة والدواوين وما إلى ذلك ، وتعمل اللجنة الثالثة على دراسة قضايا الترجمة والتأليف وتنسيق أعمال النشر في الأقطار العربية ، كما تقوم اللجنة الرابعة بدراسة وضع المصطلحات العلمية ونشرها وتأليف معجم لها . أما اللجنة الخامسة فتبحث في المخطوطات العربية : ماذا يجب أن ينشر منها وكيف ينشر .

وقد أقيمت حفلة افتتاح هذا المؤتمر على مدرج الجامعة السورية في دمشق في مساء ٢٩/٩/١٩٥٦ فالتقى فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي كلمة رحب فيها بالمؤتمر وأعضائه ، وتلاه وزير المعارف الدكتور عبد الوهاب حومد ، ثم رئيس اللجنة الثقافية الدائمة الدكتور طه حسين ، ثم الدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ثم الأستاذ بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي .

وفي صبيحة اليوم التالي (٣٠/٩/١٩٥٦) اجتمع أعضاء المؤتمر في ردهة المحاضرات في مقر المجمع العلمي العربي وألفوا لجائاً من بينهم ، أخذت كل منها تدرس ما نيط بها من موضوعات .

وسنذكر في العدد القادم ما يستقر عليه رأي المؤتمر في هذه الأبحاث وما سبقه من توضيحات عند اختتام جلساته .

أسماء جبال تهامة وسكانها^(١)

تأليف عزام بن الأصبح السلمي ، تحقيق عبد السلام هارون بمصر

نبدأ تعليقنا على الطبعة الثانية من هذه الرسالة بملاحظاتنا على (صورة الجزيرة العربية) التي رسمها الأستاذ عبد السلام هارون ، ونشرها في مقدمة طبعته لرسالة « أسماء جبال تهامة » ، هذه الملاحظات هي :

١ - وضع الأستاذ ذات عرق بين قرن المنازل ومكة ، وما لا شك فيه أن ذات عرق هي الموضع الذي يعرف في هذا العهد باسم « الضريبة » . وكان حجاج شمال نجد ، والقادمون من العراق في العهود الماضية ، وحينما كان الحج على الأبل ، يحرمون من هذا الموضع ، وهو يقع شمال قرن المنازل ، بميل نحو الشرق . ودليل شرعي على هذا هو أن ميقات ذات عرق حدد في عهد الخلفاء الراشدين حيث لم يحدد الرسول ﷺ ميقاتاً لأهل المشرق القادمين من تلك الجهة إلى مكة ، فرأى الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه هذا الموضع محاذياً لقرن المنازل .

٢ - أثر معونة ليست غرب معدن بني سليم بل شرقه ، فهي واقعة في جبال أبل ، ولا تزال أبل معروفة باسمها في هذا العهد ، وهي تقع شرق المعدن بميل نحو الشمال ، والمعدن يعرف الآن باسم « مهد الذهب » .

٣ - وضع الأستاذ اسم « حنين » مجاوراً لبدر ، على ساحل بحر القلزم جنوب ينبع ، وشمال ودان الواقع بقرب رابغ ، ومعلوم أن الأستاذ يقصد حينئذ الموضع التاريخي المشهور ، إذ مصور الجزيرة هذا وضع لهذه الرسالة التي ألقت في القرن الثالث الهجري ، ووضع حنين بهذه الصفة خطأ محض ، فحنين

(١) في المجلد ٢٨ من مجلة المجمع العلمي العربي « ص ٣٩٦ إلى ٤٠٢ وص ٥٩٢ إلى ٥٩٩ »

يقع شرق مكة ، فيما بينها وبين الطائف ويبعد عن مكان وضعه هذا مسيرة أيام وليال ، ويعرف موضع حنين في عهدنا باسم الشرائع .

٤ - أطلق الأستاذ علي أعلى وادي الرُمة اسم (وادي الشربة) . وهذا غير صحيح من وجهين : (١) أن هذا الموضع الذي سماه بهذا الاسم هو من وادي الرُمة . (٢) أن الشربة تقع جنوبه ، فهي الأرض الواقعة بين خطي وادي الرمة ووادي الجريب حتى يلتقيا . والأستاذ عبد السلام لن يقدم قولاً ضعيفاً - للهيثم ابن عدي وأمثاله ممن لم يسر في تلك البقاع - يؤيد وهمه هذا ، إلا أن الحق خلافه .

٥ - ص ٣٩٧ : وليس شيء من تلك الأوشال يجاور الشفة . وعلق الأستاذ أما ملاحظتنا على الرسالة فهي :

بكلام أورده البكري عن « البثنة » وعن موضع فيها يسمى الشفة . ولا أزال عند رأيي في أن المراد « الشفة » أي ان مياه هذه الأوشال قليلة جداً . أما الموضع الذي ذكره البكري فأعتقد أنه مصحف ، وعلى فرض صحته ، فأية صلة بينه وبين الكلام في تعريف الوشل .

٦ - ص ٤٠٤ : علق الأستاذ عبد السلام على اسم قرية « المضيق » الواقعة بقرب آرة ، بين مكة والمدينة ، بنقل عن ياقوت فيه أن بني عامر أغاروا على زيد الخيل « الطائي » فالتقوا بالمضيق . ولا رابط بين هذين الموضعين ، فبنو عامر ينزلون في عالية نجد ، وطبيء يسكنون شماله ، والموضع الذي وقع فيه الأمر لا بد أن يكون بقرب منازل إحدى القبيلتين - أي في نجد - وهذا الموضع الذي ذكره عزام في غور تهامة ، وشتان بين الموضعين ! وانظر جبهة ابن حزم - ص ٢٦٨ - لتجد أن سلى بن مالك بن جعفر بن كلاب أحد رؤساء بني عامر يعرف بـ « تزال المضيق » .

٧ - كنا أوردنا في نقدنا للطبعة الأولى آياتاً لنزلان الثامي من نوادر الهجري ، ومنها :

جواني من حي عداء كليهما طوامح بالازواج غير غواب

وقصدنا تصحيح هذا البيت :

جواني من حبي عدا كائنها مها الرمل ذي الأزواج غير عوان
إلا أن الأستاذ عبد السلام أورد هذا البيت بصورته هذه ، وهي كما يراها
القراء غير مستقيمة المعنى . وبعدها بيت آخر (ص ٤٠٧) :

جن جنونا من بعول كائنها قرو تباري في رباط يمان
وحار الأستاذ في كلمة (تباري) إذ قال إنها غير معجمة وأنه نقلها بهذه
الصفة معجم ياقوت مادة (ومان) وأنها فيه مادة (خلص) : تنادي . ولقد
أوردناها صحيحة فيما نقلناه عن المحجري : تنازي - أي تننازي ، من التزوان -
والشاعر يهجوهم .

٨ - علق الأستاذ (ص ٤١٦) على معدن البرام ، الموضع الواقع قرب
الطائف ، بكلام ورد في وصف معدن البرام في « أضاح » والموضعان متغايران ،
أولهما في الحجاز ، وثانيهما في عالية نجد .

٩ - ص ٤١٩ : قال عرام : وفيقمان قرية فيها مياه وزروع ونخيل وفواكه ،
وهي البانية ، وبين مكة والطائف قرية يقال لها راسب ، نخشم ، و (الجونة)
قرية للأنصار . علق الأستاذ عبد السلام على كلمة (البانية) قائلاً : يعني الفواكه
البانية . وأقول : إن عراماً لا يقصد الفواكه ، بل يقصد وادي نخلة البانية ،
الواقعة بين مكة والطائف ، فهذه القرية التي دعاها (فيقمان) هي على رأيه
تدعى البانية ، وانظر شفاء الفرام لتي الدين الفارسي لتجد كلام عرام هذا .
وعلى الأستاذ على كلمة (الجونة) قائلاً :

كذا أثبتتها ياقوت في رسمها وقال : قرية بين مكة والطائف ، ورسمت في
الأصل : الجوبة معجمة الحروف . وقرأها الميحي : الجوبة . قال الشيخ حمد :
وهي فيما أرى « الخويصة » بالخاء المهملة المفتوحة فواو مكسورة ، فياء مشاة تحتية
مشددة ، فتاء التأنيث : قرية من أشهر قرى الطائف ، لا تزال معروفة بهذا الاسم ،
وإن لم يرد ذكرها في المعاجم القديمة كغيرها من كثير من مواضع بلاد العرب .

واستدرك الأستاذ معلقاً على كلامي قائلاً : لكن تقييد ياقوت لما ، وكونها بين مكة والطائف ، لا في الطائف نفسها يعارض ما توهمه الشيخ . وأقول : ليس تقييد ياقوت حجة في هذا الباب ، فكثير من أسماء المواضع قيدها على غير وجهها الصحيح ، لأنه ينقل من كتب يقع فيها التصحيف كثيراً وفي معجم البلدان مثبات من الأسماء مصحفة .

وأنا حينما قلت بأنها من أشهر قرى الطائف لم أنف وقوعها فيما بينه وبين مكة فقد قصدت الاقليم ، والقربة المذكورة إحدى قرأه وهي واقعة فيما بينه وبين مكة . ١٠ - ص ٤١٨ : قال عرام : وقيل : التثنية ^(١) التي تطلعك على قرى المنازل ، حبال الطائف تلهزك من عن يسارك ، وأنت تؤم مكة ، متقاودة ، وهي جبال حمر شوامخ ، أكثر نباتها القرض ا .

حبال الطائف تصحيف (جبال) وقد ظن الأستاذ أن كل هذا الكلام يتعلق بوصف التثنية ، والحقيقة انه وصف لجبال الطائف .

١١ - ص ٤٣٤ : وهم على طريق زيدة ، يدعوهم بنو سليم ، (منقازييدة) . وعلق الأستاذ : كذا في الأصل وفي معجم ياقوت : منقازييدة ، رمم «مغار» وقرأها الميجني : «مغا» سهواً . وأقول : الصواب ما في ياقوت : «منقا» بالميم للمضمومة فالنون المفتوحة ، بعدها قاف مشددة مفتوحة ممدودة ، فالسيدة زيدة قد أمرت باصلاح هذا الطريق ، وتنقيته من أحجار الحرة ، ولهذا يسمى «المنقى» ولا يزال سكان هذه الجهات من العرب وأهل نجد يسمونه بهذا الاسم . ولتقف من هذه النظرة السريعة عند هذا الحد ، ذا كرين لعلامتنا الجليل الأستاذ عبد السلام هارون ، بمزيد الحمد والثناء فضله ، سائلين الله ليديم له الصحة والتوفيق ، ليوصل جهده العظيم في خدمة أمته في علمها وأدبها ، اللذين أسدى إليهما الكثير الجزيل من خدماته وأياديه .

محمد الجاسر

منتخبات من معجم الكواكبي

- ٣ -

(٢٢) Acétonurie تخَلُونُ البول .

- من (acétone ، ومن اليونانية oureon : بول) .
- لغة : اشتقاقاً من معرب الكلمة الافرنجية : الخلون .
- فئاً : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في البول .

(٢٣) Acétylation تَخْلُوَنَة .

- لغة : اشتقاقاً من الخلون . فئاً : عمل كيميائي يدخل فيه جذر الخلون ذرة الجسم العضوي ، وهو جذر وحيد المعادل : ($\text{CH}_3 - \text{CO} - \text{CH}_2 -$) .
- (٢٤) Acétonyle تَخْلُونِيل .

- تعريفاً . الجذر الوحيد المعادل المشتق من الخلون وهو ($\text{CH}_3 - \text{CO} - \text{CH}_2 -$) .
- (٢٥) Acétylation أَسْتَلَّة .

- لغة : تعريفاً . فئاً : عمل كيميائي يدخل فيه جذر التايل (أستيل) مادة ما ($\text{CH}_3. \text{CO} -$) .

(٢٦) Acétyle تَخْلِيل .

- لغة : تعريفاً . فئاً : جذر عضوي وحيد المعادل ذو صيغة ($\text{CH}_3. \text{CO} -$) .
- (٢٧) Acide تَحْمُض .

(من اللاتينية acidus : حامض ، ضد الحلو) :

- لغة : ما ملأ وأمر من النبات وهي كفاكهة الابل جمعه حموض ، الحموضة : طعم الحامض . حمض ككرّم وجعل وفريح ، في اللبن خاصة ، حمضاً وحموضة وأحمضه . . . المستحيمض : اللبن البطيء الرطب .

فئاً : في الكيمياء : اسم عام يسمى به كل ما يطلق شوارد هدرجينية .

في الكيمياء العضوية : كل ما فيه جذر (COOH —) المسمى (تحمائيل * (1)) ،
والحاصل من أكسدة غوليد (2) * . خواصه على وجه عام : طعمه حامض ،
محلوله في الماء يميل صبغة العيشم (3) الزرقاء الى حمراء ويتفاعل والمعادن
أو القلويات مكوناً جسماً معتدلاً على العيشم * هو الملح . (indice d'—) :
علامة الحمض ، رقم الحموضة : عدد الملغ من البوتاس اللازم لإشباع الحموض
الدمية الحرة في غ واحد من دسم أو شمع ... (vert —) الأخضر الحامض :
صنع مشتق من الثان الثالث القليل .

(٢٨) Acide - alcool حمضائيل .

لغة : نحتاً من (حمض ، مائيل *) . فئا : جسم عضوي فيه وظيفة حمض
ووظيفة غول . مثال : حمض اللبن (CH₃.CHOH. COOH) .

(٢٩) Acide - Aldéhyde حمضاليد .

لغة : نحتاً من (حمض ، غوليد *) . فئا : جسم عضوي فيه وظيفة حمض
ووظيفة غوليد . مثال : حمض الغليوكسيل (CHO - COOH) .

(٣٠) Acide - ominé حمضين .

لغة : نحتاً من (حمض ، آمين) . فئا : جسم عضوي فيه وظيفة آمين ووظيفة
حمض متجاردتين . مثال : حمضين الخلل [CH₂ (NH₂) COOH] .

(٣١) Acide - cétone حمضلون .

لغة : نحتاً من (حمض ، خلون) .

فئا : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة خلون . مثال : حمض الحصرم
الناري (CH₃ CO. COOH) .

(٣٢) Acide - phénol حمضنول .

لغة : نحتاً من (حمض ، فنول) . فئا : جسم عضوي فيه حمض ووظيفة
فنول . مثال : حمض الصنواف (C₆ H₄ (OH) COOH) .

(1) carboxyle .

(2) aldéhyde .

(3) teinture de tourñesole.

٣٣ Acidifiable حموض .

- لغة : وزان نَعُول وفيه معنى القابلية ، من (حمض) .
- فثا : كل ما هو قابل للاستجابة الى حمض .

٣٤ Acidifiant 'محمض' .

- لغة : بزيادة النون في آخر (حمض) : 'محمض' = ما يعمل الشيء حامضاً .
- فثا : ما يعمل الشيء بخواص الحمض .

٣٥ Acidification تحمضنة .

- لغة : كما في الكلمة الآتية الذكر : اضافة حمض ما الى جسم ما .
- فثا : حالة يتحول معها جسم ما إلى (حمض) .

٣٦ Acidifier حمضن .

- لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : حمض = اضاف شيئاً حامضاً .
- فثا : جعل البيئة حامضة التفاعل .

٣٧ Acidifier (s') تحمضن .

- لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : احمض ، تحمض : صار حمضاً .
- فثا : حالة تكتسب فيها البيئة تفاعلاً حامضاً بالتدرج .

٣٨ Acidimètre محماض .

- لغة : اسم آلة من (حمض) .
- فثا : ميزان الحمض ، آلة تلم بها درجة تركيز حمض ما .

٣٩ Acidité 'حموضة' .

- لغة : طعم الشيء الحامض . . . فثا : خاصية الجسم الذي يطلق شوارد الهدرجين .
- وتقدر بأس الهدرجين (pH أقل من ٧) . active // - حموضة فاعلة :
- التركيز من شوارد الهدرجين ، الجزء المتفكك من ذرة الحمض = réelle -
- de titration // حموضة عيارية : التركيز من الجزء المتفكك والجزء

اللامتفكك = كمية القلوي اللازمة للتعديل . || totale — حموضة عامة =
 potentiel — حموضة كامنة || ionique — حموضة شاردية ، حموضة حقيقية =
 حموضة فاعلة . || — indice d' — نسبة الحموضة ، رقم الحموضة : عدد الملتح من
 البوتاس اللازم لتعديل الحموض الحرة في غ واحد من دسم أو زيت عطري .

٤٠ Acidose تحمضُ الدم .

لغة : كما في (رقم ٣٧) .

فتا : مرض يصبح الدم فيه حامض التفاعل .

٤١ Aciérage فولدة .

(من اللاتينية acies, aciarum حد) .

لغة : اشتقاقاً من (الفولاذ) . والفولاذ : من الفارسية فولاد ، بالباء المثلثة
 التختية ، وهو (ذُكْرَةُ الحديد ، كما في القاموس) : اسم عام لخلائط الحديد
 والفحم المختوية على ٠.٢ — ١.٥ بالمئة من الفحم .

فتا : عمل يتم معه تحويل المعدن الى فولاذ بأية طريقة كانت || وضع طبقة
 من الفولاذ على معدن ما لتزيد صلابته .

٤٢ Aciéré مقلد .

لغة : اشتقاقاً من الفولاذ (انظر رقم ٤١) .

فتا : معدن يحول الى فولاذ || كل ما هو محتو على فولاذ أو مطلي به .

٤٣ Aciérer فولد .

وكذا (Acieriser) .

لغة : اشتقاقاً كما في الرقم ٤١ .

فتا : قلب الحديد فولاداً || لحم طبقة من الفولاذ بالحديد .

(يتبع)

الكواكبي

الفهرس العام

لمواد المجلد الحادي والثلاثين

منسوقاً على حروف المعاء

| | |
|---|---|
| <p>أفكار أبي حنيفة الدينوري ٤٠٩ الى الحياة (كتاب) ٦٦٦ الامام العادل الملك عبدالعزيز (كتاب) ٣٠٧ امراء دمشق في الاسلام (كتاب) ٤٩٦ انتخاب أعضاء مراسلين ٣٣٨ أهل الكهف ٦٠٢ إبوانية البخري ١٦٧٧، ٢٤١، ٤٢٧، ٥٧٧</p> | <p>(أ) آثار معين في جوف اليمن (كتاب) ٣١٢ آراء وأنباء ١٣٨، ٣٣٨، ٤٩٨، ٦٧٧٦ ابن الحريري (كتاب) ٣١٤ ابن رشد (كتاب) ٣٠٢ أبو الفتح بن جني ١٠٦، ٢٨٣، ٤٥١، ٦٢١ أساسات التنمية الاقتصادية (كتاب) ٦٧٤</p> |
| <p>(ب) بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية ٢٥٣، ٤٩٠</p> | <p>أسرار البلاغة (كتاب) ٣٣٢ أسماء جبال تهامة وسكانها ٦٨٩</p> |
| <p>(ت) تاريخ العرب قبل الاسلام (كتاب) ٦٥٠ تاريخ مصر (كتاب) ٣٣١ ترجيح وتأرجيح ٣٤٣ تصويب تطبيع ٣٤٩ التعريف والنقد ١١٩، ٣٠٢، ٤٧٣، ٦٤٩</p> | <p>الاصطلاحات الفلسفية ٢٣، ١٨٢، ٥٤٤، ٢٩٧ أعضاء المجمع العلمي العربي (١٩٥٦) ١٣٨ أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون (١٩٥٦) ١٤٠ أعيان الشيعة (كتاب) ٤٨٣ أغلاط في حديث أدبي ١٦٥</p> |

| | |
|--|---|
| رثاء الجندي والبرم ٢٣٨ | تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى |
| ردّ على ميخائيل نعيمة (كتاب) ٤٨٨ | والأوسط (كتاب) ٣١٣ |
| رسائل ابن الأثير ٥١٤ | النكية السلجانية في دمشق ٤٣٧ ٤٢٢٢ |
| رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار ٢٠٢ | تلخيص البيان في مجازات القرآن |
| رسالة الصلاة ٦٦٣ | (كتاب) ١٢٢ |
| رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء ١٦٢ | توغل العرب في بلاد الشام (كتاب) ١٢٤ |
| (ش) | (ث) |
| شاعران معاصران (كتاب) ٣١٩ | الثائرون في التاريخ (كتاب) ٤٨٢ |
| الشبك (كتاب) ١٣٦ | (ج) |
| شرح لزوم ما لا يلزم ١٤٥ | الجاحظ (كتاب) ٣١٧ |
| الشعر الأندلسي ٣٧١ | (ح) |
| الشعر العربي في المهجر (كتاب) ٣٢٢ | حافظ إبراهيم علي سميته ٥٢٩ |
| الشيخ فحيب الحداد (كتاب) ٣٢٨ | حريق الجامع الأموي بدمشق (سنة ١٧٤٠هـ) |
| (ط) | ٣٥ |
| طبقات الأطباء والحكماء (كتاب) ٤٨٠ | (خ) |
| (ك) | خريدة القصر وخريدة العصر (كتاب) |
| كتاب تحذير العباد ١٣٠ | ٤٧٣ |
| كتاب الترييع والتدوير للجاحظ ١١٩ | (د) |
| كتاب تنبيه الغي ١٣٠ | الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي ٥٥٩ |
| كتاب الريف السوري ١٢٨ | الدراسات العربية في الولايات المتحدة ٢٧١ |
| كتاب من شيم العرب ٦٥٨ | ديوان ابن النقيب ٣ |
| | (ر) |
| | رأي في تفسير الزومية السادسة والخمسين |
| | ٣٤١ |

مقدمة المرزوقي لشرحه لمجاسة أبي تمام ٥٩
ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني ١٥٣
ملاحظات على رسم بعض الممرات ٥١٣
ملاحظات على مصطلحات كيمياوية ١٦٨
ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية ٥٠٩
منتخبات من معجم الكواكب ٣٤٦
٦٩٣٠٥٢١

الموشحات الأندلسية (كتاب) ٣٢٥
مؤتمر الجامع اللغوية العلمية ٦٨٧
(ن)

نقوش خربة معين (كتاب) ٣١٣
نوابغ المغرب العربي (كتاب) ٣٠٤
(و)

وفاة الأستاذ الشيخ سعيد العرفي ٣٣٩
وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيال ٥٠٢
وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ٤٩٨
وفاة الأستاذ جورج سارطون ٦٧٨
وفاة الأستاذ سليم الجندي ١٤٢
وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ٦٨٢
وفاة الأستاذ فيليب طرازي ٦٨٥
وفاة الأستاذ كارل بروكس ٥٠٤
(ي)

بافوت الكلام في ماناب الشام ٦١١

كتاب الموجز في علم القوافي ٤٨
كتاب الورقة ١٢٦
(م)

ما سمعت وما رأيت في بلاد السونيت
٥٨٦٠٤١٦
المثل العليا في الإسلام لا في يحمدون
(كتاب) ٦٦٠

مجلة معهد المخطوطات العربية ٦٦٨
المجموع الأول (كتاب) ٣١٠
مجموعة ابن النقيب ١٧٧

محاضرات في اقتصاديات سورية ٣٣٥
محاضرات في القانون المدني اللبناني ٤٩٤
المختصر في الفقه المالكي (كتاب) ٦٥١
مخطوطات قيمة تهدي الى دار الكتب
الظاهرية ٥٢٥

المدخل الى تاريخ الحضارة (كتاب) ٤٩١
مذكراتي عن الثورة العربية (كتاب) ٦٤٩
مستقبل المرأة العربية (كتاب) ٦٥٢
مستقبلك سيف يدك متى عرفت ربك
(كتاب) ٦٥٤

مصادر الحق في الفقه الإسلامي (كتاب)
٣٠٦

مصادر الدراسة الأدبية (كتاب) ٦٧١
مع حافظ ابراهيم ٣٥٣

فهرس الأعلام

أي أسماء الكتاب المنشورة في هذا المجلد
منسوقاً على حروف الهجاء

| | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| حمد الجاسر ٦٨٩ | (أ) |
| خليل مردم بك ٣ ، ١٧٧ ، ٣٥٣ | أحمد طربين ٦١١ |
| ٥٢٩ | أسعد الحكيم ٤٨٠ |
| خير الدين الزركلي ٢٣٨ | أنيس المقدسي ٥١٤ |
| (س) | (ب) |
| سالم الكرنكوي ١٥٣ | بايلي وايندر ٢٧١ |
| سامي الدهان ١٢٦ ، ٣١٤ ، ٣١٧ | (ج) |
| ٣٢٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٣١٩ | جعفر الحسني ١٢٤ ، ١٣٦ ، ٢٢٢ |
| سليمان ظاهر ١٦٢ | ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٤٣٧ ، ٤٩١ |
| (ش) | ٦٥١ ، ٦٥٠ |
| شفيق جبيري ١١٩ | جميل صليبا ٢٣ ، ١٨٧ ، ٣٠٢ |
| (ص) | ٣٩٧ ، ٥٤٤ ، ٦٥٢ |
| صلاح الدين المنجد ٣٥ ، ٦٠٢ | جورج حداد ٣٣١ |
| (ع) | جيورجي تسيرينيلي ٥٥٩ |
| عارف أبو شقرا ٣٤٣ | (ح) |
| عبد القادر المغربي ٧٧ ، ٢٤١ ، ٤٢٧ | حسني صبح ٤١٦ ، ٥٨٦ |
| ٥٧٧ | حكة هاشم ٤٨٨ |

محمد أسعد طلس ١٠٦ ، ٢٨٣ ، ٤٥١ ،

٦٣١

محمد بهجة البيطار ٩٠ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ،

٢٥٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣١٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ،

٦٦٣ ، ٦٦٦

محمد حميد الله ٤٠٩

محمد صلاح الدين الكواكبي ١٦٨ ،

٣٤٦ ، ٥٢١ ، ٦٩٣

محمد الطاهر ابن عاشور ٥٩

مصطفى الشهابي ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٦٤٩

منير الشريف ٣٣٥ ، ٦٧٤

عبد الله القليلي ١٦٥

عبد الله كنون ٣٧١

عبد الهادي هاشم ٤٨ ، ٢٠٢ ، ٤٧٣ ،

٦٦٨ ، ٦٧١

عبد الوهاب عزام ١٤٥

عدنان الخطيب ٤٩٤

عز الدين التنوخي ٣٣٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧

(ك)

كاظم الداغستاني ١٢٨

(م)

محمد أحمد دهمان ٣٤١ ، ٤٩٦

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة

- ٥٣٩ حافظة ابراهيم على مسجتيه للأستاذ خليل مريم بك . . .
- ٥٤٤ الاصطلاحات الفلسفية (٤) للدكتور جيل صليبا . . .
- ٥٥٩ الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي للأستاذ جيورجي تسيريتيلي . . .
- ٥٧٧ إيوانية البحري (٤) للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي . . .
- ٥٨٦ ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٢) للدكتور حسني مسيح . . .
- ٦٠٢ أهل الكهف في غرناطة ودهش ويزنطية للدكتور صلاح الدين المنجد . . .
- ٦١١ ياقوت الكلام في ما ناب الشام للأستاذ أحمد طربين . . .
- ٦٣١ أبو الفتح بن جني (٨) للدكتور محمد أسعد طلس . . .

التعريف والنقد

- ٦٤٩ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى للأمير مصطفى الشهابي . . .
- ٦٥٠ تاريخ العرب قبل الإسلام } للأستاذ جعفر الحني . . .
- ٦٥١ المختصر في الفقه المالكي (القسم الأول)
- ٦٥٢ مستقبل المرأة العربية في البيت والمجتمع للدكتور جيل صليبا . . .
- ٦٥٤ مستقبل في يدك متى عرفت ربك
- ٦٥٨ كذب من شيم العرب (الجزء الأول)
- ٦٦٠ المثل العليا في الإسلام لا في مجدهون للأستاذ محمد مبيجة البيطار . . .
- ٦٦٣ رسالة الصلاة
- ٦٦٦ الى الحياة
- ٦٦٨ مجلة معهد المخطوطات العربية } للأستاذ عبد الهادي هاشم . . .
- ٦٧١ مصادر الدراسة الأدبية
- ٦٧٤ أسامات التنمية الاقتصادية للأستاذ منير الشريف . . .

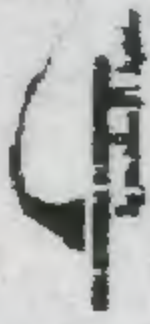
آراء وأنباء

- ٦٧٨ وفاة الأستاذ جورج سارطون
- ٦٨٢ وفاة الأستاذ عيسى اسكندر الملوفا
- ٦٨٥ وفاة الأستاذ فليب طرازي
- ٦٨٧ مؤتمر الجامع القوي الطية
- ٦٨٩ أسماء جبال تهامة وسكانها للأستاذ حمد الجاسر . . .
- ٦٩٣ متخبات من معجم الكواكي (٣) للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي . . .
- ٦٩٧ الفهرس العام لرواد المجلد الحادي والثلاثين
- ٧٠٠ فهرس الأعلام (أي أسماء الكتاب المنتورة في هذا المجلد)

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ — البيزة لبازيار العزيز بالله القاضي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي
قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ — ديوان ابن حيوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ — ديوان ابن حيوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمعري (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٩ — قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٣٠ — الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٣١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. مترستين .
- ٣٢ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣٣ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٤ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الامتانيولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة الطيار
- ٣٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للهاد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء
الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة
- ٣٧ — ديوان ابن أبي حصينة السلي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس
- ٣٨ — تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح
- ٣٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٤٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٤١ — تكملة لإصلاح ما تعلق به العامة للجواليقي
- ٤٢ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي



Bibliotheca Alexandrina



0652718